

162³/₅ 1A

المكتبة الاهلية بشارع الخديعة

المiserables

MISERABLES

تأليف

فكتور هييجو

شاعر فرنسا العظيم

بيده

صاحب مجلة الراوى

— الطبعة الاولى

مكتبة الاهلية بعصر

عصر (١٩٢١ م

الجزء الثاني

سعى في هذه الحوادث التي بسطناها في الكتاب الاول
ثمانية أعوام كان جان فالجان في خلالها يتعظ براهبات الدبر فيشتي
لشقاؤهن وهو يحسب انه يتعم بهذا الشقاء وغوسيت تتعلم ونى
تنمو بين أترابها نمو الزهرة في حديقة غناء
ففي احدى الليالى كان يوحى في شارع الهيكل غلام لا يتجاوز
عمره اثني عشر عاما

وهو من غلمان باريس المتشردين المشهورين في كل عهد
بزلاقة اللسان وذكاء الفواد وقد لبس بنطلون ر
من آبيه وقميص امرأة لم يتصل اليه بمه أمه يا
أحد أهل الخير
ولقد كان له أب وأم ول
تكن نحبه فكان يدعو إلى الا
بيتم

وكان ابواه قد طرداه ومع
الشوارع اذ كان يجد بلاطها الين من
ولم يكن له مكان يأوى اليه
يتدفأ عليها ومع ذلك فقد كان يرضى
ويسرق وينهب وهو على
غلمان باريس لانه كان

على انه كانت تخطر له أمه مرة أو مرتين
لزيارتها في شارع الغراب حيث كانت تقيم مع زوجها .
غرفة استأجرتها في المنزل نمرة ٥٢ وهو نفس المنزل الذي أقام
فيه حان فالجان حين جاء بغوسيت من فندق تنارديه
وكانت عائلة هذا الزلام مؤلفة من أبويه وأختيه الصبيتين
وكان الاب قد دعا نفسه جوندريت حين استأجر هذه الغرفة
ولنكس قال للمصور صاحبة المنزل انه اذا جاءك أحد فسألك
عن بولوني أو ايطالي أو اسباني ارشديه الي قانا هو المعني
العائلة في أشد حالات الفقر ومحانب الغرفة التي
فيها فتي فقير أيضاً ولكنهم

هذا الفتي لشدة علاقته بهذه

بأنه يبلغ نحو الخامسة والثمانين
وي متين العضل لم يفقد سناً من
بعض بصره

عشرين الف فرنك يعيش به عيشاً
الخمسين من العمر بقيت عازبة فقد
مرات . اسرأته بعد أن ولدنا
هو الآن في سلك

به و بقيت بنته الثانية تدير منزل أبيه
في منزله غير خادمة وخادم كانا يلتقيان منه أشد
العناء لحدة طباعه ولسرعة غضبه ولكن كرمه كان خير شفيع له
فيما يلتقيان

واتفق يوماً أن خادمة له كانت رحت منزله منذ ستة أشهر
طادت إليه تحمل طفلاً حديث الولادة ادعت أنه رلده فلم يغضب
لهذه النخمة بل أنه سر منها وحمل ينظر إلى الطفل مبتسماً راضياً
ويقول

وبعد فإيدعو إلى العجب فان الدوق دي أنجلوم تزوج نثاء
في الخامسة عشرة من عمرها وهو ابن خمس وثمانين ،

آلى ولدت له بنت وهو في الثالثة
هذه الحكايات فليس ما يدعمر

على أنى أقول أن هذا العنفل

العناية به إذ أي ذنب اقترفه هـ

وفي العام التالى جاءته الخطأ

إلى امهما وتعهد أن ينقدها ثماير

يزورها أحياناً ليرى الغلامين

ولبت مع أخته وغلام صغير كان :

يضطرب منه خوفاً وهذا السلام كان ماري

عند جده وتعلم حتى مة عشر من عمر

ففي مساء يوم عاد إلى المنزل فوجد جده يد
فقال له

يجب يا بني أن تسافر غداً إلى فرنون

قال لماذا

قال ترى أبالك

فوقع هذا النبأ وقماً شديداً عليه لأنه لم يكن يعرف أباه
وكان يكرهه لاعتقاده أنه تخلى عنه ولأنه نشأ على كرهه في منزل
جده ورأى جده ما كان من اضطرابه فقال له لا بأس يا بني فإنه
مو يريد أن يراك فاسرع بالسفر فان الامر يقضى بالسرعة

السفر فساء في اليوم التالي فلما وصل وجد
ما يرثه غير بضعة سطور كتبها

«وناً في معركة واترو وعسى»

«بديدة بهذا اللقب الذي اشتريته بدمي»

»

«ها أتقد حياتي جندي برتبة ملازم»

«يدير فندقاً في هذه الأيام في قرية»

«يس ورجائي إلى ولدي إذا لقيه أن يكافئه عني»

« يستطيع »

من هذه الورقة بل هذه الوصية فوضعتها في جيبه
وحضر جنازة أبيه ثم عاد إلى باريس مشغلاً بدرس الحقوق عن
أبيه كأنه لم يكن فقد دفن يوم ولى يومين ووضع ماريوس
شرطة سوداء على قبعته وهذا كل ما كان

كان من عادات ماريوس أن يذهب في صباح كل أحد إلى
الكنيسة وهي عادة تملكته فيه منذ الصغر
وقد ذهب يومها إليها وحلّس في كرسي دون أن يتنمى إلى اسمه
كان مكتوباً عليها وهو اسم ملوف
وفيما هو حائر وقد بدأت الصلاة جاءه
أرجوك أن تتحلى عن هذا الكرسي
فامتثل ماريوس مسرعاً وبعد
وقال له اعاذتك البك كي لا يذ
فاني لا أستطيع الجلوس على غير هـ
لك وهو

ان هذا الكرسي كان يحلّس عليه
الكنيسة فيجلّس على هذا الكرسي لير
أن يراه بغير هذه الطريقة لاسباب مائليّة
وكان يأتي إلى هنا حين يعلم أنهم يأتون بولده لخصور مصدر يرى

ولده ويبكي لانه كان يحبه حباً يبلغ حد العبادة
وقد كنت أرى ذلك بعيني فأتأثر تأثراً عظيماً حتى لم بعد يروق لى
الجلوس الا فى هذا الموضع فأتى عرفت هذا المنكود بعض المعرفة
فقد كان له حم اندره بحرمان ولده من ارثه اذا كان أبوه يراه
ودلك بخلاف فى المنازع السياسية بين والد الغلام وبين
جده ففرق الحد بينهما لهذا السبب ورضى الاب بهذا القراق
بل رضى أن يضحي هذه التضحية العظمى لخير ولده كي لا يحرمه
جده من ارثه فان الاب لم يكن من الاغنياء
بإذ، أخطيء هذا الجد تخطيطاً عظيمة فأتى على احترامى
عليق ان أرى الناس يبالغون فى التشيع لها الى هذا
تخلقوا بأحلاق الوحوش
الاب من ضباط نابليون . وشهد معركة
محرمة من ولده لان ذلك الحموي كره نابليون
لاب المسكين وهو يقيم فى فرنون
اد كان هذا الاسم اسم ابيه وقال

ر سيع ر قال أأت هو ذلك الغلام الصغير الذى كنت

أراه في الكنيسة .. نعم فإن هياتك لم تتغير كثيراً .. نعم فاعلم يا بني أن
أباك كان يحبك كثيراً

فشكره ماريوس وانصرف عائداً الى المنزل فأخبر جده أن
أصحابه دعوه للعيد ثلاثة أيام في ضواحي باريس واستأذنه
بالذهاب معهم فأذن له بما أراد

وقد غاب ماريوس عن المنزل ثلاثة أيام ثم عاد الى باريس
فذهب توا الى مكتبة المدرسة التي كان يدرس فيها الحقوق فقرأ
تاريخ الجمهورية والامبراطورية ومذكرات سانت هيلانة وجيد
مانشر في ذلك العهد من الجرائد المذكريات والمذكرات
وقد قرأ اسم أبيه في تلك المذكرات فلقى
أبوه تحت أمرتهم وزار أصحابه الضباط وحا
أول من أخبره بأمر أبيه فوثق أنتم
مثله له جده في عهد حدائته
وأظهرهم قلباً وأمضاهم حساماً و
جده للملكية أوغر قلبه عليه فمثله
وكان ماريوس منعكفاً على در
حين عرف ما عرفه عن أبيه وعرف
انصرف الى درسيه قبات شديد التعلق
ينابليون العظيم وبات يكره الملكية أشد در

جده على ما كان عليه أبوه من قبله
 وكان قد ذهب عملاً بوصية أبيه إلى قرية مونتفرميل كي
 يرى تنارديه الذي انقذ أباه من الموت فلم يجد أثراً للفندق وقبل
 له أن تلك العيلة هجرت القرية بعد أن أصيب الفندق بالافلاس
 ولا يعلمون إلى أين ذهبت فعاد إلى باريس قاطعاً من إيجاده
 وكان قد تغير تغيراً عظيماً فلم يعد يلتقي جده بذلك العطف
 القديم ولم يعد يعجب بما كان يسمعه منه عن حسنات الملكيه
 ولا يطرب لطمعه بالامبراطور ونعته بشارب الدماء وبالوحش
 بل كان يتمتع بهذه الأقوال ويعترض جده أحياناً بملء

عده لم يكن يرضى أن يسمع كلمة اعتراض على ما يقول
 بل تأمياًل حفيده

أ أن ماريوس عاد من فرنون وهي بلد أبيه
 فته وخلع ملابسه وذهب إلى الحمام
 في غرفته فلم يجد بل وجد سترته على
 من حبيبها فأخذها وهو يقول في نفسه
 من سر انقلاب هذا الغلام
 أيضاً فوجد علبة مقفلة فأخذ العلبة
 القاعة حيث كانت ابنته

وهناك قرأ الرسالة فوجدها وصية أبيه وفتح العلبة فوجد

فيها رقاع زيارة مكتوب عليها « البارون ماريوس بوتمارسي »
وبعد أن قرأها دفعتها الى ابنته فقراءتها ثم نادى الخادم وأمره
أن يرحع الورقة والرقاع الى غرفة ماريوس وأقام مع بنته على
أسوأ حال كلاهما مطرق وكلاهما حزين

وبعد هنيهة جاء ماريوس فقال له حده بلمحة الساخر
أهنتك بلقبك الجديد فقد أصبحت بارون فكيف ذلك
وما معناه فاحر وحه ماريوس وأحابه قائلاً

معناه أني ابن أبي
قال أبا هو أبوك وما أنا سارون
قال بل اني أني ذلك الرجل الشريف والعدل
خدم الجمهورية ومرسأ خدمات حلي أورثته
يعد من أعظم الرجال

بل هو ذلك الرجل الذي حاس را
كرات المدفع ورصاص البنادق وية
تحت الثلوج والامطار
بل هو ذلك البطل الذي فتم را
ومات منسيا ولم يكن ذنبه الا أنه أ.
وما وطنه وولده

وكان ذلك فوق ما يستطيع لا أن يسم
فانه حين سمع لفظة الجمهورية وقف وقد توهج من العصب

كل كلمة كان بقولها ماريوس كانت بمثابة صفة على ~~الشيخ~~ ^{الشيخ} وقد حاول أن يضبط نفسه ولكن الحدة ابتدرته فقال له
أيها الولد الحقوق الدميم اني لا أعلم ما كان عليه أبوك بل كل
ما أعلمه أنه لا يوجد بين هؤلاء الزمر غير الاشقياء والصوص
والسفاكين نعم انهم كلهم على هذا النمط لا أستثنى منهم أحداً
أسمعت يا ماريوس

وانك تارون ولكن هذه البروتية التي نالها أبوك من ذلك
الوحش لا تعادل سدى هذا العمل الذي ألسه

أَنْ جَمِيعَ الَّذِينَ خَدَمُوا رُوبَسِيرَ لُصُوصِ وَكُلِّ الَّذِينَ خَدَمُوا
نَحْنُ نَدْعُوا مُلْكَهُمُ الشَّرْعِيَّ وَخَانُوهُ وَكُلَّهُمْ جَسَاءُ
إِنَّا وَالْأَلْمَانِيَيْنِ فِي وَاتَرَلُو

لَمَّا عَنِ تِلْكَ الْمَصَابَاتِ فَإِذَا كَانَ أَبُوكَ مِنْهَا

ة أبيه انتفض انتفاض العصفور بالله
ف ينتقم من حده لايه فاذا أهان هذا

جده وكيف يصير على اهانة أبيه فهناك
ضياء

وهو شبه سكران ثم نظر الى جده نظرة
سره وقال بصوت أجش

ليسقط البوربون وليسقط هذا الخنزير لويس الثامن عشر
وكان لويس الثامن عشر قد مات في ذلك العهد ولكنه أراد
بجعلته تحقير الملكية

وقد وقع هذا الكلام عليه وقوع الصاعقة فجعل يسير في
تلك القاعة دهايا وايايا وهو لا يدري ما يفعل
الى أن وقعت أمامه بنته فقال لها
ان بارونا ورجلا مثلي من العوام لا يمكن أن يقيم في منزل
واحد

ثم التفت الى ماريوس وقال له بصوت يتهدج من الغضب
اذهب

فخرج ماريوس من فوره
وفي اليوم التالي قال الشيخ لبنته
انك ترسلين كل ستة أشهر ستين دينار
الى هذا الشارب الدماء ولا تذكرى
أما ماريوس فإنه سار وهو لا يعلم
عشرين فرنكا وساعة ذهبية وثيابه
وقد ركب مركبة وسار الى أقصر
فاستأجر غرفة في ذلك المنزل الذي كان
قبل فدفع نصف أجرتها عن شهر مما كان
بالباقى

وفي اليوم التالي باع ما يستطيع الاستغناء عنه من ثيابه فعاش
به بالاعتقاد اسبوعاً

وفي الاسبوع التالي باع ساعته وكانت حالته ارسلت له بإعاز
من أيها مبلغاً كبيراً من المال فاني قبوله على شدة احتياجه
ولما كاد ينفق ثمن الساعة بحث عن عمل يرتزق به فوجد عملاً
عند أحد المحامين المشهورين

ثم أنتم دروسه وعين محامياً في المحاكم فكتب الى جده كتاباً
رقيقاً أخبره فيه انه بات من زسرة المحامين فترق جده الكتاب
بعد قرائته وقال

١ تكن من البلهاء لعلم ان محامياً وبارونا لا يجتمعان

به من عمله لا تكاد تكفيه للعيش بالتقتير ومع
من تنارديه لمكافأته عملاً بوصية أبيه فلا

من العمر وقد ترك منزل جده منذ
يا فان ماريوس كان يمتقد أن جده قد

اعتقاده فان الاب قد لا يحب ولده ولكنه

يده

بعده عنه ولكن كبرياؤه منعه من ان يدعو

رمي عن يفتكر إلا به في الليل والنهار

وأما ماريوس فلم يكن حاقداً عليه ولكنه لم يكن يطيق العيش
مع من أهان أباه فاني التزلف اليه بالرغم عن صيقه
ثم أنه كان أنوفاً وقد قال في نفسه
اني حين خرجت من منزلي كنت غلاماً لا أتجاوز السابعة
عشرة من العمر وتلميذ مدرسة فلم أبال بالضيق أحاف الفقر اليوم وقد
بلغت العشرين وصرت من المحامين
وعلى الجملة فقد عول على أن لا يعود إلى منزل جده ولو أفصي
الامر إلى حرمانه من ارثه
وكان يشتغل بمجد ونشاط وكل ما سئحت له فرصة فراغ نذهب
إلى حدائق لكسمبورج فيتنزه فيها
وكان كل ما ذهب إلى هذه الحدائق وهو
كل يوم يرى رجلاً يتنزه هناك تصحبه صبية من
مندسنة وكان الرجل يبلغ نحو الستين من ال
على الكآبة والتعب والقوة كأنه من أوا
اعتزلوا الخدمة طلباً للراحة
أما الفتاة فكانت تبلغ نحو الخامسة
جميلة المينين يدل ابتهاجها بكل ما تراه
المدرسة أو من الدير
وقد فخص ماريوس الرجل والفتاة يومين
يتنبه اليهما أما هما فكانا يتحدثان فكان الرجل يتكلم قليلاً ولكنه

كان ينظر اليها نظرات ملؤها الحمى والابدى
وكان ماريوس قد اتخذ عادة أن يتنزه في رواق طويل من
هذه الحديقة وكان الرجل والفتاة يتبرهان فيه أيضاً فيسير من اوله
الى آخره ثم يعود

وهو يفعل ذلك خمس مرات على الاقل فيرى الفتاة وأماها عشر
مرات في ذهابه وإيابه كل يوم دون أن يحببهما
واتفق أن صديقاً لماريوس رآهما مراراً ولم يكن يعرف اسميهما
فلقب الرجل بالمسيو لبلان إشارة إلى شعره الأبيض ولقب الفتاة
بـ لانا لانوار إشارة إلى شعرها الأسود فلزمهما هذا اللقب
أ به تسهيلاً للإشارة إليهما في سياق الحديث

ثانيه انقطع ماريوس عن زيارة الكسمبرج نحو ستة
أشهر ذهب نواً إلى ذلك الرواق ورأى لبلان وبنته
تعودا ان يجلسا عليه فرأى أن الرجل
قد بات الآن جميلة الطلعة براقه
في الملابس فلما مر بها ماريوس لم ير
نه رأى أهدابها الطويلة ترسم خيالها
بها ألطف ابتسام

بها انة ثانية لهذا الرجل ولكنه عرف
بـ عينها وان الفتاة أصبحت صبية في مدة
سنة شهر فتغير هذا التغيير وقد نظر اليها ونظرت اليه فرأى في

عينها صفاء يدل على صفاء قلبها
 وكانت نظرتها اليه دون اكرات وهو كذلك لم يكثر لها
 غلبت على ذلك بضعة أيام
 الى أن التقت نظراتهما يوما فرأى انها لم تنظر اليه تلك النظرة
 البسيطة التي لامع لها بل شعر ان هوة سرية قد فتحت ثم
 قفلت حاة فسكاتها نظرت اليه بروحها
 .. وقد شغل قلبه من ذلك العهد فجعل يهتم بملايسه ويصلح
 شعره ولا يفتأ ينظر الى المرأة كل ما وجد الى ذلك سبيلا فلم يعد
 يذهب الى الحدائق للنزهة بل ليرى تلك الفتاة فكان كل ما رآها
 تزيد في عينيه حمالا

وقد انتهى به الامر الى انه صار يجلس على مة
 مقعدها وكانت تنظر اليه كما ينظر اليها .
 بالنظرات انها تحبه كما ايقنت من قبل انه يحبه
 كل ذلك وهو لا يعلم الى الآن انه
 أنه وحده يوما منديلها على مقعدها فوج
 فما أفاداهذين الحرفين شيئاً في معرفة
 وقد تبعهما يوماً بعد الصرافهما الى
 فوقف حتى صعدا سلمه فدنا من البواب و
 ابن يقيم الذي دخل الآن مع ابنته إذ
 البيت قال بل في الثالث منه

— أتعلم ماذا يعمل

— انه من أصحاب الايراد كما يظهر لانه لا يشتغل ولكنه كثير
الاحسان الى الفقراء

— ماذا يدعي

— العل سيدى من الجواسيس

فجبل ماريوس وانصرف

وفي اليوم التالى لم يحضر لبلان وابنته الى الحدائق ومضى
على ذلك أسبوع دون أن يراها فذهب الى المنزل فرأى النور
ينبعث من نوافذه فقرع الباب وجاءه البواب فقال له
أد أن أرى الذي يقيم فى الدور الثالث
واب وقال له انه ترك المنزل وأقام فى سواه

٢

رف ماريوس وقد اسودت الدنيا فى

بل الشتاء وماريوس لا يجد أثراً لتلك الفتاة

وقد عاد يوما الى غرفته فوجد صاحبة المنزل مفضبة لان
جيرانه في الغرفة لم يدفعوا لها أجرة الشهر وأنها تريد طردهم
فاشفق عليهم ودفع عنهم الأجرة

وفي تلك الليلة عاد من المطعم الذي يتعشى فيه فلما وصل الى
منزله وجد عند بابه منديلا مفتوحا فوجد فيه أربع رسائل

وقد دخل الى غرفته فابار الشمعة وقرأ تلك الرسائل فوجد
ان واحدة منها بعنوان المركيزة دي كريشراى وتوقيعها باسم
ضابط اسباني ووجد الثانية بعنوان الكونتيس دي مونتفران
وتوقيعها باسم امرأة باليرار

ووجد الثالثة بعنوان الموسيو بابورجونا

وتوقيعها باسم جتفلون من الكتاب

ووجد الرابعة بعنوان رجل الخير و

وتوقيعها باسم فابانتو من الممثلين
وكل هذه الرسائل المختلفة الـ

معناها وهو طلب الاحسان

وقد عجب ماريوس من هـ

توقيعها أنها من أربعة أشخاص

الذكان المنبعثة منها كانت تدل على

فلما وجد أنه لا يستطيع حل هذا الأمر

وألقاها على المنضدة وأقام

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي أخذ يشتغل فيها
هو على ذلك قرع بابه فأذن للطارق بالدخول فدخات إليه صبية
لا تتجاوز ستة عشر عاما وهي هريفة الجسم نحيلة الاعضاء لم تكن
لابسة والفصل فصل شتاء غير قبيح رفيع وتورة شدتها على وسطها
بخط وكتفاها طريان

جعل ماريوس يتمن بها ويذكر أنه رآها قبل ذلك فقال لها
ماذا تريدن أيتها الأنسة

قالت لقد جئتك برسالة يسيدى ماريوس
ومحب كيف أمها تعرف إسمه وأخذ منها الرسالة ففحصها وقرأ

ر «

لما تفضلت به علينا من دفعك أجرة غرفتنا

لم فتضمره القلوب

كيف أننا لم نذق طعاماً منذ يومين

الينا نظرة رفق وأحسان فاشكرك

(جوندرت)

— جوړ ديت —

ولقد تلقى ماريوس هذا الكتاب فكان دهشه عظيما حين
تبين خطه وأيقن أنه نفس الخط الذي كتبت به الرسائل الاربع
التي وجدتها أمس عند باب المنزل

ولم يكن يعرف من حيرانه على طول عهد الجوار سوى أنهم
من الفقراء المائسين ولكنه علم الآن حلياً ان الفقر والشقاء دفعا
جاره إلى استدرار حسنات الناس بمثل هذه الرسائل وانه يبحث
عن المشهورين من أهل الاحسان فيرسل اليهم الكتب مع بناته
وقد أشفق عليه وعلى بناته

أما تلك الفتاة فانها كانت تذهب وتروح
كلّفة وقد رأت كتابا على المصدرة فقالت
تم تناولت الكتاب وقرأت فيه
« لقد صدر الامر الى الجنرال
« على قصر هو هجوم الكائن في و »
وقالت .. واترلو .. اني أعرف
حرت في هذا العصر وقد حضره

جميع عيلتنا من حزب بونابرت .. نعم
فقد تعلمنا من قبل . واني أعرف الكتابة اي
على ورقة كانت على المنضدة عبارة قالت لها أختها أمس وهما في

الشارع « الحذر من البوليس »

ثم حدثت ماريوس فقهتهت ضاحكة وقالت

أتعلم ياسيدي انك فتى جميل

وقد دنت منه فوضعت يدها على كتفه وقالت

انك لانتبه الي ولكنى اعرفك ياموسيو ماريوس فانى

لقيتك مراراً على السلم ورأيتك مرة دخلت الى منزل مليون

الكائن فى جهة اوسترليتس

أما ماريوس فانه ابتعد عنها قليلا وقال لها

لقد لقيت أمس رسائل أظن انها لكم فاسمعي لى أن أرد لها

اياها فصنفت بيديها وقالت

اي مع أحتى فى كل مكان فلم نعر عليها . . أين

الشارع . . انها لاشك سقطت منى وأنا

حين شعرنا بضياها حذراً من أن

اها الى أصحابها فلم نزل شيئاً

ل فخرجت واحدة منها وقالت

ذهب كل يوم الى الكنيسة وهذا

بها عله يعطينا ماتعشى هـ

بعدنا اليوم . . اتنا نكون قد ظفرتنا

فتذكر ماريوس بقولها هذا ما جاءت اليه من أجله ويبحث في
كل جيبه فكان كل ما وجدته خمسة فرنكات وستة عشر سنتيما
فأعطاهما الخمسة فرنكات وأبقى السنتيمات وهو يقول في نفسه
سأتغذى بما بقي وسأرى في المساء ما يكون
أما الفتاة فأخذت الخمسة فرنكات وخرجت راكضة وهي
تقول لا بد لي أن أرى الشيخ في الكيسة فعسى أن تتغذى اليوم
وأن تتعشى كسائر الناس



لقد عاش ماريوس خمسة أعوام عيش الفقراء فظهر له الآن
أنه عرف شيئاً وغابت عنه أشياء بل أنه رأى أنه بالـ
حقيقة الشقاء حتى رآها اليوم ممثلة في تلك الفتاة
وذلك أن من لم ير غير شقاء الرجل لم
فليتنظر إلى شقاء المرأة ومن لم ير إلا شقاء
شيئاً فليتنظر إلى شقاء الأحداث
أن الرجل حين يصل إلى أقصى
الحزن نفسه إلى أن يصبح من غير مور
حين يصبح من غير عمل ويعوزه الخبز
فإن كل ذلك يفقده بفقد الموارد فإن نور
ونور الرجاء ينحدر لدى بصيرته

ويأويل من يدفعه القنوط إلى ارتكاب الجرائم ويحمله الجوع

على استخدام امرأته وبناته وبنيه فيما لا يريدونه ولا يريدونه فيعملون
يداً واحدة على قتل الشرف والعاطفة والمروءة والشعور والطهارة
وتضحية كل ما يقبهم خطر ذلك الجوع

وقد هال ماريوش ما لقيه من هذه الفتاة ونهته الى ما لم
يخطر له من قبل فعنف نفسه لتغاضيه عن شقاء جيرانه

نعم انه دفع عنهم أجرة الغرفة ولكن هذه المروءة يقدم
عليها كل انسان له شيء من الشعور

اما هو فقد كان يجب عليه أن يفعل أكثر مما فعل مع جيران
لا يفصل بينه وبينهم غير جدار رقيق وهم يطوون يومين على

الى الجدار الفاصل بينه وبينهم وهو يقول هذه
ة فوق سريره تطل على غرفتهم شطر له أن
على حقيقة أمرهم وصعد من موره الى السرير
النافذة الى داخل الغرفة

نظره قذارة تلك الغرفة وأساخ كل ما
من كرسي من القش ومائدة عرجاء وآنية
على عليه القدم

في الغرفة غير نافذة واحدة تسبح عليها
منها غير نور ضعيف كان يرى منه وجه الرجل

وهو يشبه الخيال

وكانت الجدران محفرة تشبه وجها شوهته الجدرى وكذلك ،
سقفها وقد رأى على أحد جدرانها صورة كبيرة لها أطار من
الخشب كتب تحتها « الحلم » وهي تمثل امرأة نائمة وطفلا نائما على
ركبتها ونسرا محلقا بين الغيوم يحمل بمنقاره تاجا والمرأة تزيج تاجا
عن رأس الطفل دون أن تنتبه من رقادها

وفي الوسط نابليون بعلء مجده وهو متوكأ على عمود غليظ
أزرق كتبت عليه هذه الكلمات

مارنجو .. اوسترلتيز .. يانا . وارغرام . اللوت .

وهي أشهر المواقع التي انتصر فيها نابليون

وقد رأى ماريوس على المائدة أدوات الكتا

وراءها وهو ضعيف هزيل له لحية طويلة وخطا

وكان يلبس قميص امرأة وحذاء خرجت

وهو يكتب ويدخن وربما كان يكتب ر

اطلع عليها ماريوس

وكان يكتب ثم يتوقف عن الـ

فيقول

نعم ان المساواة مفقودة حتى بالـ

ان الاغنياء يدفنوهم في مكان رصفت أرد

الوحول وغرست الاشجار في جانبيه فلا تلد

ويدفنون الفقير تحت حيث نفوس في الوحول إلى الـ

ثم ضرب المائدة بيده وحرق الارم من القهر وقال
انى سآكل العالم
وكان بالقرب منه امرأة تبلغ الاربعين من العمر وهي جالسة
على الارض ولم تكن لابسة غير قميص رفيع
وبجانبها فتاة هزيلة صفراء حافية القدمين تكاد تكون طارية
وربما كانت أخت الفتاة الذى جاءت الى ماريوس
وقد سكت الجميع فلم يعد يسمع غير صرير قلم الرجل على
الورقة وتهدت المرأة من حين إلى حين
وكان ماريوس قد حاول النزول من المكان الذى يراقب فيه
أى ولكن رأى عند ذلك أن الفتاة التى جاءت
الغرفة فاقفلت الباب عن ورائها وقالت بלהجة
تنصار

قال لها

سانت جاك

— بين انه قادم

— نعم فهو في أثرى

— أ أنت واثقة من قدومه
— كل الثقة فهو قادم في مركبة
— كيف يأتي في مركبة وتصلين قبله . . . اني رشدته الى الغرفة . . .
وجدته في الكنيسة . . . أعطيته الرسالة
— هذا تفصيل ما جرى فاني دخلت إلى الكنيسة فلقية في
المكان الذي يجلس عادة فيه فاعطيته الرسالة فقرأها وسألتني أين
تقيم فقلت له أنريد ياسيدي أن أذهب بك قال كلا بل أرشدني
إلى البيت واسبقيني اليه لصل في حين واحد فاني ذاهب في مركبة
فلما أرشدته الى غرفتنا طهرت عليه علام الدهشة والبهجة . . . ثم قال
حسناً فاذهب

وقد صرت إلى انتهاء الصلاة ورأيت ركبته
وذهبت بهما الى حمة السوق فأتيت وهذا
— اذن كيف تقولين أنه قادم في اثر
— لقد رأيت مركبته في شارع
فوصلت قبله فوقف الرجل عند ذلك
أسمعت أنه قادم فأسرعت الى أطراف
فأسرعت ممثلة الى المستوقد و . .
وقال لبنته الكبرى فأنزعى القس . .
وقال لابنته الصغرى وأنت اذهبي الى . .

فوقفت الفتاة مترددة وهي تقول أن الرد شديد والثلج ينهر
فأنهرها فأسرعت إلى الزواج فكسرت ولجأت إلى زاوية أتقاء
للهماء فقد كان ومهرياً

وعند ذلك دنت منه امرأته فقالت له

ماذا تريد أن تصنع أيها العزيز

قال أريد أن تسامى في فراشك وإن تمارسى

وعند ذلك سمعت بنتها الصغرى تسكى فالتفتت إليها فرأت

الدم يسيل من يدها فقالت لزوحها

لقد أخطأت في ما أمرتها به من كسر الزواج فأنها جرحت يدها

أردت ذلك حصيصاً لأنى كنت أتوقعه

الك

لأحب الاعتراض والآن فانت مريضة وابنتك

والزواج مكسور فستطيع استئصال ضيقنا

قالت لها

ستكدرين أباك

ريد أن تبكى وتشقى بالبكاء فان شيقها

نيره

وقال لها

سيد فاذا لم يحضر هذا الرجل أكون كسرت الزواج

وجرحت يد ابنتى وأطقت النار عبثاً وما عليه إذا تأخر فانه

يقول في نفسه ليصبروا . والله ماوددت الا أن تجمع أعناق كل هؤلاء الأغنياء في عنق واحد فأخقه بيدي . . انهم يتصدقون على الفقراء ببعض دريهمات لا يلتصون بذلك غير المباهات وطلب الجاه ثم يحسون أنهم أصبحوا فوق البشر

ولقد يأتونا بملابس تقينا الرد كما يقولون ونخز بقينا الجوع ولا يعطوننا درهما لحذرهم أن نتفقه على السكر . ومن هم هؤلاء الأغنياء وكيف صاروا من اهل الثروة والجاه انهم جمعوا أموالهم من عرق الفقير وامتصوها من دم المجتمع الانساني فليروا ما سرقوه دون مباهاة فلا سبيل الى الفخر

وعند ذلك قرع الباب قرعا خفيفا فأسرع الرجل .

ثم انحنى بملء الاحترام وقال

تفضل ياسيدي بالدخول . . تفصلي ياسـ

تشریف هذه الغرفة

فنظر ماريوس من البافذة الى الداحـ

أبها ف شعر أن الدم جمد في عروقه و

وصاح قائلا

رباه هذه هي

أما الفتاة فاتها دخلت الى الغرفة

معها صرة من الثياب فوضعتها على المائدة

وراء الباب وجعلت تنظر الى قبعة الزائرة الخفية

والدموع تكاد تسيل من عينيها

أما لبلان فانه دنا من حوندريت وقال له
انك تجدد في هذه الصرة ملابس جديدة وأعطية من الصوف
تقيكم البرد فانه شديد في هذه الايام
فأنحى حوندريت شاكرآ حتى كاد يبلغ الارض وهمس في أذن
ابنته فسألها قائلاً

بأى اسم وقعت على الرسالة التى كتبتها اليه

قالت باسم قابانتو

وعاد لبلان إلى محادثته فقال

أرى أنك فى حال تحمل على الاشفاق يا موسيو . .

— انى أدعى ياسيدى قابانتو

انك من الممثلين الذين رعوا هذا الفن الجميل

لميد قلما ياسيدى وقد نجحت نجاحاً باهراً فى ماضى

ما . . . من الشقاء فأصبحت من غير خبز ويات

فى نكدى انكسار زجاج النافذة ومرض

ى تبتنى الاقدار منى بعد هذا . . انظر

حريحت يدها وهى تشتغل بآلة ميكانيكية

كسب ستة سانتيمات وربما قطعوا يدها بعد

ول

م ياسيدى والأسفاه

وكان جوندريت يحدث لبلان منذ هنيهة وهو ينظر اليه

نظرات غريبة ويبحث في ذاكرته اذ حيل له أنه رأى هذا الرجل
قبل الآن

وشغل الرجل عنه محادثة بنته فدما حو يدريت من امرأته وقال
لها بصوت منخفض

امعى النظر بهذا الرجل ألم تعرفيه

ثم عاد الى لبلان وقال له

انظر ياسيدى الى ما أنا فيه فليس لي قميص ألبسه حتى اضطررت
ان ألبس قميص امرأتى ونحن في أشد أيام الشتاء
ولم يبق لي ثوب أخرج به ولو كان لي ثوب للبسته وذهبت
الى مدموازيل مارس (ممثلة شهيرة) وهي تعرفى ،

فقد مثلت معها في الريف فلا أعدم بواسطتها و .

ولكن ما حيلتى وليس لي درهم ولا ثو

وابنتى مصابة بجرح خطر فكيف اداو بهما و .

وفوق ذلك فاني مدين لصاحبة الغرفة

نتوعدنى كل يوم بالطرد فكيف أفياها و

فاخرج لبلان خمسة فرنكات من جيب

جوندريت في نفسه

ويح لي منه فماذا أصنع بما أعطاني إيا

الكرمى الذي قطعته والزجاج الذي كسرتة

أما لبلان فانه اتقبه لامتعاضه فقال له

خذ الآن هذه الدراهمات فاشتر بها ما يتيسر إدا ليس لي سواها
الآن وسأعود إليك في هذا المساء أليس اليوم موعد دفع أجرة الغرفة
— نعم يا سيدي فإذا لم أدفع في الساعة الثامنة طردوني
— كم تبلغ قيمة المتأخر عليك

— ستين فرنكا

— إذن سأكون عندك في الساعة السادسة وأحيئك بهذا
المبلغ والآن أستودعكم الله

وقد مشى مع بنته الى الباب فاستوقفه جوندريت قائلاً

لقد نسيت مترتك الخارجية يا سيدي

توكتها

مبرك يا سيدي فاسمح لي أن أوصلك الى المركبة

لمخرج فالبس هذه السترة فان البرد شديد

الى باب المركبة

من هذا المنظر ولكنه في الحقيقة

بالنظر الى ابنة لبلاذ كان يراقب كل

الثياب وحين كلمت المرأة المتمازضة بملء

الحس

ما أراد ودون رقيب فسمع نبرات صوتها

الى من يسببها بالنبرات الموسيقية ورأى وجهها وعينها وقدمها

فانه حين كان يلتقاها في لكسمبورج كان يسارقها اللعظ مستحييا
ويود لو خسر عشرة اعوام من عمره على أن يسمع صوتها
فلما رآها خرجت مع أبيها لم يخطر له غير خاطر واحد وهو
أن يتبعها ليعلم أين تقيم

وقد وثب من فوره الى الارض فاخذ قبضته وخرج من غرفته
فلما وصل الى الشارع رآها فعدت مع أبيها في المركبة
وسارت بهما

وقد رأى مركبة سائرة على مسافة قريبة منه من مركبات
الاجرة فاسرع اليها فاستوقف سائقها وقال له
الى استأجر مركبتك بالساعة

حك السائق ابهامه بسبابته اشارة الى ما

له ماريوس ماذا تريد

قال أريد أن يكون الدفع مقدما وهذا

قال كم الاجرة

قال فرنك في الساعة

فذكر أن لم يبق معه غير ستة د

سأعطيك حين رجوعنا

فلم يجبه السائق بشيء بل ضرب

لا يلوى عليه

فاصيب المنكود بما يشبه اليأس لصياع هذه الفرصة الثمينة

بسبب فرنك واحد ولعن تلك الساعة التي جاءت فيها تلك الفتاة
فأعطاهما كل ما كان لديه وعاد الى غرفته وهو شبه المجانين
ثم ذكر ما سمعه من لبلان وهو أنه سيعود في الساعة السادسة
من المساء نخف شحمه وقال سأتبعه حين انصرافه في الليل فأعلم
أين يقيم

وكان قد رأى حين دخول جوندريت يحدث رجلا من أهل
الشبهات وهما واقفان لا يباليان بالثلج الذي كان يتساقط عليهما
ولما صعد السلم وحاول الدخول الى غرفته رأى ابنة
جوندريت الكبرى تنسعه فاستاء لمنظرها وبانت تسمع في عينيه
أكة

، غرفته فلم يكذ يستقر فيها حتى دخلت اليه

ذا تريدن

نحيب فقال لها

مادا تريدن مي

بة ياموسيو ماريوس فماذا اعتراك

فما أنا بكثيب

— بل ان كل مافيك يدل على الحزن

— دعيني وحدي

— انك رجل كريم ياسيدي فانك على فقرك كمت من أكرم
الناس في هذا الصالح فاسترسل في هذا المجال وقل لي ماذا أصابك
وما هذا الحزن الذي يتولاك وكيف أستطيع تفريحك . . اني
لأسألك أن تبوح لي بأسرارك . . ولكنني قد اتفعلت كما اتفعل أي
بارسال الرسائل والذهاب إلى المنازل والبحث عن العنوانات
واقتفاء الآثار إلى غير ذلك . . اني أصلح ياسيدي لكل هذا
فاستخدمني في ما تشاء من اغراضك على أوفق إلى كشر هذا
الغم عن صدرك

خطر له عند ذلك خاطر سريع وقال لها
اصفي إليّ قلبك أثبتت الى هنا مد هنيه
كذلك

قالت نعم

— هل تعرفين عدوانه

— كلا

— أنت تعلمين ما رفته

فاتقدت عينها ببارق من السرور و

أهدأ الذي تريد

— أنعرف الرجل وبنته

— كلا

— أى ابك لا تعرف هذه الفتاة وتريد أن تعرفها

— أتريدن أن تمحني عن عنوانها

فمظرت، إليه محذقة وقالت

ماذا تعطيني

— كل ماتشائين

— كل ماشاء

— نعم

ان، ستعرف العنوان

طريقة الرأس وجلس ماريوس على كرسي يفكر

كسمع صوت حماره يقول

ياثق ، به

ييعنيه بحديثه ألهه يعنى

والد انتى أحبها

ه التى كان يراقب منها غرفة جاره

ن سوى ان المرأة شفيت من مرضها

ه

نقول

قال من المص، فتدرايته منذ ثمانية أعوام سكان كما أراه اليوم

ألم تعرفيه أنت

— كلا —

— ولكنني نيهتك اليه فانه لم يختلف عما كان عليه في شيء
سوى انه ظهر عليه الكبر قليلا
ثم التفت إلى بنتيه وقال لهما
ادھبا أتما في شأنكما ولا تمودا خاليتين
فاعرضته زوجته قائلة
أتذهب ويدها جريحة
قال لا بأس فان الهواء الطلق يفيدهما
ثم قال للفتاة الكبرى يجب أن ترعى مع أختك في الساعة
الخامسة فاني قد احتاج اليكما
فذهبت الستار وبقي جوندريت مع زو-
وايلا في الغرفة
ثم وقف، فجأة وقال لها
أتريدين أن تعلمي من هي هذه اللة
فايقن ماريوس من انه يسير الى
الاصغاء فقالت المرأة
من هي
قال انها هي بعينها
— هذا محال فاني حين أرى بنتي تسير
في قلبس الحروب، تمشي مشيه كبار السيدات لأأصدق عيني

كلا فانك واهم . وبعد فان تلك كانت قبيحة السحنة وهذه تكاد
تكون من الجميلات

— لقد قلت لك انها هي بعينها وسترين

فرفعت عينيها الى السقف شأن القانطات بعد أن أكد لها
زوجها هذا التأكيد ثم هدوت السماء قبضتيها فرأى ماريوس انها
أشد هولاً من زوجها وان هذين الزوجين لم يأتلعا الا وهما متفقان
في الطباع والمشارب

وبعد أن بدت منها تلك العلام الدالة على بأسها نظرت إلى
زوجها ^{١٠} "تكني أن تكون هذه الحساء التي كانت تنظر اليها
الاشفاق تلك الصعلوكة ذات الاطوار إذن سافقاً

ننحت أعصابها واتسعت حدقتها

د الى المشي في الغرفة ثم وقف حذاء وقال
بها أمراً آخر

وتى وساكون من الاغبياء

به وهي تحسب أن عقوله قد اختلط

ال

منه من الشقاء والى في كل يوم اذا وجدت

الخبز حفت الموت من البرد واذا وجدت النار حفت الموت من

الجوع . . نعم لقد كفى واني أريد أن أأكل حين أجوع وان
أشرب حين العطش وان أعيش من غير عمل عيش أصحاب الملايين

— ماذا نعى عما تقول

— أصنى الى

— ولكن اخفض صوتك اذا كنت تريد أن تقول أمراً

خطيراً حذراً من أن يسمعوك

— من عساه يسمعنا غير حارثا فقد رأيتـه خرج من المنزل

فأمضى ما أقوله فقد وقع هذا الرجل في الشرك فاني درت الامر

واتفقت مع شركائي وانه سيأتى اليـا في الساعة السـ

تس

فرنكا ونو موعـ . . خروج حارثا من غرفته للعشاء فانه

الساعة الحادية عشرة ومع ذلك فاذ المتين يراقبـا

تساعدينا فلا بد له من أن يمثـل

— واذا لم يمثـل

— نكرهـه على الامتثال والآذ فـا

الرفاق وسأعود قريباً فترين كيف يكوـز

— ولكنى أعجب كيف انه لم يعرفـه

— أنه لو عرفـه لما وعد بالرجوع اليـا

كنت متمازضة فلم يـمين وجهك واما انا

اللعبة الطويلة التي أرسلتها وأما البنـتان فقد رأهما

خذي فاشترى لنا فخا

وقد أعطاهما خمسة فرنكات فقالت بكم اشترى

قال بفرنك

— والباقي اشترى به طعاما

— كلا لا تنفقى كل ما أعطيتك

— لماذا

— لاني محتاج الى شراء بعض أشياء فهل يوجد خردجى هنا

— يوجد دكان فى شارع^١ مونتقارد

— لقد عرفتها

— الى كم تحتاج

— ١١ هـ سكين

فى غير القليل للطعام

م ان نهتم اليوم للطعام فان لدينا مايشه لباعنه

ت

م. ف فلم يفت ماريوس كلمة من كل ما قيل

المضاء والعزيمة وقد جمع بين صدق

بلا كالبراهمه وشديدا كقضاة المحاكم

بصفور ادا به يسحق الافعى

واتما وقع نصره الآن على جب تسكن فيه الافاعى فقال فى

نفسه لا بد من رد كبد هؤلاء اللصوص الى النحر

وكان يرجو من مراقبته أن يكشف شيئاً من ذلك السر الذي
دق عليه فلم تزد غير تعقيد واسهام اذ أنه لم يفهم شيئاً من لبلاّن
سوى ان جوندريت يعرفه

وخلاصة ما علمه مما رأى وسمع أنهم ينصبون نخاهاتل للرجل
وابنته فان ابنته قد تنجو من هذا الفخ أما هو فانه واقع فيه
لا محالة فلا بد اذن من صيانتة من هذا الخطر

ثم انه شعر بعاطفة سرور حين رأى أنه سيقذف الى بحبها .
ولكن كيف السبيل الى اتقاذها أيخبرها بالخطر المحقق بابيها
وهو لا يعلم أين يحده

أم أنه ينتظر عند باب المنزل الى أن يأتي
فيخبره بالمكيدة التي يكيدونها له
ولكن جوندريت ورفاقه سيرا قبون
رأوه عرفوا قصده فيقبضون عليه ويبعد
فهم مع الذي يريد اتقاذه فلا أفادوا
اذن لم يبق له غير أمر واحد
وقد لبس ثيابه حين أقر على هذا .
الغرفة يمشى مشياً وثيداً دون أر
خطواته وانصرف

فلما صار في الشارع وصل الى جدار منخفض
جرداء وسمع أصواتاً من وراء ذلك الجدار

فاطل منه فرأى رجلين جالسين على الثلج وهما يتحدثان بصوت
منخفض ولكنه باطلا له من فوق الجدار كان حديثهما يصل اليه
فسمع أحدهما يقول لصاحبه

ان زعيمنا ماتولى عملا الا كان رائد التوفيق

فأجاب رفيقه قائلا

هو داك ولكن كم ترحوا أن تكون حصة الواحد منا من هذه

الغنيمة

— خممئة فرنك أوسجن خمسة أعوام على الاكثر

— ا- خير غييمه لو كان البجاح مصمونا

لمت لك أنه مصمون فاطمئن وكفى

يث فتركهما ماريوس والبصرف وذهب من فوره

مراكر البوليس وهو يشكر الله لاعطائه ابنة

برنسكات لانه لو بقيت معه لاقتنى أثر لبلان ولم

على المكيدة وكم ينتج الخير من الشر وعسى

حير لكم

البوليس سأل عن القوم سير فقيل له

لكن يوجد مفتش يذوب عنه فاذا شاء

فرضى ماريو - لا فرق عنده بين الاثنين ودخل الى ذلك

المفتش فرأى أن وجهه لا يقل توحشا عن وجه جوندريت

وقد استقبله المفتش قائلا

ماذا تريد

قال أريد أن أرى قومسيير الدوليس

— انه غائب وأنا أنوب منابه

— ان الامر سرى خطير

— قل

— وهو يدعو الى السرعة

— اذن أسرع بالقول

فاحره ماريوس بكل مارآه وسمعه حتى اذا فرغ من حكايته

سأله المفتش قائلا

أين جرت هذه الحادثة

قال في شارع الغراب و مرل نمرته ٥٥

فرجع المفتش رأسه وقال

أى الغرفة الوسطى الكائنة في آخر الـ

— هو داك فهل عرفت هذا المنرا

— نعم عرفتة كما عرفت جميع رـ

يستحيل أن يختبئ في ذلك المنزل لصيقه

ثم نظر محذقا الى ماريوس وقال له

هل خفت

— ممن

— من هؤلاء الناس
— ابي لا أخافهم كما انى لا أخافك
واما قال له هذا اتقول الجاني لانه منذ محادثته الى الآن لم
ينعته بلقب « سيدى » المألوف فى المحادثات
فأما به المقتش قائلا
انك تقول قول رجل باسل شريف فان الماسل لا يخاف
المجرم. والشريف لا يخشى الحكم
— والآن على ماذا عزمت
— لقد أحررتى انك مقيم فى هذا المنزل فلا بد أن يكون
لديك

ل له

ن لا تأتني وحسدك فليس هؤلاء الاشرار

ه الكبير وأخرج منه غدارتين فأعطاه

ايها

رتير وارجع إلى مراك فاختى، فى غرفتك

ودعهم يتوهمون انك خرجت منها

أما الغدارتان فان كل واحدة منهما محشوة برصاصتين وقد

قلت لي أنه يوجد في غرفتك نافذة تراقب منها فقف هناك الى أن
يأتي الاشقياء ودعهم يتجادون قليلا حتى اذا رأيت الامر بلغ غايته
اطلق غدارة وعلي البقية

وانما يجب أن تطلق الغدارة في الهواء واحذر أن تطلقها
قبل أن تراهم بدأوا تنفيذ قصدهم السيء فانك من المحامين أريد
أنه يحب القبض عليهم وهم متلبسون بالجريمة كما تقولون
في اصطلاحكم

فوضع ماريوس الغدارتين في جيبه وقال سأفعل كل ما أوصيتني
به بالتدقيق

— والآن فاذهب فان الوقت ثمين والموعد في الساعة السابعة
أليس كذلك

— كلا بل الساعة السادسة

— لا يزال الوقت مسعاً لدي فاذهب و

لك فودعه ماريوس وانصرف حتى اذا وصل الى
اذا احتجت الى قبل الساعة السادسة أو حذر
الى هنا وارسل الى أحداً من قبلك يسأل عن:

بعد هنية كان صديقان لماريوس مارين بشارع
يتساقط عليهما وهما يسيران ضاحكين غير مكترئين
وعند ذلك حانت التفاته من أحدهما ورأى ماريوس يسير

مستمعجلا فقال له الرقيق أما ترى هو ذا صديقنا ماريوس
قال لقد رأيته فلا تكلمه

— لماذا

— لانه مشتغل

— لماذا

— ألم تر وجهه

— ماذا يدل وجهه

— يدل على انه يقتني أثر أحد من الناس

— ولكن من ساء يقدر

أن يكون من العشاق وهو يتبع التي يهواها
لا أحد فيحة ولا حساء في هذا الشارع

وقال

حل ألا ترى

أي رجلا يسير أمام ماريوس وقد خط الشيب

مودة طويلة من نوع الرذخوت وبنطالون

قديم رف

ج

فلم يتألم من المصحك وقال

ما هذا الرجل

قال لاشك انه شاعر فهذه ملابس الشعراء

— ادن هلم بنا نقتبعه لنعلم الى أين يسير

— ويحك هل رأيت من يتبع رجلا يقفوا أثر رجل
فتركاه وانصره وهما يضحكان

وقد صدقت فراستها فان ماريوس كان يتبع جوندريت وكان
جوندريت يسير أمامه وهو لا يخطر له في بال أن ماريوس يتبعه
وقد رآه احتار ذلك الشارع ودخل الى كوخ حقير في شارع
آخر فأقام فيه ربع ساعة ثم خرج فعاد الى الشارع الذي كان فيه
وهناك دخل الى دكان حردحي وخرج بعد هبة يحمل
أزميلا ضحها ستره تحت سترته وذهب الى شارع مانكة حتى انتهى
الى الجدار الذي كان ماريوس قد اطل منه رأى الرجلين يتبعان
وكان ماريوس قد بلغ الى سعة ما احتبأ فيه ورأى جوندريت
قد التفت الى مسوالية فلما لم يجد من يراقبه تسلم
منه الى الارض الحرداء

رسد ذلك أسرع ماريوس عائداً الى المنزل
دور أن يشعر به أحد

وكان من عادة صاحبة المنزل أن تدعى
فراى ماريوس حين دخوله أربعة رجال
الغرف دون أن يروه ودخل الى غرفته و

ولم يمض طعنا على مريوه وهو قائم في مهابة التفكير الى
أن بلغت الساعة الخامسة يذهب ولم يبق فيه وبين موعد الجنابة
غير نصف ١١٠٠

وكان المطر قد انقطع وزغت أشعة القمر سفدت إلى غرفته
واغتمها عن المصباح

وكانت غرفة حوندريت ميرة ولكن السكوت كان سائد فيها
وبعد هبمة سمع صرير المفتاح في الباب الخارجي تلاه وقع
خطوات شديدة وأيقن أن الداخل حوندريت

أما حوندريت فانه حين دخل استقبته امرأته وبدأت وكانت
امرأته ساكنة في غيابه سكوت أدنية في غياب الدئب فقال لها
ان الورد شديد وأخاف أن تحمد كلماتي قبل أن تصل إلى
مسمعك بل أشعرني أمشي بغير قدمين

قالت ادن من البار تدفأ

فنظر إلى بنتيه فرآهما لستين خير ما عندهما من الملابس
فقال لهما

لقد أن هده الملابس تدعو إلى الثقة

فقلت حداثهما اننا ننتظر عودتك لذهب

قال اذهبا ولا تنسيا شيئاً مما قلته لكما

ثم نظر فرأى أثر طامم على المائدة فقال ماهد الطامم

فقلت له امرأته لقد كان عندها بقيت من البطاطا فاعتمت

فرصة زجروا النار ونسويتها عليها

قال لا بأس سأجيبكم غدا بطعام لا يوحده على هؤلاء الملوك

ثم قال لانه أنه صعب هذا في النار

فسمع ماريوس صوت حركة الفحم حين يسكونه بملقط أو
بآلة من الحديد ومضى جوندريت في حديثه فقال
هل ذهبت زلاج الباب وقفلته بالشحم كي لا يسمع له صوت
قلت نعم

— كم الساعة الآن

— ستبلغ ستة بعد قليل

— وهل أتى الرفاق

— لقد أتى أربعة منهم وهم في الغرفة

— وجارنا

— ذهب لم يعد بعد دانت تعلم ان هذا وقت عشائه

— أ أنت ووائقه مما تقولين

— كل الثقة

لا بأس من البحث

ثم أمر احدي ننتيه وكاتنا على وشك الذهاب راجعه ان

تأخذ شمعة وتبحث في غرفة ماريوس

فسمعه ماريوس وأسرع فاحتبأ تحت سريره ودخلت الفتاة

فلم تجد أحداً فعادت وأخبرت أباها فأمرها أن تذهب مع أختها

فتقف احدهما في عطفة شارع بانكيه والاخرى في مدخله وان

تنظرا الى باب المنزل فاذا رأتا ماريوب تمرطان اليه .

نخرجنا ولم يبق في المنزل غير ماريوس وجوندريت وامرأته
واللصوص الارسة

ورأى ماريوس عند ذلك انه قد حان الوقت للمراقبة فصعد
الى تلك المافذة التي كان يراقب منها فرأى نوراً عظيماً
ولم يكن هذا النور ينبعث من الشمعة وحدها التي كانت مضاءة
بل من لهب النار في المستوقد
وقد رأى في إحدى زوايا الغرفة حداً ثقيلاً مختلفاً وحبالاً
ورأى جوندريت جالساً على كرسي يدخن وامرأته تمحدث بصوت
منخفض

ثم رفع جوندريت صوته فقال
لقد فطنت الآن فانه لابد له أن يأتي بمركبة لاشتداد المطر
فأنيرى المصباح وأخرجني مقفي وراء الباب حتى يأتي فتبين
طريقه حتى يصعد السلم ثم تعودين إلى سائق المركبة فتقيدينه
أجرته وتطلقين مسرحة

قالت من أين أأتيه بالاجرة
وأخرج ريالاً من جيبه وأعطاه إياه
فقالت من أين لك هذا

قال هو الريال الذي أخذته ابنتنا من جارنا في هذا الصباح
(٤ — في)

وبعد أتعلمين أنه يجب أن يكون عندنا هما كرسيان

— لماذا

— لمجلس عليهما فأين يجلس متى حصر

— إذن سأحضرهما من غرفة جارنا

فارتعش ماريوس مما سمعه ولم يشكك بالافتضاح فأسرع
بالزول من موقفه فاختبأ تحت السرير وهو يعتقد أن هذه المرأة
قد تدقق بالبحث لدهائها فتجده

وقد أشار عليها زوجها أن تأخذ الشمعة فقالت لا حاجة
إليها فاني استعيز عنها بنور القمر ولا أستطيع أن أحملها وأحمل
الكرسيين في حين واحد

فاطمأن قلب ماريوس ودخلت المرأة فأخذت الكرسيين
وانصرفت فعاد ماريوس إلى موقفه وعادت هي إلى الغرفة فقالت
هو ذا الكرسيان

قال وهذا المصباح فاذهبي إلى موقفك

فامتثلت له ونقبت في تلك الغرفة وحده موضع الكرسيين
قرب المائدة وافتقدت الأرميل في المستوقد ثم ذهب إلى إزاوية
حيث كانت الحبال فافتقدها ورأى ماريوس أن هذه الحبال
إنما كانت سلما من السلام التي تعلق في النوافذ ولها عوارض من
الخشب الشائكة الدرجات

وبعد ذلك فتح درج المائدة وأخرج سكيننا ماضي الخدين

فمظر اليه نظرة الفاحص وأعادته إلى الدرج

وعند ذلك دقت ساعة كبيسة سانت مدارست دقات قدم
ووقف مصفياً فسمع امرأته تقول
تفصل ياسيدي بالدحول
فأطل جوندريت من باب غرفته وقال تفصل أيها المحسن
الذي طوق اعناقها بحميلة إلى الأبد
فدخل لبلان وكان أول ما فعله أنه وضع على المائدة ثمانين
فرنكاً بدلاً من ستين وقال
خذ يامسيو طابنتو فهذا المتأخر من أجره غرفتك وشيء
زهيد لنفقاتك التي لا بد منها وسنرى
قال أحسن الله إليك ياسيدي بقدر إحسانك إلينا
وكانت امرأته قد صعدت فهمس في أذنها قائلاً
اطلعي سراح السائق
قالت لقد فعلت

وكان المطر قد اشتد تساقطه حتى أنه لم يسمع صوت المركبة
عند انصرافها ولا عند قدومها ثم انحبس فعادت السماء إلى الصفاء
وعادت أشعة القمر إلى البروغ
وقد جلس لبازن وحاس جوندريت بازائه وأخرج ماريوس
أحدى الغدارتين من حيبه فوقف موقف المتأمل لكل حادث يطرأ

وعند ذلك بدأ لبلان الحديث فقال

كيف حال الصغيرة الجريحة

— انها على شر حال ياسيدى فان احتها الكبرى ذهبت بها

إلى الصيدلية لفصل الجرح وتنظيفه وستعودان فتراها

— ولكن مدام فاننتو قد تماثلت إلى العافية كما أرى

— كلا ياسيدى ولكنها شديدة الصبر قوية الارادة فلا

تطبق الإقامة في فراش لانها أشبه بالثيران منها بالانسان

فقالت له امرأته

أشكرك يامسيو حوندريت

وقال لبلان كنت أظن انك تدعي فاننتو

قال هو داك واني من الممثلين وقد كنت ولا أزال مع

امراتي على حذر حال وماذا عسى يكون مصيرنا لو لم نكن متفقين

على هذا الشقاء لتعاون على احتماله

وأى شقاء بعد هذا فان الايادى موجودة والارادة الكائنة

ولكن القلب غير موحود ولا أدري كيف تتفاضى الحكومة

عن مثل هذه الشؤون فاني لو كنت من الوزراء لكان لي غير

نظر في حالات الناس فلقد باع بما المر إلى حد اني اعلم بنتى

صناعة تجليد الكتب فاني سقو ط هذا بعد ما كما فيه وقد بعث

كل ما كان عندي من أيام الخير غير صورة كنت أحب أن احتفظ

بها ولكن لا بد لي من بيعها ادلا بدلي أن أعيش

وبينما كان جوندريت يتكلم رأى ماريوس رجلا قد دخل الى
الغرفة وهو من أولئك الاربعة الذين رأهم يختبئون وجلس
فقال لبلان من هو هذا الرجل

قال انه حارلسا

قال اسألك المезде فماذا كنت تقول لى يامسيو جوندريت

قال كنت أقول انه بقى لى صورة أريد بيعها

قال ماهي هذه الصورة

قال انها صورة ثمينة من صمم أشهر المصورين أحرص عليها
أشد الحرص لاني تذكرني العهد القديم ولكي قلت لك اني
لا أجد بدا من بيعها . وقد جاءه بالصورة فبيها هو ينظر اليها
التفت فرأى أربعة رجال في الغرفة وكلهم يحملون على الريب فسأل
جوندريت عنهم فقال له

انهم ياسيدى من أصحابى ولا يرعك سوادو حوهم قاهم
يشتغلون بالبحر

أما لبلان فانه نظر اليه نظرة الشك فلم يحفل جوندريت
بنظراته وقال له

أرجوك ياسيدى أن ترحم شقائى وتشترى منى هذه الصورة
فكم تسوى

قال انها من تلك الصور التى يعلقونها فى الحانات وهي تسوى
ثلاثة فرنكات على الاكثر

فأجابه بلطف قائلاً

هل أتيت بمحفظتك فاني أضع بالفريال

فأسرع لبلان الى الوقوف فاستند الى الحدار ونظر نظرة
سريعة إلى ما حواليه في تلك الغرفة فرأى حويدريت على يساره
من جهة النافذة ورأى امرأته واللصوص الاربعة على يمينه من
جهة الباب

ولم يكن أولئك الاربعة يهتمون لوجوده حتى انهم لم يكونوا
ينظرون اليه وعاد حويدريت الى الحديث فقال

انك اذ لم تشتري هذه الصورة أيها المحسن العظيم لم يبق لي
إلا أن ألقى نفسي في النهر فاستريح اذ ليس لي مورد ولا بدلي من
معدات كثيرة لتعلم بنى صناعة التحليلد

وكان لبلان يسطر الى حويدريت ويقول في نفسه

ترى ما أصاب هذا الرجل أعمل الرأس أفقده الصواب

وكان حويدريت يسطر الى الباب نظرات قلق ثم اتقدت عيناه

ببارق مخيف فها من لبلان وقال له

لم يبق فائدة من البحث في الصورة فهل عرفتني

وكان الباب قد فتح حيثد ودخل منه ثلاثة رجال يظهر أن

جويدريت كان ينتظرهم فدنا من أحدهم وقال له

هل تأهتتم

قال نعم

— أين مويتارناس

— انه يتحدث مع بنتك عند الباب

— أية ابنة

— الكبرى

— أبوحده مركبة

— نعم

— أهي تنتظر في المكان الذي أشرت اليه

— نعم

أما لبلال فقد اصفر وجهه وأيقن أنه سقط في كبر ولكن
لم يظهر عليه شيء من أمارات الخوف وحمل المائدة شبه حاجز
بينه وبين اللصوص وجعل ينظر اليهم نظرات هائلة
وعند ذلك دنا الاربعة الذين جاؤا قبلا الى الغرفة من قطع
الحديد التي كانت في الزاوية بجانب سلم الجبال فتسلح كل منهم
بقطعة وعاد جورنديت الى محادثة لبلال فقال له

أما عرفتني

قال كلا

مكتف يديه ودنا منه وقد عرض وجهه للنور وقال له

تمعن بوجهي الآن عليك تعرفني

قال كلا

قال اذن فاعلم اني لا ادعي فانتابو ولا جوندريت بل اني
أدعي تنارديه وأنا هو صاحب القمق الذي زرته في موتغرميل
أعرفتي الآن
قال كلا

أما ماريوس فانه لم يكن يسمع ما قاله ويعلم ان هذا الرجل
يدعي تنارديه حتى صعد وانتفض واستند الى الجدار حذرا من
السقوط وشعر كأنه خنجرأ قد اخترق قلبه وسقطت الغدارة من
يده الى السرير فانه يبحث منذ أربعة أعوام عن هذا الرجل الذي
أنقذ أباه من الموت في معركة واترلو ليكافئه عملا بوصية أبيه
حتى وجدته فاذا به سفاك زنيم من زعماء اللصوص
وكان يرى أن حياة هذا الرجل ورفاقه أصبحت في يده فما
عليه الا أن يطلق غدارته فينحو لبلان من كيدهم ويحاري تنارديه
ورجاله بما يستحقون وادا لم يطلقها بلغوا من هذا الرجل الحسن
ما أرادوه ورما نجوا فما عساه يصنع في هذا الموقف
أيتخلي عن لبلان وهو صبية هؤلاء اللصوص أم يفضح
تنارديه وهي منقذ أبيه

نم أنه كان يخال له وهو في هذا الموقف ان ابنة لبلان التي
يرى نور الحياة ينبعث من نور عيها واقفة أمامه تتوسل اليه
ان ينقذ أباه

ويرى أباه في جهة أخرى بوصيه بتنارديه فيجمد الدم في

عروقه ولا يعلم ماذا يصنع لاسبابها وان الوقت لم يكن متسعاً للتفكير
أما تارديه فانه مشى هنيهة في الغرفة ثم وقف أمام لبلاق
وقال له

لقد ظفرت بك ولقتك أحياناً يا صاحب الملايين ويا أيها المحسن
العظيم فأكرتني حين عرفتك بنفسى

أما أنت هو الذى جاء الى فندقى فى مونتيرميل ليلة عيد
الميلاد وذلك منذ ثمانية أعوام . . أما أنت هو الذى احتلس منى
ابنة فانتين الطفلة التى كما بلقبها بالقبيرة ثم تقول انك لا تعرفنى
أما أنا فقد عرفتك أيها المحسن العظيم لأول نظرة أيجمل بك
أن تأتبنى متكرراً زى الفقراء لتسرق منى تلك الطفلة ياسارق
الاطفال

نعم انك أحدثتها منى بالاحتيال بعد ان أعطيتى ألفاً وخمسمائة
فرنك — وبعد ان كنت أرجو أن أعيش منها كل حياتى
ثم جريت فى أثرك حتى أدركتك فى الغابة وأردت استرجاع
الطفلة وارجاع المال ولكك كنت أقوى منى فما باليت نى
أما الآن فقد اختلف الامر وأصبحت القوة فى جانبي
فإذا تقول

قال انى لأفهم شيئاً مما تقوله فما أنا من أصحاب الملايين بل
انى أكاد أكون فقيراً وما أنا ذلك الرجل الذى تصفه فانك واهم
بى والوجوه تتشابه

قال كلا بل انك طارف بالحقيقة كما أعرفها . . ألا تدكرى .
ألا ترى من أنا

قال أرى انك من شر اللصوص

قال نعم فانكم معشر الاغنياء لا تعرفون أن تلاقونا بغير
هذه الالقاب .

نعم انى أفلسيت وانى اختىء متكرراً وانى لأملك درهما
وليس لى خبز مد ثلاثة أيام فما على بعد ذلك اذا كنت من اللصوص
انى اذا سرقت فانما أسرق لأعيش وأما أنت فما عدرك بسرقة
الامفال . . انى حسدى فرنساوى قديم حضرت معركة واترلو
وأنقذت حيرالا لا أدكر اسمه فقد ذكر لى اسمه وهو فى أشد
حالات الصعف فما تبيته ولو كنت أدكره لذهبت اليه ولما نزلت
الى هذا الحضيض

أما هذه الصورة التى عرصتها عليك فقلت أنها مما يعلق فى
الحنان أنى لم ماداً تمثل . . أنها تمثلنى أحمل ذلك الحزن والحرىح على
ظهري وأخرج به من مواقف القتال

ولم يكافئنى هذا الحيرال شىء بعد أن خاطرت من أحله بحياتى
وصنت حياته فكان كسائر الناس

أما وقد أخرتك الآن بحجة أمرى فليصل الى الغاية فاعلم
أنى محتاج الى المال الكثير افتعطينى ما أشاء أو تغدو من الهالكين
فماذا تقول

وكان لبيلان يراقب منذ هسية حركات تنارديه فلما قال له
قوله الاخير ضرب المائدة رجلاه ووثب مخفة الغلمان الى المائدة
وتدلى منها

ولكنه قبل أن يلقي نفسه قبضت عليه ستة أياد قوية وأرجعته
الى الغرفة

وكانت امرأة تنارديه قابضة على شعره فلم تتركه حتى أمرها زوجها
أما ماريوس فقد رأى أن الكيل بلغ حده ولم يطلق الصبر
على ما رآه فأخذ الغدادة بيده يحاول اطلاقها وهو يقول
ألتس منك العفو يا أبي

وقد هم باطلاقها ولكنه سمع تنارديه يقول
لا تسيثوا اليه

فامتنع عن اطلاقها الى أن يرى ما يكون
وحرى عراك طويل بين لبيلان والعسوس فدافع عن نفسه
دفاع الابطال الى أن تغلبوا عليه فأمرهم تنارديه بتقييده ثم أمرهم
أن يتعدوا عنه فامتثلوا فدنا منه فقال

لقد أخطأت يا سيدي بمحاولتك الوثوب من المائدة فإنها
مرتفعة كثيراً عن الأرض وفي ذلك خطر شديد عليك

والآن لتحدث سكية اذا أردت ولاندلى من ملاحظة
أبديها وهي أنك لم تستغث ولم تصح صبيحة الى الآن وهو ما
يدل على راحة عقلك لأنك تعلم يقيناً أننا اتخذنا كل ما يجب اتخاذه

من أسباب الاحتياط فلم يبق فائدة من الاستغاثة
وبعد فانك لم تمتنع عن الصباح الا لفرض ظاهر لدى وهو
أنك اذا استغثت فمادا يكون ؟ يكون أن رجال البوليس يأتون
فيسوقوننا بمجملتنا سوق الاغنام الى السجن وليس بعد السجن
غير المحاكمة وليس بعد المحاكمة غير الافتضاح
ويظهر أنه لا يوافقك أن يطلع البوليس على حقيقة أمرك
وكذلك نحن فلنتفق فان الاتفاق ميسورا اذا أردت
ولقد أخطأت اليك والى تقى باستعمال العنف فان الاتفاق
السلمي أضمن للمعاينة

على أى أخطأت أيضاً بأن طلبت اليك كثيراً من المال فانك
قد تكون من أصحاب الملايين ولكنك من الذين اشتهروا بالاحسان
ولديك كثير من المطالب تقتضى الكثير من النفقات فلا أريد
خرابك واقنع بالقليل فهل تريد يا سيدي أن تعطى مائتي ألف
فرنك فقط

فلم يجبه لبلاى بكلمة ومضى تنارديه بحديثه فقال
لا أظن أى طمعت كثيراً يا سيدي فاني لا أعلم مقدار ثروتك
والسكى أعلم أنك كثير الخير لا تكترث للمال فلا يسؤك أن تحسن
الى رجل مثلى بهذا القدر اليسير وتجعله من السعداء
ومتى أعطيتنى هذا المبلغ أطلقت سراحك في الحال فلا يتعرض
لك أحد بسوء بعد الان

ولقد تقول أن هذا المبلغ العظيم ليس مما يحمل في الجيوب وأنت
من الصادقين

أما أنا فليست من أهل الالاح فاكثي بأن نكتب مخطك
ما أمليه عليك

وقد جاء بورق كان اعده موضعه أمامه على المائدة وقال له
تفضل يا سيدي واكتب

قال كيف تريد أن أكتب وأنا مقيد اليدين

قال لقد أصبت وسأحل قيد يدك اليمنى

ثم حل وناق يده اليمنى وقال له

يجب أن تعلم يا سيدي أنك الآن تحت مطلق سلطاننا وأنه

لا يوجد قوة بشرية تستطيع انقاذك ما

وأني لا أعرف اسمك ولا عنوانك ولكن لا بد لك أن

تعلم يقيناً أننا لا نطلق سراحك قبل أن يرد إلينا جواب الرسالة

التي ستكتبها والآن تفضل بالكتابة

— ماذا أكتب

— ما أمليه عليك

فخذ القلم وأمل على تارديه ما يأتي

« يا ابنتي العزيزة

« احضري حالا فاني في أشد الحاجة اليك .. ان الرجل الذي

« يحمل اليك هذه الرسالة قد عهدت إليه أن يأتي بك فاحضري

« معه في الحال دون خوف »

فلما كتب ما أملاه عليه قال له

والآن تمصل بالتوقيع على هذه الرسالة

فوضع لبلان القلم وقال لمن هذه الرسالة

قال للصغيرة .. لا بنتك موقع عليها باسمك ..

فأخذ القلم وأمضى الرسالة باسم اربان فاير

قال والآن تفضل بكتابة العنوان على الغلاف

فكتب على الغلاف هذا العنوان

« الى مدمواريل فاير في منزل اربان فاير .. »

شارع سات دومنيك عمرة ١٧

فأخذ تنارديه الرسالة ويده تضربان فدفعها الى امرأته

وقال لها

يوجد مركبة واقفة عند الباب فسيري بها الى صاحبة هذا

العنوان وعودي بها في نفس المركبة

ثم قال لاحد رجاله وأنت فادهب وتعلق وراء المركبة. وأنت

أيتها الزوجة المباركة احذري أن تضع منك الرسالة واعلمي أن

لنا منها مائتي ألف فورك

قالت لا تخف

وحرحت مع الرجل فمطر تنارديه من النافذة فوآها ركبت

المركبة وسارت بها تهب الارض فعاد الى لبلان وقال له

لا تسأم يا سيدي فإنه لا يمضي نصف ساعة حتى تعود
والآن لم يدق لسانا تقوله فأسمح لي أن أجلس بجانب المستوقد
كي أتدفأ

وساد السكوت على الجميع ولبت ماريوس في موقفه وهو
يقول في نفسه

إنها ستحصر وسأسفك دمي في سبيل انقاذها مع أيها من
هؤلاء اللصوص

وبعد نصف ساعة عاد تمارديه الى الحديث وعاد ماريوس الى
الاصغاء فقال

لقد قلت لك يا سيدي لا تسأم فلا بد أن تكون امرأتى الآن
في الطريق ولا بد لابنتك أن تأتي معها بعد أن تقرأ رسالتك
والآن فاعلم ان امرأتى ستصحبها الى مكان معين مع الرجل
الذى رأيته وهناك نخرج ابنتك من المركبة مع الرجل إلى مركبة
أخرى تنتظرها ويذهب بها وتعود امرأتى فتحدثنا ان الامر
قد تم

أما ابنتك فلا خوف عليها فإنها ستكون في محل أمين وتبقى
أسيرة فيه الى أن نقبض المائتي الف فرنك فردها إليك
وانما أحبك بكل ذلك لتعلم اما اتخذنا كل أسباب الاحتياط
فلو أتيق إليك اردت شكايتهما ما نخسر المال ولكنك تخسر
ابنتك

وعلى ذلك فانه حين تعود امرأتى وتخبّرنا بان أمر ابنتك قد
تم نطلق سراحك كي تأتيننا بالمائتى الف فرنك فتنام فى منزلك آمنا
مستريحاً وكل هذا يدلك على حسن نياتنا

تحقق قلب ماريوس حين سمع ما قاله تارديه وأيقن ان ذلك
اللعن سيذهب فابنة لبلان الى مكان لا يعلمه بدلا من أن يأتى بها
الى هنا كما كان يرجوه

فخطر له أن يطلق الغدارة ويسلم هؤلاء اللصوص الى البوليس..
ولكنه اذا فعل ماذا يكون فان التى يحبها تبقى مع ذلك اللعن
وقد قال تارديه لا بها انك اذا شكوتنا نخسر المال ولكنك
تخسر ابنتك

فامتنع عن اطلاق الغدارة ليس حرصاً على حياة تارديه عملاً
بوصية أبيه بل لخوفه على التى يحبها
وقد ساد السكوت هيبه ثم سمع صوت فتح الباب الخارجى
فقال تارديه هوذا امرأتى قد طادت
وبعد هنيهة ادخلت المرأة غصى فظفرت نظرة منكرة ملؤها
الحقد الى لبلان وقالت لزوجها

لقد عبث بك هذا الرجل فان العوان كاذب
ودخل فى أثرها الرجل الذى صحبها فقال تقس قولها وأخذ
مطرقة من الحديد تاهباً لما سيكون
وطادت المرأة الى الحديث فقالت

لقد سألت في شارع سانت دومينيك نمرة ١٧ عن اريان
غاربر فلم يوجد من يعرفه هناك
وانه قد عبت بك وهزأ بلحيتك كما يهزأون بالاطفال ولو
كنت في مكانك لقطعت يده التي كتب بها تلك الرسالة الكاذبة
تأديباً له

وعندى انه لم يبق عليك الآن الا أن تشويه على النار حتي
يقول أين هي سنته

ولقد صدق من قال ان الرجال أضعف عقولاً من النساء وكفى
هزاء هذا الا الله بك رهاناً على صدق ما أقول
فتهد ماريوس تهد الرياح لمحاة حبيته من الخطر والتفت
تنارديه الى ليلان وقال له

ما الذي كنت ترحوه من الكذب

قال اني أردت أن أطيل الزمن

ثم تخطى في قيوده وقطعها وأسرع الى المستوقد قبل أن
يدركه اللصوص فأخذ منه قطعة الحديد الحمية

فتراحع اللصوص عنه وقد رأوا في يده تلك الحديدة تتوهج
ثم تابوا الى رشدهم فقال واحد منهم يخاطب تنارديه

لا تخف فان رجلك لا تزال مقيدة في السريرو وأنا الضمين بانه
لا يستطيع الافلات

أما لبلان فإنه قال لهم بلبهة ملؤها البسالة
أيها الاشقياء ان حياتي لا تسوى عناء الدفاع عنها ولولا ذلك
لما أبقيت معكم حياً

أما ما حسبتموه من أن التعذيب يدعوني الى قول ما لا أريد
قوله فهو وهم وصلال واليكم البرهان
ثم كشف عن ساعده وقال انظروا

وعند ذلك وضع تلك الحديدة المحمية التي كان عسكها بطرفها
الخشبى على لحم ساعده فتصاعدت رائحة لحمه المحترق وتراحع
ماريوس مذعراً من هول ما رأى

ثم نظر الى تمارديه نظرة اشفاق وقال له
أنحسب انى أخاف تعذيبك أم الرجل وقدرأيت ما كان منى
انكم لو قطعتمونى ارباً لما قات لكم الا الذى أريد أن أقوله
وقد رمى الحديدة الى الطقات على ساعده من البافذة التي
كانت مفتوحة وقال

اصنعوا لى الآن ما أنتم صابمون
فلما رأى تمارديه أنه ألقى الحديدة صاح برفاقه قائلاً
قيدوه

ثم قال لإمرأته بصوت سحم ماريوس
لم يبق عايماً الا أن تملعه كما تقولين
ثم فتح درج المائدة وأخرج سكيناً هائلة جمد الدم فى عروق

ماريوس وحمل ينظر الى ماحواله نظرة القانطين
وكانت أشعة القمر قد عدت الى غرفته وأنارتها كنور
النهار فارتعش ماريوس اد رأى ورقة على مصدته مكتوبا عليها
بحروف كبيرة

« احذروا البوليس »

وهي تلك الجملة التي كتبتها عنده ابنة تمارديه حين أرادت
أن تظهر له انها تعرف الكتابة
فأسرع الى هذه الورقة وقد حطر له حاطر غريب ينقذ به
تمارديه وليلته معاً عطاوها وعاد الى موقفه فالتقاها من النافذة الى
الغرفة التي كان فيها اللصوص

فصاحت امرأة تمارديه قائلة

ما هذا الذي سقط

وأسرعت فتناولت الورقة

فقال لها روجها ما هذا

وأخذ منها الورقة فقال لها من أين سقطت

قالت من النافذة

ففتحها مسرعا ودعاها من النور فقال

هذا خط ابنتي أيوبين

ثم قرأها مسرعا وقال أسرعوا وعلتوا أسلم ولنهرب

فذهلت المرأة امهرب قبل أن يقتل هذا الرجل

قال ان الوقت لا يتسع لنا فأسرعوا

قالوا من أين نهرب

قال من المافدة الكبرى فمارالت ابنتي ألقت الينا الورقة فان

المنزل مطوق

فعلقوا السلم في المافدة وأراد امرأة تبارديه ان تبدأ بالنزول

مع زوجها فاستوقفهما اللصوص وقالوا

كلانا اسكما تهريان بعدنا

فقال تبارديه ما هذا الاعتراض فسيدهما الجنود

قالوا ادن تقترع فمرا اصابته القرعة هرب

تار، لعلمكم حيتهم فان الاقتراع يقتضى له أن نكتب أسماءنا

وان نصومها في قبة وان...

ففتح الباب عند ذلك وتراجع اللصوص منذعربن اذ رأوا

رجالاً يسول لهم أتريدون قبعتي

وكان هذا الرجل المفتش جافرت

كان جافرت عند موطئ الليل قد جاء رجاله وكن بهم وراء أشجار

غصاة كان يرى من خلالها منزل تبارديه

وقد علم ان بنتيه واقفتان في موقف الرقيب طاراد أن يبدأ

بالقبض عليهما فقبض على الصغرى وأما الكبرى فلم يجدها

في موقعها

ثم وقف مع رجاله ينتظر أن يسمع صوت غدارة ماريوس
حسب الاتفاق

ولكن ماريوس لم يفعل فسأم الانتظار وكان قد رأى اللصوص
دخلوا إلى المنزل فمرم على أن يدخل إليه ويباغث اللصوص به قبل
أن يسمع صوت الغدارة

ويذكر القراء أن ماريوس كان قد أعطاه مفتاح المنزل فذهب
إليه مع حوذه ودخل إليه حين وجوب دخوله أي حين كان
تاردييه يحاول تقطيع أعضاء ليلان لجملة على الإقرار

أما اللصوص فقد ذهبوا حين رأوا هذا المفتاح الهائل
فأسروا إلى الآلات التي كانوا تركوها حين سرقوا إلى الأهرار
وتسلحوا بها ووقف أولئك السبعة في موقف الدفاع وتسلح
تاردييه بقطعة من الرخام وجدها بجانب المستوفد

أما جارت فاه لس تبتمه وقال لهم
انكم لا تخرجون من الباطنة بل من الباب وأنوعكم مرغمة
فانكم سبعة ونحن خمسة عشر وانكم عزل ونحن مسلحون وانكم
تخافون أن نقتلونا ونحن نكافأ إذا قتلناكم

فأخرج أحد اللصوص غدارة من تحت ثوبه ودنا من تاردييه
فقال له

هذا هو جارت واني أخاف أن أطلق عليه الغدارة فهل تجسر
أنت على إطلاقها عليه

قال نعم أحسر

قال إذن خذ الغدارة فإذا قتلته تفرق عنا الجنود
فأخذها تنارديه وصوبها الى جافرت
وكان جافرت على قيد ثلاث خطوات منه فحذق به وقال له
بعلء السكينة

لا تفعل فانك ستخطئى
فاطلق تنارديه فأخطأه كما قال
وعند ذلك قال له جافرت بلهجة الساخر
ألم أقل لك انك ستخطئى
والقى أحد اللصوص مطرقته على الارض وقال
انى رضيت بالتسليم إذ لاشك انك رئيس الالباسة ولكنى
ألتبس ملتصقاً واحداً وهو أن لا تمنعوا عى التبغ
قال طب نفساً فلا عمة عك
ورضى الآخرون بالتسليم فأمر الجنود أن يقيدوا أيديهم
وقد سلموا جميعهم ماحلا تنارديه وامراته فانه تسليح برخامة
هائلة ورمى بها جافرت حين دنا منه
ولكن جافرت حلا منها وهجم عليه فقبض على عنقه وعلى
عنق امراته وأسرع الجنود فكبلوها بالقيود والمرأة تصيح باكية
وتذكر بنتها
فقال لها جافرت انهما فى السجن فاطمئنى

وقد جلس وراء المنضدة وبدأ يكتب تقريره ثم قال لجنوده
فكوا الاسير واثتوني به لاستنطقه
جعل الجنود ينظر بعضهم الى بعض اذ لم يروا ذلك الاسير
فصاح جافرت قائلاً

أين هو ألكم قيدتموه مع اللصوص
قالوا كلا ولكننا لا نعلم كيف ذهب

ذلك ان الموسيو لسلان أو اربان غار او والد القنبرة قد توارى
عن الا نظار فان الجنود كانوا واقفين عند الباب يحرسونه ولكن
النافذة كانت مفتوحة فاغتم فرصة الشغال الجنود بتقييد
اللصوص فتطع قيد رحله واسل الى تلك النافذة فنزل على السلم
الذى كان معلق فيها

وقد خطر لجافرت انه هرب على هذا الشكل فدنا من النافذة
فراى السلم لا يرال يرتج فأطل منها فلم يجد أحداً فاكتمى بأولئك
اللصوص وجاء بمركبات فنقلتهم الى السجن

كان ماريوس قد رأى كل ماجرى حين قبض جافرت على
اللصوص فلم يكذب يذهب بهم في المركبات الى السجن حتى خرج
هو أيضاً من المنزل وكانت الساعة قد بلغت التاسعة من المساء
وقد ذهب الى صديق له فقال له اني سأبيت الليلة عندك
فاخذ فراشاً من سريرى اذ كان له فراشان فبسطه على الارض ونام

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي طاد إلى منزله فنقد
المرأة أجرة غرفته وأخذ أمتعته وغادر ذلك المنزل دون أن يخبرها
بمنواه الحديد

فلما جاء حافرت في ذلك اليوم ليسأله عن حوادث الليلة
الماضية قيل له انه أخذ أمتعته وانصرف
وقد كان ماريوس غادر هذا المنزل لسبب أحدهما انه أنف
من الإقامة فيه بعد ما حدث

والثاني انه كره أن يدعو إلى الشهادة فيضطر أن يشهد على
تارديه بما رآه وهو مقتد أبيه

أما حافرت فقد توهم ان ماريوس هرب من ذلك المنزل خوفاً
من اللصوص وأنه لم يقف على شيء مما جرى
ومع ذلك فقد بحث عنه بحثاً دقيقاً فلم يجده

ومضى على ذلك شهر ثم شهران وماريوس لا يزال عند صديقه
وقد علم من صديق له من المحامين أن تارديه في السجن فكان
يرسل إليه في كل أسبوع خمسة فرسكات

ولم يكن لديه ما يزيد على نفقاته وكان يستدين من صديقه
ما يرسله إلى تارديه في كل أسبوع

على انه كان حزين القلب ساهي الطرف يريد أن يسي تلك
الفتاة التي ملكت شغافه فتتمثل له بكل مخيل ولا سبيل إليها
اذ لم يكن يعلم أين تقيم

وقد أصبح ميالا الى العرلة مقطعا الى التفكير لا يزور أحداً
من أصحابه حتي ولا ذلك الشيخ ملفوف الذي كان أول من أطلع
على شأن أبيه

أما ملفوف هذا فقد كان من المومنين ثم انقطعت موارده
فبات من الفقراء

فبينما هو ذات يوم في حديقته يفكر في أمره سمع صوتاً رقيقاً
يقول له

أتريد يا سيدي ملفوف أن أتولى عنك ري هدد الحقيقة
ثم رددتها حتى اذا فرغت قال لها

ليباركك الله فانك تشبهين ملائكة لانك تحبين ان تهو
قالت بل اني من الشياطين

قال يسؤني ما بئني اني لا أستطيع أن أعطيك شيئاً
قالت بل انك تستطيع أن تمنعني اذا أردت
— مادام

— بان بحبري أين يقيم الماء سيو ماريوس

— أي ماريوس هذا

— هو في جميل كان يرورك أحياناً

— نعم نعم لقد ذكرته فهو المارون ماريوس بوشمرسي .

انه يقيم .. أين .. كلا يا ابنتي لا أعلم أين يقيم .. ولكنني أذكر أنه
يمر في شارع كلور بارب فاذهبي الى هذا الشارع فقد تجدينه هناك

فشكرته الفتاة وتركتة والصرفت
وبعد يومين بينما كان ماريوس ماراً بذلك الشارع الذي
ذكره الشيخ سمع صوت فتاة تقول
هذا هو . . هذا هو

فالتفت فرأى امة تارديه أيونين اذ بات يعرف اسمها الآن
وقد وحدها كما عرفها من قبل أي حافية القدمين تلس
أطماراً بالية وعلام الياس بادية في وجهها النحيل
أما أيونين فلم تادنت منه وقد اتقدت عيناها بمارق من
السرور حين رآته فقالت

انقد لقبك أخيراً وكان الموسيو ميلوف مصيماً بقوله اني
أجدك في هذا الشارع . آه لو تعلم كم بحثت عنك وقد سجت
أسبوعين ثم أطلقوا سراحي اد لم يجدوا مي ماريوب ولا لي لم
أبلغ بعد من الرشاد وأنا أبحث عنك منذ ستة أسابيع . أملك
تركت ذلك المهرل

قال نعم
قالت لقد أصبت . . وبعد فلماذا تلس هذه القبة القديمة
هان من كان مثلك من الفتيان يحب ان يتأنق في لباسه . . أتعلم
ياسيدي ان الموسيو ملوف يدعوك باروياً . ان هذا اللقب لا يلقب
به غير الشيوخ فقد حملت مرة رساله الي بارون فوجدت أنه يبلغ
مائة عام من العمر والآن قل لي أين تقيم

فلم يحبسها بشيء

قالت انك شديد الكآبة فهل كان ذلك لانك ترائى على أنى
إذا أردت طادت اليك الشاشة بالرغم عنك

قال ماذا تعنين

— عدنى انك تصحك فاني أحب أن أراك ضاحكاً وبعد ألم
تعدين انك تبلى كل ما أريد

— نعم ولكن تكلمنى

فحدثت به وقالت

لقد عرعب العنوان

فاصفر وجهه وقال

أى عنوان

— العنوان الذى طلست الى أن أبحث عنه أى عنوان المدم وازيل

وقد قالت هذا القول وتهدت تهدياً عميقاً

أما ماريوس فانه أخذ يدها بين يديه وقال لها

ادهى لى . . ارشدينى . . انى أعطيك كل ما تريدن ولست

من الذين ينكثون . . قولى أين تقيم

— تعال معى فاني لأعرف اسم الشارع ولا نعمة المنزل

ولكى أعرف فتعال معى

ثم تهدت أيضاً وقالت

أرايت كيف أعدت الشاشة اليك

فرت غمامة كثيفة على مخيلة ماريوس فقبض على ذراعها وقال لها
أريد أن تقسمي لي يمينا
— أية يمينا

— أريد أن تقسمي لي أن لا تخبري أباك بهذا العنوان يا أيونين
— أيونين .. كيف عرفت اني أدعى هذا الاسم
— عديني عما قلته لك

— يسرى لك عرفت اسمي
فتعض على يديها وقال لها
ولكن بحق السماء اصغي الي واقسمي لي أنك لا تطامعين أباك على
هذا العنوان
— اطمئني فان أبي محين وقد لا يخرج من سجنه وبعد فهل
اهتم بأبي الآ-

— ولكنك لم تقسمي ولم تعادي شيء
فصحكت صحكاً طويلاً وتالت
لقد واجعتني بقبضك على ساعدتي فاطمئني ذاني أقسم لك
أن لا أئوح لاني شيء
— ولا لاحد سواه
— والآن هلمي بنا
— الآن
— نعم الآن

— تعال .. رماه كم فرحه هذا النبأ
وقد مشيت بصع خطوات ثم وقفت وقالت
أرى انه حير لك ان تتمنى على قيد وضع خطوات اذ لا
يجمل عن كان مثلك ان يصحب من تكون مثلي
وقد أسرع حطاما فبلا أن تسمع جوابه حتى انتعدت عنه
قليلاً ثم وقفت

فأدركها ماريوس وقال لها
لماذا ودفعت
قالت أنتد كز ما وعدتني به
— ماذا وعدتك

— وعدتني أنتد تملئني كل ما أردت
فقد ماريوس يده الى جيبه ولم يكن يملك غير الريال الذي
استداناه من صديقه ليرسله الى أبيها فأحرقه من جيبه ووضعها
في يد أيونين

اما هي فاما ففحت يدها ودشت الريال يسقط على الأرض ثم
نظرت اليه نظرة المؤنب وقالت
اني لا أريد منك مالا ياسيدي ماريوس

في أواسط القرن الماضي بنى أحد رؤساء البرلمان في باريس
منزلاً في : اراع بليميت كي يخفي فيه حليته فقد كانت العادة
في ذلك العهد ان مثل هذا التهنك لا يجوز الا للاشراف

وقد بنى هذا المنزل في وسط حديقة تشرف على الشارع
وراءه أرضا تشرف على شارع بيلون وبنى فيها بيتاً صغيراً لتقيم
فيه مريض طفل عند الاقتضاء فكان يأتي إلى حليته من ذلك
الشارع فمن افتى أنه يحسب أنه ذهب إلى شارع بيلون والحقيقة
أنه يكون في شارع لميمت

في شهر (اكتوبر) تشرين أول سنة ١٨٢٩ أي بعد عهد هذا
لرئيس أربعين عاماً

حاشا رجل كهل فاستأجر هذا المنزل مع المنزل الآخر
المشرف على شارع بيلون فأصلحه وأقام فيه مع صبية حسناء فلم
تتأوله ألسنة الجيران لسبب واحد وهو أنه لم يكن هناك حيران
أما هذا الكهل فقد كان حاز الحان وأما الصبية فهي غوسيت
وكان يصحبهما حادمة تدعى تواسان وهي عجوز من الريف أخرجها
جان من المستشفى الذي كانت فيه

فاستأجر المنزل باسم نيرفلشان وقد عرف القراء دون شك
أن هذا الرجل الذي عرفه تشارديه والذي كان تارة يدعى لبلان
وتارة بامر لم يكن غير حاز الحان

وبذكر القراء أنه كان مقيم مع غوسيت في در بيكيس وأنه
كان سعيداً بحبه فما الذي دعاها إلى الخروج من ذلك السقيم
ذلك أنه عندما تاب ترنا الصادق لم يعد ينظر إلى نفسه في شأن
من استوفى بل ينظر إلى سمراء فكان يرى غوسيت كل يوم

تسمو في ذلك الدير نحو الزهر في الاكام ويقول في نفسه انها باتت
لي فلا يحول يدي وبها حائل ولا يفرق بينا قوة في الوجود
وانها ستغدو من راهبات الدير واني اتى منها في بستانه حتى
أموت فيحسب أنه مات بعد ذلك أسعد السان في الوجود
ولكنه كان يباحي نفسه أيضاً فيقول

لا ريب اني أعيش سعيداً في هذا الدير مازالت غوسيت
نحابي وما زلت آمنا شرور الناس ولكن هل تكون غوسيت
سعيدة مثلي وان هذا الدير الذي أعده من مراديس الحنان الا
يكون سحماً أدياً لها وهل يروق لها أن تقصي الحياة في
هذا السجن .

وبعد أفلا أكون سارقاً ان أحرمتها من ملذات الوجود في
سجنها بدير كي أكون آمناً على حياتي وأية أنانية أعظم من هذه
ثم أيجمل في أن أدخلها في سلك الرهبنة دون أن أستشيرها
فأكون قد قضيت عليها سجن أدي الا يكون بعد ذلك انهماق
شعرت ان لا خلاص لها من هذا القيد تكرهي لاني كنت السبب فيه
وهي قد تكون طامحة إلى غير هذا العيش

وقد تمكس منه هذا الخاطر حتى إنه عول على مغادرة الدير واز
ذلك واحب مقدس لا بد له من قضائه قادراً أرادت بعد بلوغها
مبالغ الشباب والادراك أن تنتظم في سلك الرهبنة فذلك
مائد اليها ولا أكون أرعيتها عليه في سبيل صيانة نفسي

وكانت غوسيت قد أقامت في ذلك الدير خمسة أعوام وأتمت دروسها الأولية فأقام ينتظر فرصة صالحة تمكنه من مبارحة الدير إلى أن جاءت تلك الفرصة بوفاة الشيخ ورشلاءان كانت الرئية تعتقد أنه أحوه فالتس مقابلاتها وأحرها أنه وورث من أخيه ارثاً يمكنه من العيش بقية أيامه دون عمل وأنه ليس من العدل أن نقسم غوسيت خمسة أعوام في الدير دون مقابل فالتس منها أن تقل منه خمسة آلاف فربك أجرة تعليمها وقملت منه المال وبيع الدير مع غوسيت وهو مطمئن القلب لا اعتقاده أنه عمل ما تقضى عليه به لواجبات

وقد وفق لي استئجار هذا المنزل الذي وصناه باسم أيلنم فورشلاءان هو الاسم الذي كانوا يدسونه به حين كان في الدير ثم أنه استأجر أيضاً منزلاً آخرين في باريس كي لا يستلقت الأناظر إليه متعاقبه رماً طويلاً في زمن واحد وكان يتنقل في هذه المنازل كل ما آس ريمة أو حامرة شك فكان تارة يقيم في شارع الرحل المسلح وتارة في شارع الغرب فتقيم شهراً أو شهرين مع غوسيت ويبقى الخادمة في المنزل القديم وإنما كان يفعل كل ذلك لخوفه من البوليس فانه هارب من مجس طولون ولا ترحم الحكومة من يهرون

وكانت الحكومة قد أحصت النفوس في ذلك العهد وكان نظامها يتقضى يومئذ على كل من يعيش من ريع أمواله أن يكون من الحرس الوطني

وإذا لم يكن لجان مهنة فقد تقيداً اسمه بين أسماء أصحاب الأيراد
وبات من الحرس الوطني فكان يلبس ثوب الحرس أربعاً أو خمس
مرات في العام فكان هذا الثوب شبه تنكر له

وكان قد بلغ الستين من العمر وهو العمر الذي يعني من
الخدمة العسكرية الوطنية

ولكن هيأته تدل على أنه لم يتجاوز الخمسين وهو لا يستطيع
أن يظهر أوراقه الدالة على حقيقة عمره حذراً من أن يفتضح
بإظهارها فأخفى اسمه وكنى عمره وأصبح من الحرس الوطني وهو
مرتاح إلى ذلك كل الارتياح

ولم يكن يدخل إلى منزله إلا من شارع بابلوت وكذلك
غوسيت وتوسان بحيث لا يعلم أحد أنه مقيم في هذا المنزل إلا
إذا رأوه في حديقته من الشارع

وفوق ذلك فقد ترك تلك الحديقة على حالها فلم يفرسها وترك
للعشب الوحشي ينمو فيها كي لا يستلفت الأنظار ولا يعلم الناس
أن المنزل مأهول



كانت غوسيت حين خروجها من الدير قد بلغت الرابعة عشرة
من عمرها وهي قد آمنت علومها في ذلك الدير أي أنها درست كل
ما يتعلمونه فيه وهو أصول الدين وتاريخ الكنيسة والجغرافيا

والنحو وتاريخ ملوك فرنسا وشيء من الموسيقى
ولكنها لم تكن تعلم شيئاً من أسرار الوحود وهو خطأ محض
اذ لا بد من تعليم الفتاة بالتدريج ذلك العلم الذى يؤهلها لان
تكون امرأة فلا أشد خطراً على العذارى من الجهل
فلما تركت الدير وأقامت في ذلك المنزل وحدث فيه من
الوحشة والاسر نفس ما كانت تحده في ديرها
غير أنها كانت تتعزى بسجتها الجديد أنها كانت ترى الناس
والفتيان يمرون بالشوارع فتراهم من الحديقة
ثم أنها كانت تحب أباهما أى جان فالجان حبا عظيما وكان جان
مولعا بالمطالعات حتى انه بات من العارفين فكان يصحبها أياها ذهب
ويجلس واياها في الحدائق فيحدثها ويكشف لها كل ما خفى عنها
فيزيل عن نفسها تلك الغشاوة المظلمة
ولم تكن تفارق غرفته حين يكونان في المنزل فكانت
تؤبه أحيانا فتقول له
الى أشعر حين أكون عندك ببرد شديد فلماذا لاتضع سجادة
في غرفتك ومستوقدا فتأمن من شر البرد
فيستسم لها ويقول
يوحد ملايين من البشر يا ابنتى خيراً منى وهم يفتشون
الأرض ويلتحفون بالسماء
— ادن لمساذا فرشت غرفتى أجمل فرش ووصعت مستوقدا فيها

— لانك فتاة يا ابنتي

— أيجب أن يتعذب الرجال بالبرد وشطف العيش

— بعض الرجال لا كلهم

— اذن سأاتي اليك كل يوم واحتمل ما تعانيه من البرد

حتى تصلح غرفتك

ثم انك لاتأكل كل من مات كلنا ولا تأكل غير الخبز الاسود

فلماذا هذا التقشف الذي يصنيك

— لاني يا ابنتي...

— اذن سأقتدي بك وأعيش كما تعيش

فكان يضطر الى محارباتها في ما أرادت حذراً من أن يجاريه

في ما لا يريد ولم تكن تذكر شيئاً من ايام حداثتها الا شيئاً قليلاً

مما انطبع على ذاكرتها من حوادث مدام تارديه وعنفها ولا سيما

تلك الليلة الهائلة التي ارسلتها فيها لحلب الماء من النبع في الغايه

ولم يكن حان قد ذكر لها شيئاً من أمر امها ولا ندرى أكان

ذلك من قبيل الاحترام لتلك المسكودة التي ماتت بعد ان تابت

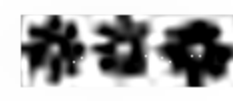
توبتها الصادقة أم أنه كان يخشى أن تصرف محنوها الى تلك الام

التي لا تعرفها

وعلى الجملة فقد كان جان معها سعيداً ويمتقد ان هذه انسمادة

ستدوم مدى الحياة ثم يغبط نفسه لهذه النعمة التي لا يستحقها

فيحمد الله



وقد اتفق يوماً لعوسيت أنها نظرت الى وجهها في المرآة فذهلت
إذ أنها رأت أنها حساء

وذلك أنها طالما سمعت في الدير من الراهبات ومن أربابها
أنها قبيحة فرسح في دهنها أنها شعاء

ولكنها رأت نفسها اليوم أنها على غير ما كن يعتقدن بها
ثم أنها كانت ترى الفتيان ينظرون إليها حين تكون مع أبنائها نظرات
لم تألفها من قبل فكثر من ذلك العهد تطلعها إلى المرآة وبدأت تتألق
في ملابسها وأخذ حسمها بالحو فكان كل ذلك مدعاة الى زيادة
جملها وفي ذلك العهد رآها ماريوس ورائته في حدائق ليكسمورج
وكانت قد وجدت منه نفس ما وجد منها فكانت تلج على
أبيها بالذهاب إلى ليكسمورج وهي لا تريد من ذلك غير الرضاء
بأن ترى ذلك الفتى فانها كانت توتاح الى نظراته ارتياحاً لا تعلم له
سبباً وهي لا تعلم لجملها إذا كان ذلك محموداً يجب الاسترسال فيه
أو مدموماً يجب الإقلاع منه

وعلى الجملة فقد أحسته وهي لا تعلم شيئاً من معاني الحب فلو
قال لها قائل أنك لا تسامين وهذا مصر وانك لا تأكلين وهذا
يضي وان قلبك يبيض بعنف وهذا مخطر وان وجهك يحمر ثم
يصفر حين ترين فلاناً في حدائق ليكسمورج وهذا لا يجدر
بالفتيات . أنه لو قال لها قائل هذا القول لمعجت منه وقالت

أى ذنب لى فى كل هذا فانى لا أستطيع الامتناع عن شىء
عما تقولون

وهذا كان شأن ماريوس أيضاً فقد كان كل منهما يحب صاحبه
وقد نفذ ذلك الحب بغتة إلى قلوبهما فملاهُ كما تنفذ الشمس إلى الاناء
القارغ فتملاهُ شعاعاً

ولثت ترى كل يوم ماريوس فى الحداثق ويراها الى ان
خطر لماريوس أن يعرف منزلها وتبعها مع أبيها وسأله البواب
عنهما كما تقدم

وفى اليوم التالى عرف حان من البواب ما كان منه فادرك
قصد الفتى من السؤال وذهب من فوره مع غوسيت إلى المنزل
السكائن فى شارع بليميت وانقطع عن الذهاب الى ليكسمبرج
أما غوسيت فانها لم تقل كلمة ولم تسأل أباها عن سبب انقطاعه
عن الذهاب إلى تلك الحديقة

كل ذلك وحان يراقبها أتم المراقبة حتى اطمأن قلبه وايقن أنه
كان واهما فى ظنونه فقال لغوسيت يوماً
أتذهبن الى حدائق ليكسمبرج

فاتقدت عيناها ببارق الرجاء وقالت نعم
وقد ذهبا ولكنها لم تحد ماريوس فقد كان مضى ثلاثة أشهر
على انقطاعهما عن الحديقة فلما سأها فى اليوم التالى اذا كانت تريد
الذهاب الى ليكسمبرج

أجابته كلا

ولكن علام الكآبة والميل الى العرلة بدأت تظهر عليها فاجفل
جان مما كان يراه وكان يقيم ساعات في غرفته وهو يفكر في سبب
هذه الكآبة فلا يهتدى

وقد كان يسألها أحياناً قائلاً

مالى أراك كئيبة

فتعجبه مبتسمة أنك واهم يا أنى

ثم تسأله هي قائلة ما هذا الانقراض الذى يتولاك

فيمتسم ويقول أنك واهمة يا ابنتى

وقد طال بهما عهد هذه الكآبة ولم يكن يعزيهما غير توزيع

الصدقات على الفقراء

وفي ذلك العهد اتفقت زيارتهما التنازديه وكان ما كان في تلك

الليلة الهائلة التى يذكرها القراء فعاد حان الى منزله بعد ان هرب

من البافذة وهو مصاب محرج أليم في ذراعه الايسر من تلك

الحديدة الحامية التى كواه بها

وقد كان لهذا الجرح تأثير عظيم عليه حتى أنه أصيب بحمى

شديدة لزمته شهراً

وكان يأبى أن يأتوه بطبيب فلم تكن غوسيت تفارقه لحظة

وهي تقرأ له الجرائد والكتب المختلفة فعاد اليه هواؤه القديم ونسى

ليكسمة برج وذلك الفتى الذى كان يرود حول منزله بل نسي كآبة

غوسيت فاتها كانت تتكاف البشاشة حتى أنه بات يقول في نفسه
ان كل ما خطري لم يكن الا من قبيل الاوهام
حتى انه لم يعد يكثر الخافرت فقد قال في نفسه
انه لم يرني وقد تمكنت من الفراو فلا ابالي وبما بقي
ولكنه كان يشفق على اولئك اللصوص وأخصمهم تنارديه
لوثوقه أنهم ارسلوا الى سجن طولون ويقول
تري ماذا يكون مصير هذه العائلة المسكودة



لقد قلنا كلمة في أحد الفصول المتقدمة عن غلام يدعى كافروش
وفاتنا أن يقول أن هذا الغلام هو ابن تنارديه
ولكن أباه قد طرده وأمه لم تكن تحبه فعاش مع غلمان
الازفة وهو أطيهم قلباً والينهم حابياً
وقد اتفق ليلة أنه لم يكن لديه ما يتقوت به وذكر أنه لم
يأكل منذ الصباح فإطلاق يسعى باحثاً عن عشاء
وقد توغل في الاماكن الخالية من الناس فان السرقة هناك
تسكاد تكون مامونة العاقبة

وما زال يسير باحثاً عن طعامه كالنسر يحوم باحثاً عن فريسة
حتى انتهى الى حديقة قديمة تحيط بمنزل لا يقيم فيه غير رجل
شيخ وامرأة عجوز

وكان يوجد في هذه الحديقة شجرة تفاح قرب السور وهو
من القضبان الحديدية ففحص ذلك السور ونظر الى تلك الشجرة

فارتأى أن يقع بأن يكون عشاؤه من التفاح فان هذه التفاحة التي
 أهلك آدم وأخرجته من الجنة ستحييه وتمقذه من ألم الجوع
 وكان بجانب تلك الحديقة رواق ضيق مقفر كثرت فيه الادغال
 فمشى كافروشا الى الحديقة حيث كانت التفاحة ونظر الى ما حواليه
 فلم يجد أحداً من الناس وكان السور سهل المرتقى فتسلقه
 وفيما هو يتسلق سمع محادثة على مقربة منه فتوقف عن الصعود
 ونظر فرأى شيخاً جالساً على حجر وامرأة عجوراً واقفة تحذيه
 فاصغى الى حديثهما فسمعا تقول

أن صاحب المنزل غير راض بامسيو مالبوف
 فسألها الشيخ قائلاً لماذا

- لاني مدين له بثلاثة أفساط
- بعد شهر نصير الافساط أربعة
- ولكنه يقول أنه يخرجنا من المنزل
- وأنا أقول اني أمتثل
- وبائع الخطب يطلب حسابه فيماذا تتدفأ
- بحرارة الشمس
- وبائع اللحم يقول أنه لا يستطيع أن يعطينا شيئاً بعد الان
- اذن نستغنى عن اللحم فانه ثقيل على المعدة
- وماذا نأكل
- نأكل خبزاً

— وكذلك القرآن فانه يقول اذ لم نعطه تقوداً لا يعطينا خبراً

— ليفعل ما يشاء

— وماذا نأكل

— تنق لنا التفاحه

— ولكن لا يمكن العيش من غير مال

— لا سبيل لي اليه

فياست المحور منه والصرفت وبقي الشيخ مطرقة يتفكر
وكذلك كافروش

وكان الليل قد هبط فينا كان كافروش يفتكر سمع وقع
خطوات في الشوارع فالتفت فرأى على نور الشفق رجلاً كهلاً
يسير وفي أثره لص عرفه لأول وهلة انه مونتبارناس
وقد احتسأ كي لا يرباه وحمل يراقبها اذ بات واثقاً من أن
مونتبارناس يتبع هذا الرجل الكهل مشعر بعاطفة اشفاق عليه
لان هذا اللص كان من مشاهير أهل الشر

وكان قد خطر له أن ينجد الكهل ولكنه ما لبث ان رجع
عن هذا الخاطر اذ وازن بين قوته وبين قوة اللص فاقن انه
لا سبيل له الى نجدة لضعفه

ولم يلبث اللص ان أدرك الكهل وهو لاه عنه بتفكيره وباغته
بصدمة عنيفة لم يكن يتوقعها فسقط الكهل على الارض وأسرع
الوص فوضع ركبته فوق صدره

ومن عجيب ما رآه ان ذلك الكهل لم يصح صبيحة ولم يقل
كلمة ولكن الاعجب من ذلك انه لم تكن غير هيبه حتى رأى ذلك
الكهل قد حمل اللص بين يديه كما يحملون الاطفال وقذف به ثم
نهض والاص لا يزال على الارض فقال له

انهض

فنهض اللص وقبض عليه الكهل فوقف أمامه دليلاً فقال له
الكهل كم يبلغ عمرك أيها الفتى
قال عشرون عاماً

— اهلك شديد القوى وعلى أتم طاية فلماذا لا تشتغل

— لاني أصبح من الشغل

— ما هي صاعتك

— كما رأيت

— قل الجدلاني أستطيع أن أفيديك فماذا تريد أن تكون

— أريد أن أكون لصاً

فأطرق الكهل مفكراً وهو لا يزال قابضاً عليه وكان اللص

يحاول الافلات منه ولا يستطيع

وأحد الكهل ينصحه المصائح المختلفة وهو لا يكثر له حتى

إذا فرغ من نصائحه قال له

انك كست تطمع بكيسي أليس كذلك

قال هو ذاك

قال حده فهو لك

ثم تركه وقد قنط من اصلاحه وانصرف
وقد عرف القراء دون شك ان هذا الكهل كان جاني فالجان
فقد أنسوا من هذه القوة وهذا الكرم
اما كافروش فانه طل يراقب اللص فلما رأى الكهل انصرف
ورأى اللص قد وضع الكيس في حيب سترته من الوراء تبعه
دون أن يراه حتى وصل اليه فسرق الكيس من جيبه دون أن
يشعر به وعاد مسرعا الى الحديقة فأخذ الكيس ورماه من فوق
الحديد بين قدمي ملووف

وكان الشيخ قد غفا على مقعده المجري فسمع صوت وقوع
الكيس بين قدميه فأحده ورأى انه محشو بالنقود فلم يبحث
من أين أتى بل فتحه فوجد فيه ست ليرات ذهبية وبعض النقود
الفضية فأخذه الى خادمته المحور وقال لها
خذي هذا الكيس فقد هبط اليها من السماء

كان جان فالجان يسافر أحيانا فيغيب عن المنزل يومين أو
ثلاثة دون أن يعلم أحد إلى أين يذهب حتى غوسيت
ولكنها كانت تلاحظ أنه لا يسافر هذه الاسفار إلا حين
لا يبقى لديه نقود

وقد سافر هذه المدة وقال لها انه سيغيب ثلاثة أيام
فلما أقبل اقبل اقبل أخذت غوسيت تتلهي بالعزف على البيانو

حتى إذا فرغت جلست مطرقة تفكر ولم تكن تفكر حين تمخلو
إلى نفسها الابعاريوس

فهبها هي على ذلك سمعت وقع خطوات في الحديقة فذهلت
في البدء إذ لا يمكن أن تكون خطوات أبيها فانه مسافر ولا
خطوات الخادمة فان الساعة بلغت العاشرة وهي نائمة

وقد قامت إلى الشباك ونظرت من حلال الزجاج فخيّل لها
انها رأت رجلاً يمشى الهويناء

فأسرعت إلى غرفتها لان نوافذها تشرف على الحديقة أكثر
من أشرف القاعة التي كانت فيها وأطلت من النافذة والقمر بدر
ينير كنور القمر فلم تجد أحداً فأطلقت نظرها إلى الشارع فما
رأت بشراً فأصغت عليها تسمع وقع خطوات فلم تسمع شيئاً فقالت
في نفسها

لا شك ان الخوف اسمعنى تلك الخطوات وأراني ذلك الرجل
وعادت إلى مجلسها ولم تفكر بتلك الحادثة

وفي اليوم التالي خرجت إلى الحديقة تتنزه وقد بزغ القمر
وخرجت من بين الادغال كي تذهب الى المسكن التي تعودت أن
تتنزه فيه . فخيّل لها انها سمعت وقع خطوات وانها رأت خيال
رجل يلبس قمعة مستديرة وهو يسير وراءها

جمدت في مكانها من الرعب ولبثت هنيهة لا تستطيع أن
تكلم ولا تستغيث ولا تتحرك ولا تلتفت

ثم تشددت والتفتت فلم تجد أحداً فلاً الرعب قلبها وقالت
في نفسها

هني توهمت أمر فهل يتفق أن أنوم مرتين وقد رأيت الخيال
بعمى ورأيت القبعة المستديرة على رأسه

وفي اليوم التالي عاد جان فالجان فأخبرته بما اتفق لها فاضطرب
قلبه وشغل باله وخرج إلى الحديقة فرأته يفحص أقفال الباب
وفي الليلة نفسها صحت من رقادها ولم يبق لديها مجال للشك
فإنها سمعت وقع خطوات تحت نافذة غرفتها فأسرعت إليها ففتحتها
ورأت رجلاً واقفاً وبيده عصا

وعند ذلك حاولت أن تصبح مستغيثة ولكنها قبل أن تفعل رأت
على نور القمر أن هذا الرجل كان أتماها

وقد أقام جان في الحديقة كل تلك الليلة ولست ليلتين يسهر
فيها كل الليل وغوسيت تراه من النافذة

وفي الليلة الثالثة بينما كانت غوسيت نائمة سمعت صوتاً يناديها
من الحديقة ففتحت النافذة فرأت أتماها يضحك ضحكا طاليا ويقول
لقد أيقظتك خصيصاً لتطعماني فانظري إلى الخيال ذي القبعة
المستديرة الذي كنت تريه

فقطرت إلى العشب حيث دها أبوها فرأت خيالا يشبه خيال
رجل يلبس قبعة وكان ذلك خيال أنبوية المستوقد

فجعلت تضحك أيضاً وزالت منها تلك الهواجس ولكنها

لما خلت إلى نفسها عاد إليها الريب فقالت
هبنى واهمة في الخيال أأكون واهمة بسمع الخطوات

وبعد هذه الحادثة ببضعة أيام حدثت حادثة أخرى وذلك
انه كان يوجد في الحديقة مقعد حجري تخفيه الاشجار عن
المارين بالفارغ

وكانت غوسيت تجلس عليه عادة فاتفق في ليلة أن جان والجان
خرج حسب عادته فنزلت غوسيت إلى الحديقة بعد غياب الشمس
وجلست على ذلك المقعد هدية ثم قامت فتوغلت في الحديقة
وعادت إلى مقعدها

فلما جلست عليه رأت مخانها حجراً كبيراً لم تكن قد رآته
من قبل فخافت خوفاً شديداً اذايقنت انه لايد من يد وضعت
ذلك الحجر على المقعد منذ حين قريب

وهنا لم يبق محال للشك فانها لا ترى حيوالا يمكن أن يكون
خيال ابوة ولا تسمع خطوات يمثلها الوهم بل إنها ترى حجراً
يلمس باليد ويرى بالعين

وقد دعت دعراً شديداً فأسرعت إلى غرفتها وأقفلت نوافذها
ونادت الخادمة فسألتها اذا كان أبوها قد أتى فقالت كلا فقالت
اقفلى الابواب كلها وضعى وراء كل باب رلاجه الحديدى فحين
يأتى أى تفتح له

وكانت هذه الخادمة شديدة الخوف فقالت لها
— لقد أحسنت ياسيديتي فإن الحذر لا بد منه في هذا
الشارع المقفر لا سيما وإن أباك يتأخر ويبيت أحيانا خارج
المنزل فلو هاجمنا اللصوص لقطعونا أربا ولا يسمع صياحنا أحد
قالت كفى واقفلى الأبواب والموافذ
وقد نامت تلك الليلة وهي تحلم أن هذا الحجر قد استحال
إلى حبل وأن هذا الجبل قد وقع على صدرها
وفي الصباح نهضت من رقادها وقد أعادت إليها جراتها أشعة
الشمس فلبست ملابسها وخرجت إلى الحديقة فسارت نوا إلى
الحجر فوحده لا يزال في موضعه
وقد دنت منه ورفعته فوجدت تحته غلافاً ضخماً حشوه
الأوراق فأخرجت ما فيه دفترأ عمرت صفحاته وعليه كتابة بخط
جميل
وكان الدفتر مؤلفاً من عدة صفحات كلها مكتوبة فبحثت في
آخرها عليها تجد توقيماً فلم تجد فاعادت النظر إلى الغلاف فلم تجد
عنواناً فقالت في نفسها
لا بد أن يكون هذا الكتاب لى دليل وضعه على المقعد الذى
تعودت الجلوس عليه فمن عسى الذى يكون أرسله
وقد أحدثه وسارت به إلى مكان حي بين الأشجار ففتحته
وجعلت تقرأه وأليك ما كان مكتوباً فيه

قلب تحت حجر

الحب هو نحية الملائكة للكوكب

ما أشد حزن النفس حين يحزنها الحب

ان الله لم يخلق الوجود الا للنفس وما خلق النفس الا للحب

انه يكفي الروح ابتسامة من فم جميل حتى تنتقل الى عالم
الاحلام، ان الله من وراء كل شيء في الوجود ولكن كل ما في
الوجود يخفيه عن الانظار فمن أحب كائناً بات شفافاً فرأى من
خلاله وجه الله

ان العاشقين اذا افترقا يرى كل منهما صاحبه مهما بالغوا
بالتمريق بينهما فاداء غاب عن عيبك من تحت فان كل حارحة منك
تراه في كل معنى لطيف فيبدو لك في نعمة الساي الرحيم وفي
مسارح الغزلان ومساقط انداء الغمام ومساح اديال النسيم وعطر
الازهار وتغريد الاطيار وابتسام الطفل ونور الشمس وكل ما
ابتدعه الله للحب وما الربيع الا رسالة اكتبها الى من أحب

ان الحب شرارة مقدسة ونفحة روحية وكذلك النفس فهما
صنوان لا يفترقان وهو شرارة لا تقوى قوة في الوجود على اخادها
فهي تلتهم حتى توشك أن تحرق القلب وتشرق حتى تتوهج بها
السماء

ما أسعد العاشقين يتناحيان فان الله نفسه لا يستطيع أن يزيد

تلك السعادة بل يستطيع أن يجد في أيامها
انك تنظر الى السحيم لسببين أحدهما لمعانه وثانيها دق سره
ولكنك ترى أمامك نوراً أرق من نور النجم وسراً أدق من
سره وهو المرأة

ان الحب حين يحل في قلبين طاهرين يدركان به سر الحياة الذي
دق على الافكار فيصبحان غايي قدر واحد وحماشي حماسة واحدة
فيطيران ويتحابان
لأن ما يبدأ به الحب لا يتمه الا الله

لا يقع الحب محال فادا نال الهناء طمع بالفردوس وادا ناله
طمع الى العرش فبأيها المحنون ان الهناء والجنان والعرش كائنون
في الحب

أليس ألعيا تذهب الى ليكسبرج — كلا ياسيدى — انها تصلى
في هذه الكنيسة أليس كذلك — انها لا تأتي اليها — ألا تزال
مقيمة في هذا المنزل — كلا فقد برحته — أين تقيم — لا أعلم
ما أشتق الحب الذي يضيع روحه ولا يعلم أين يجدها

انت يا من شقي في هذا الوجود لانه يحب . حب بل تمادي في
الحب فان من مات في الحب عاش

وقد كان الله قمر مملوءاً بمثل هذه الفقرات فكانت غوسيت
تقرأها وهي خافقة القلب

ثم أخذت تتمعن في تلك الكتانة قرأتها مكتوبة باجل خط
وقد أشرق في قلبها نور غريب لما قرأتها فقد تلقت في الدير أموراً
كثيرة عن النفس ولكنها لم تتلق في مدرسة الايام شيئاً عن
الحب فواقفها هذا الدفتر على كثير من الدقائق كالخزن والقدر
والحياة والازلية والبداية والنهاية كما بدأ فتحت وألقت عليها
نخلة قبصة من النور

وقد جعلت تسأل نفسها فتقول
ألا ترى من هذا الذي كتب الي هذه الرسالة ألا هو
وكان فرحها عظيماً فانه هو الذي كتب الرسالة وهو الذي دخل
إلى الحديقة فوصفها تحت الحجر وهو الذي يحبها هذا الحب
المعجب بعد ان كادت تعتقد انه نسيها . نعم لاشك انه هو كاتبها
فقد كنت اقرأ في عييه ما اقرأه الآن في كتابه
ثم قامت وحادت إلى غرفتها فاقفلت بابها من الداخل وجعلت
تعيد تلاوة تلك السطور حتي اذا حفظتها حبأت الدفتر في صدرها
بعد ان وعته في قلبها وقصت كل ذلك اليوم وهي مشردة البال
لا تعلم أي حلم كانت أم في يقظة
ولما أقبل المساء خرج حان فالحان من المنزل على طادته فقامت
غوسيت الى سرآتها فمشطت شعرها على آحر طرز ولبست أحمر ما
عندها من الثياب وبألفت بالتألق وهي لا تعلم له سبباً فانها لم تكن
تريد الخروج من المنزل ولم تكن تتوقع أن يزورها أحد

ولما فرغت من ذلك كان الليل قد أقبل فركت الى الحديقة
وذهبت الى مقعدها فجلست عليه بجانب ذلك الحجر الذي كان
لا يزال في موضعه فوضعت يدها فوقه كأنها تريد أن تشكره
وفيما هي على ذلك سمعت صوت تردد ادماس من وراءها فالتفتت
ثم وقفت اد كان هو

وقد رآته وانما وقعت في يده وهو أصفر الوجه هزيل
مرتد بثوب اسود لم تكد تميز لونه فسمرت أباها ستسقط على الارض
وحملت ترحم ببطيء مقاومة لتلك القوة الخفية التي كانت تجذبها
اليه حتى استندت الى شجرة لولم تحدها لوقعت لما تولاها من
الاصطراب

وعند ذلك سمعت صوته الرقيق التي لم تكن قد سمعته من
قبل يصل اليها كالانغام الموسيقية من بين الاوراق فقال
أسألك العفو عن جرأتى لوحدى هنا فقد طفح قلبي ودفعتني
اليك كما يدفع البحار السفينة فهل قرأت ما وضعت لك هنا على
هذا المقعد . . . هل عرفتني . . . لا تخشى مني . . . ألا تذكرين ذلك
اليوم الذي نظرت الي فيه تلك النظرة التي سحرتني وذهبت
بصواني فقد كان ذلك في ليكسمبرج

أندكرين ذلك اليوم الذي مررت فيه بجانبى . . . لقد كان
ذلك في السادس عشر من شهر حزيران (يونيو) وهو تاريخ لا انساه
مدى الحياة لا نطباعه على صفحات قلبي

ولم أعد أراك بعده فسألت عنك التي تؤجر الكراسي فقالت
انك لم تعودى

وكنت تقيمين في شارع الغرب في الدور الثالث تجاه بيت
جديد رأيت أنى أعرف أين كنت تقيمين

وقد قبل لى يوما وأنا أقرأ حريدة اذك صررت فامرعت
را كصا في أترك فوجدت فتاة تلبس قبعة كقبعتك

وكنت في الليل أنى الى هنا . . لا نخشى فلم يرني أحد . وقد
أتيت لارى نوافذ غرفتك وكنت أمشى مشيا وثيدا كي لا تسمى
وقع خطواتى ولا أخيفك

وقد كنت أول أمس وراءك فلما شعرت بوقع خطواتي
احتبأت فلم ترى . وسمعتك مرة تغني فكت أسعد السان فهل
أسأت اليك سماعى غنائك من وراء البوابة

انك الهواء الذى أتنشقه والروح التى أعيش بها فأذننى لى
أرأتى الى هنا قد لا

آه لو تعلمين فاني لأحبك حقا بل أعبدك عبادة واغفرى لى
فاني لأعلم ما أقول ... لقد استأت منى وقد أرجعتك
أليس كذلك

فتنهدت غوسيت شهدا عميقا وقالت
يا أماه

وقد تراخت اعصاؤها ووهت ركبتاها ورأى ماريوس أنها

لم تعد تستطيع الوقوف فأمرع اليها فقصها الى صدره بعف وهو
لا يعلم ماذا يصنع
أما هي فاتها أخذت يده فوضعتها على قلبها وشعر ان
الدفر هناك

فقال لها أنحينني ادن
فأجابته بصوت خافت لم يكده يتنبه
اسكت فأنت تعلم
وقد حبات رأسها في صدره وهي شبه سكرى فأحاسها على
المقعد وحلس بحاسها وهما لا يحدان قولاً يقولانه فيتكلمان
بلغة العيون

وكانت الكواكب قد بدأت تلمع في السماء فلم يعلما كيف
تلاقت الشفاه وارتعش كلاهما لهذه القلة وجعل كل منهما ينظر
الى صاحبه نظرات تبعث منها أشعة حب لا توصف فلم يشعرا
برد الليل ورطوبة الحجر وتساقط الانداء فكانت يده في يدها
دون أن يمد تلك اليد ولم تسأله كيف دخل الى الحديقة وكيف
يحاسها اذ كان يبدو لها ذلك الآن انه من أبسط الامور

وكانت تكلمه من حين الى حين فتقول له أقوالاً متقطعة
تضطرب ألسانها في فمها كما تصارب نقطة الطل حين تسقط
على الزهرة

ثم انطلق لسانه ولسانها تباغاباح كل بما كان يجده وتعاهدا
على الحب الى الابد

حتى اذا أُرما تلك المعاهدة وختماها بقبلة قال لها
الى أدعى ماريوس فمادا تدعين
قالت غوسيت



منذ سنة ١٨٢٣ أى عند ما كان تسارديه وامرأته يديران
فندقهما في مونتفرميل وقد أحذا بهيطان الى مهاوى الافلاس كان
لهما ثلاثة أبناء غير البنيتين

وقد رأت امرأة تسارديه ان هذا القدر كثير فتحلصت من
من الولدين الصغيرين فان هذه المرأة لم تكن اما الامع بستها
وهناك ينتهي حوها ومداً حقد هاعلى الحس البشرى من أولادها
الذكور فانها كرهت ابنها الكبير حتى طردته من المنزل وبات من
غلمان الارقة كما رأينا وكرهت ولديها الصغيرين حتى أنها تخلصت
منهما كما سترى

ولندكر الآن كيف تخلصت من الولدين وكيف استفادت من ذلك
يدكر القراء أن حد ماريوس كان عنده خادمة وان هذه
الخادمة جاءت مرة لطفل ولدته ثم جاءت بعد عام بطفل آخر مدعية
انهما ولداه فارسل الولدين الى امرأة في الريف تربيهما وعين لها
ثمانين فرنكا في الشهر

وكانت هذه المرأة مقيمة في مونتفرميل فاتفق في ذلك العهد
حدوث وباء تفشى في القرية ومات به الطفلان

وكانت هذه المرأة تدعي مانيون فكبر عليها وفاة الطفلين لأنها
خسرت موتيها ثمانين فرنكا وباتت في حاجة الى الطفلين ليسدان
مسدهما فلا يقطع عنهما الراتب

وقد عرفت امرأة تارديه حقيقة أمرها لأنها كانت جارتها
وكان لولديها الصغيرين من العمر نفس ما للوالدين الفقيدتين فاتفقت
معهما على أن تعطيهما ولديهما مقابل عشر فرنكات تقبضها منها في كل
شهر بحيث يبقى للمرأة سعين فرنكا مما تقبضه من حدماريوس
وقد أخذت المرأة ابنتي تارديه ودهت بهما الى باريس ولم
يبق لتارديه غير بنتيه وولده كافروش

ولما سلمت امرأة تارديه وطادت الى المنزل قالت لزوجها وهي
تتكلم اظهار الدم

ألا ترى أننا أخطأنا بتحليلنا عن الولدين
قال أي خطأ هذا فان جاك حان روسو على فضله المروفي كان
يفعل بأولاده شبه ما فعلنا
قالت ولكي أخاف أن يقف السوليس على أمرنا فهل يجوز
لنا شرعاً أن نفعل ما فعلناه
قال كل أمر حائر وفوق ذلك فان الطفل متى كان فقيراً لا يبحث
عنه أحد

أما المرأة التي دهت بالطعنين فقد استأجرت منزلاً في باريس
كانت تؤجر غرفة فكانت تقيم عندها امرأة اسكيرية من شهيوات

الصبي يدعوها مدموازيل ميس وكان ابنا تسارديه عندها على
خير حال بالقياس الى ما كانا يلقيانه عند امهما من الشظف والجوع
ومضى على ذلك بصمة أعوام الى ان حدث حادث قضى على
هذين الطفلين ان يكونا من غلمان الارقة فقد صدر أمر الحكومة
بالقبض على جميع أهل الشبهات

وكان من جملة الدين قبص عليهم مدموازيل ميس الانكليزية
وسربية الطفلين وجميع الدين كانوا يقيمون في ذلك المنزل
أما الطفلان فقد كانا يلعبان وراء المنزل فلم يعلما شيئا مما
حري فلما عادا وحدث الباب مقفلا ولا أحد في المنزل

وقد ناداهما صاحب دكان تحاه المنزل فقال لهما ان منزلكما
قد انتقل فحدا هذه الورقة المكتوب فيها اسم المنزل الجديد
واذهبا الى هذا الشارع الذي على اليسار وهناك تسألان عن
العنوان المكتوب في هذه الورقة

وكانت المرأة قد كتبت على هذه الورقة عنوان الرجل الذي
كان يعطيها في كل شهر ثمانين فرنكا واعطتها الى صاحب الدكان كي
يعطيها للوالدين حين عودتهما

فاخذها أكبرهما ساء ومشى ويديه بيد أخيه وكان الهواء
زمهرياً وقد هبط الظلام فاطار الورقة من يده ولم يستطع إيجادها
فجعل يسير مع أخيه هائمين في الشوارع وهما لا يعلمان أين يذهبان
كان كافروش يسير في تلك الليلة متجولا في الشوارع حسب

طادته وقد وقف عند مخزن بائع ثياب ينظر من وراء الزجاج إلى
الملابس المعروضة ويوازن بينها وبين ثيابه فتارة ينقض وتارة يبتسم
وبينما هو على ذلك كان الغلامان أي ولدان رديه أي أخواه
يسيران في ذلك الشارع

وكان عمر أكبرهما تسع سنوات وعمر الأصغر أربع وقد
وصلا إلى دكان حلاق وهما ينتقصان من البرد ورأيا ماراً تتوهج
في الدكان فدخلا إليها

وقد التفت الحلاق فرآهما قد ركبا بجانب النار وهجم عليهما
محموم الصواري فطرد الواحد بيده ورفس الآخر برجله فخرجا
من الدكان وهما يبكيان

وكان ذلك الدكان بمحور محرن الملابس فرآهما كافرين وأسرع
إليهما وسألهما قائلاً
ما بالكما تبكيان

فقال أكبرهما لانا لانعلم أين سام
قال أتبكيان لهذا الأسير اليسير اتبعاني
فانقطعاً عن البكاء وتبعاه
ولكن كافرين لم يرق في عيبيه ما فعله ذلك الحلاق فعاد إليه
وقال له

لا تقفل دكانك قبل أن اعود إليك
فنظر الحلاق إليه شذراً وقال له

لمادا

قال لاعود بحرس اربطه الى دنك فاك لست من البشر
ثم تركه وانصرف يتبعه الغلامان فرأى امرأة تحمل مكنسة
وهي تحرها على الارض فقال لها
ما أجل هذا الجواد الذين تركيه
واتفق عند ذلك ان داس على نعل أحد المارة وكان قد صغفه
حديثاً فغضب الرجل وانهزه فقال له
أعلك استأت فمن تشكو

قال أشكو منك أيها القبيح
قال عدا الي غدا فقد أقفلت المكتب ولا أسمع شكاوى الآن
ثم سار بالغلامين فلحق فتاة ترتعد من البرد وهي لا تلبس غير
قميص رفيع فأخذ وشاحه وألقاه على كتفها وانصرف قبل أن يدع
ها وقتاً لشكره وهو يقول
اني أشد كرماً من القديس مارتين فهو أعطى الفقير نصف
وشاحه اما أنا فوهسته بحملته

وعند ذلك عصفت الرياح وسقط المطر فالتفت فرأى الفتاة
قد حملت الوشاح بيدها وسارت به مسرعة الى جهة سوق الدالين
فضحك وقال

بشرط أن لا تبعه برأس ماله كما بعته أنا

وبعد هنيهة وصل الى دكان بائع خبزه وأخرج قطعة من النقود
فدفعها اليه وقال له

اعطيا رغيفا بعد ان تقسمه ثلاثة أقسام فاما ثلاثة كما ترى
فأعطاه مدفع قطعتين الى الولدين وأكل قطعة
ثم سار بهما الى جهة الباستيل وهناك لقيه فتى فصاح قائلاً
أهذا أنت يا كافروش

قال ماتصع هنا يا مونتبارناس فقد عرفتكم بالرغم عن تترك
الذى لا يعرفه سوى

وكان هو نفس اللص الذى حاول في تلك الليلة ان يسلب
جان فالجان فأحد منه الكيس وسلبه منه كافروش فأعطاه الى
الشيخ ملوف كما تقدم

فقال له مونتبارناس لا تذكر اسمى كى لا يسمعك الرقباء أنعلم
الى أين أنا ذاهب الآن

قال الى الكنيسة دون شك

فضحك اللص وقال كلا بل اى ذاهب للقاء بابيت
قال لقد كنت أظنه سجيناً

قال هو داك ولكنه تمكن من الفرار
وقد أخذ يقص عليه تفصيل فراره ويده عما استلقت
أنظار كافروش فلما أتم حكايته سأله قائلاً
ما هذه العصا التى تحملها

قال انها من المخترعات الحديثة فهي حربة لاعصا وقد
اضطرت اليلة الى التسليح بها فلا أدري ما يكون فقد اتفق لي حادثة
في تلك اليلة لو كان معي سلاح ظرحت منها طافراً كما أشاء
ماذا حدث

— حدث ابي لقيت رجلاً كهلاً فصرعته ثم صرعتني ثم أراد
أن يؤذيني بصحة ثم وهبني كيسه فلو كان سلاحاً معي لما أخذت
ذلك الكيس على سبيل الهبة ولما تجاسر على أن يسدي الى تلك
المصائح . أتدري عماذا كان ينصحنى
— عماذا

— مان أشتغل
— لاشك أنه من المحانين أو انه سفيه يستحق التأديب
— وليس هذا كل شيء
— ماذا حدث أيضاً
— حدث ابي وضعت الكيس في حبيبي ثم افترقته بعد هنيئة
فلم أجده
— ألم يكن أحد في الطريق
— كلا

— اذن لاشك ان صاحبك من السحرة فقد أعطاك الكيس
يد وأخذه بيد
— كني فاني لأذكر هذه الحادثة حتى يضيع رشادى

فأطرق اللص مفكراً وقطع كأفروش خيط تصوره فقال له
والآن استودعك الله فاني ذاهب الى القيل فاذا احتضت الى
في الليل فانك تعلم أين أقيم . واعلم أنه لا يوجد بواب هناك
واني أقيم في الدور الاسفل فما عليك الا أن تنادينني باسمي
وقد افترقا فذهب اللص في سبيله وسار كأفروش مع الولدين
في الطريق المؤدية الى القيل

كان هذا القيل تمثالا عظيما بنى في عهد نابليون من الحجارة
فصار أثرا تاريخيا ولم يعرف قصد نابليون من بناء هذا الاثر على
هذا الشكل

فكان يبلغ ارتفاعه أربعين قدما وعلى ظهره برج يشبه
المنارل وقد كان لونه حين بنائه أخضر فأصبح اليوم أسود من
المطر وتقدم العهد وهو كأن نجاه الباستيل كأنه يراد به تمثيل
قوة الشعب

وكان السياح يورونه من قبل ثم انقطعوا عنه لعدم العناية
به فبات مأوى لامثال كأفروش

وقد وصل كأفروش اليه وكان يوحد على الارض سلم يستخدمه
العمال في معمل محاور فوصفه عبد الثقب ثم أشار إلى الفلامين
أن يصعدا فصعدا وصعد في أثرها ودخلا جميعهم من الثقب
وعند ذلك أخذ قطعة كبيرة من الخشب كان جاء بها من
الخارج يوم اكتشف هذا المأوى فسد بها الثقب من الداخل

وكان الظلام حالكا تخاف الغلامان فأنهرهما كافروشا وقال لهما
أنحسبان إني مقيم في قصر التويلري وأية حاجة لكتابالنور وانتما
عارمان على الرقاد

وقد رأى الغلام الكبير شبا كامسدودا بشريط من الحديد
فسأله قائلا ما هذا

قال هذا للجردان

وكان قد لف كل منهما بحصير وقاية لهما من الرد وبمدهنية
جزع الصغير لما سمعه من صوت الجردان فقال ياسيدى
قال ماد

قال ما هذا الصوت

قال لا تخف فهو صوت الجردان

— لماذا لا تضع عندك هرة

— لقد كان عندى هرة ولكنها أكلتها

فاشتد خوف الصغير وسكت ولكنه عاد الى الحديث

فقال ياسيدى

— ماذا

— من الذى كان مأكولا

— الهرة

— من الذى أكلها

— الجردان

— ألا تأكلنا هذه الجرذان

— لا تخف فانها لا تستطيع الدخول اليكما وبعد فاني هنا

فامسك يدي ونم

فاطمأن الولد وغفل ونام ككفروش يوماً هادئاً الى الساعة الثالثة

بعد اتصاف الليل

وعند ذلك سمع صوتاً يناديه من بين أرجل القيل فصحا

وعلم أنه صوت مونتارناس ففتح باب الثقب وناداه فقال له الالص

تعال فاننا في حاجة اليك

قال ابي قادم

وقد أسرع من فوره بالبرول اليه وسار الاثنان في شارع

سانت الطوان

وكان العرص من الاستماعة بكافروش ان تمارديه ورجال

عصابته قد وجدوا طريقة للفرار كانوا يستعدون لها منذ شهر

وهي أن أحد زملائهم الذي كان خارج السجن تمكس من

أن يأتيهم بعض رجالات من الحمر دس فيها مادة مخدرة

وحمل طويل

وكانت حطتهم أن يسقوا الحراس من تلك الحمر ثم يصعدو

الى سطح السجن فيعلقون الحبل وينزلون منه بينما يكون زملاؤهم

واقفين تحت بالمرصاد فاما يخدرون الحارس الذي يروه حول السجن

واما يقبضون عليه ويأمنون صياحه

وقد نجحت خطتهم فانهم كانوا مسحونين في قاعة متسعة
لأنواقد فيها ولا سبيل لهم الى الخروج من باب السحن لوجود
الحراس فتمكسوا من تخدير حارس الغرفة وصعدوا جميعهم الى
السطح فربطوا الحبل بحجر نازع عند حافته وجعلوا ينزلون عليه
الواحد بعد الآخر ومورنتبارناس واقف تحت موقف الرقيب
يصحبه كافروش وسواه من رجال العصابة

وكانوا قد اقترعوا على من يكون الاسبق في النزول فكان
دور تارديه آخر الكل

وقد اتفق أن الحبل انقطع باللص الذي كان دوره قبل دور
تارديه فسقط الى الارض مهشما فانه انقطع به على ارتفاع
عشرة أمتار

وعند ذلك صاح تارديه صيحة يأس ووقف الانصوص
حائرين لا يعلمون ما يصنعون

الى أن خطر لكافروش خاطر فقتال لهم
ان الحبل قد انقطع واكن ربطه ميسور
قالوا كيف ذلك

قال ألا ترون هذا الميراب الممتد من الارض الى السطح
قالوا بلى

قال وان الحبل لا يبعد عنه أكثر من ذراع

قالوا ماذا تعنى

قال أعني أن أتسلق هذا الميزاب وييدى قطعة الحبل فأربطها
بالطرف الآخر

قالوا انها خير طريقة ولكن هل تستطيع التسلق على هذا الميزاب
قال سوف ترون

ثم خلع نعليه وأخذ طرف الحبل الذى سقط على الارض
باسنانه وتسلق على الميزاب غير مكترث للاخطار الى أن وصل
الى حيث انقطع الحبل فربط الطرفين ربطا محكما ونزل

وعند ذلك تدلى تارديه وكان كافروش قد رآه وهو على
السطح وعرف أنه أبوه فلم يثبه حقه عليه عن انقاذه

ولعد هنيهة كان تارديه بين رفاقه فقال واحد منهم
لقل كلمتا الاخيرة قبل أن تفرق فقد اكتشفنا على منزل
معتزل في شارع بليحييت ليس فيه غير النساء

فقال تارديه أنذهب اليه الليلة

قالوا فلا غداً

أما كافروش فقد كان مشغلا عنهم بلبس نعليه ووقف هنيهة
على رجاء أن ينظر أبوه اليه

ولكنه لم يفعل فقال لموتبارناس

انه لم يبق لكم حاجة في وأنا عائد لا يقاط الولدين

ثم ودعه وانصرف

فلما تواری عن انظار العصاة قال أحد رجالها لتارديه

أعرفت هذا الغلام

قال أنى غلام

قال الذى انقذك وربط الحبل

قال لم أره جلياً

قال انه ولدك

وضحك تارديه وقال ان هذا الشبل من ذاك الاسد

كان ماريوس يأتى فى كل ليلة الى الحديقة فيجلس مع غوسيت

على ذلك المقعد

وقد نالت تحبه حتى لا تصبر ساعة على فراقه ونات يحبها حتى

أصبحت حياته موصولة بها فكان حبهما طامراً شريفاً خالياً من

كل وصمة ولم يرجوا فيه مزيداً لانه لم يكن يقبل المزيد

وقد اتفق ليله أن يسوي ابنه تارديه سمته حتى رأته دخل

الى الحديقة فوقفت فى الشارع وهى لا تعلم لماذا سمته بل لا تعلم

أى غرض لها من الوقوف

وقد رأته كيف دخل فانه فرق بين اقصص الحديدية وهر

نحيل الجسم فدخل من منفرجاتها

فلما دخل نظرت إلى ذلك الحديد فرأت فيه أثر الالتواء

فخشيت أن يمر والد الفتاة فيرى ذلك الأثر فاصلحته
ثم عادت الى الوقوف وهي لا تدري ماذا تصنع
وفيما هي على ذلك رأّت ستة رجال فادمين وهم يسرون مفترقين
يبتعد كل منهم لضع خطوات عن رفيقه
فلما وصل الاول الى الحديقة وقف ثم جاء الثاني فوقف
بجانبه وهلم حرا إلى أن اجتمع الستة عند الحديقة وحملوا يتحدثون
باصوات منخفضة

فقال أحدهم
أبوجد كلب في الحديقة
وأجابه رفيق له

لا أعلم ولكني أحضرت لقمة له من قبيل الاحتياط
— هل أتيتم بألة لكسر الزجاج دون أحداث صوت
— نعم

— وكيف تريدون أن نصنع أن تتساقط سور الحديقة أم نكسر

فقل الباب

— بل نكسر الفقل كي يسهل علينا الخروج حين الاقتضاء
وعند ذلك التفت واحد منهم فرأى ايونين وقال

بل يوجد كلمة هنا
فقال تارديه أين هي
فأجابه واحد منهم قائلاً

هذه هي انتك ايسونين
قدنا منها أبوها وقال لها بلمحة الساحط
ماذا تصعين ها وماذا تريدن ما .. أأتيت لتحولن بيسنا
وين أشغالنا

فضحكت الفتاة وطوقت عنقه بدر عيها وهي تقول
إني ها لاني خطر لي أن أجىء الى ها ألا يحق لي أن أحلس
الآن على الحجارة

ولكن أنت أى شأن لك ها وما أتيت تعمل في منزل
أفرغ من فؤاد أم موسى . ألا تعانقني وقد مضى أربعة أشهر
دون أن تراني

أخرجت من السحن
فتخلص تارديه منها وقال لها
لقد عانيتني وكفى ... واني خرجت من السحن كما ترين فادهي
قالت ولكن كيف تمكنت من الخروج يا أبي من سحنك ..
لا شك لانك من عطاء العقول فاجبرني يا أبي كيف كان ذلك وقل
لي ما تعلمه عن أمي

قال انها محير ولا أعلم أين هي فدعيني الآن واذهي
فلم تمثل وعادت الى معانقته وتعامل رجال العصابة فقال
واحد منهم

أسرعوا قبل أن يمر رجال الدرك

فالتفت الى اللصوص وحملت تنادي كلا منهم باسمه ونحيبه
فسأموه منتارماس وقال

هذا وقت الثعالب وقد وجدت الدجاج
وقال سواء أنك ترين باسم قادمون لعمل فدعينا في شأننا
فقلت لهم أنكم تعلمون جميعكم باني لست من أهل البلاهة
فقد خدمتكم خدمات حليّة كما تذكرون والآن فاعلموا اني أعرف
من هذا المنزل مالا تعرفونه فقد بحثت عند أدق الامحاء واني
أقسم لكم أنه لا يوجد فيه شيء من المنعم

فاجابها واحد منهم قائلاً

لا يوجد فيه غير لساء كما علمنا

قالت بل لا يوجد فيه أحد فقد غادروه

— إذن ما هذه الانوار التي تنبعث من النافذة

— لا تقل أنواراً فإنه نور ضئيل وإن الدين يقيمون في هذا

المنزل ليس لهم ما يأكلون

فأنهرها أبوها قائلاً

لقد أسهت أنك تدهي فما بقاؤك الآن

فمظرت الى مونتبارناس وقالت له بلهجة المتوسل

أنك أكرمهم أخلاقاً فأرجوك أن لا تدعهم يدخلون الى هذا

المنزل

فأنهرها اللص وقال لها

اذهي في شأنك ودعي الرجال يهتمون في شؤونهم

— إذن أنتم تريدون الدخول إلى المنزل

— هذا أمر لا ريب فيه

فذهبت إلى باب الحديقة فاستندت إليه غير مكترثة لهؤلاء

الصوص المدججين بالسلاح وقالت لهم

أما أنا فلا أريد أن تدخلوا

فوقف الجميع مذهلين لجراتها وعادت إلى الحديث فقالت

اصغوا إلي أيها الأصحاب واعلموا يقيناً أنه إذا لمس أحدكم

باب هذه الحديقة ملأت الدنيا صياحاً حتى يأتي رجال البوليس

ويعودوا بكم إلى السجن الذي خرستم منه

فقال تنارديه لاحد رفاقه

أيها تفعل ما تقول

ومصت في حديثها فقالت واني أبدأ باني فلا تحسبوا ان

وجوده بينكم يشيى عن تنفيذ هذا الوعيد

فدناؤها منها فصاحت به قائلة

ارجع أو اندأ الصياح

فرجع وهو يحرق أسنانه من القهر وجعل يشتمها أقبح شتم

فجعلت تضحك من شتمه وتقول

قل ما تشاء ولكم لا تدخلون وما أنا بكلمة كما لقبتموني

من قبل بل انى ذئبه وابنة دئب ولا أبالى بجمعكم فانتم ستة وأنا
واحدة وانتم رجال وأنا امرأة ولكن ذلك لا يخيفنى
وقد قلت لكم انى لا أريد أن تدخلوا الى هذا المنزل فاذا
حاولتم الدخول اليه عويت كما تعوى الذئب فاذهبوا في شئونكم
اذا أردتم السلامة فاذا كان لكم سلاح فان سلاحى أفضل من
هذا السلاح

ثم صهكت ضحكا عالياً وقالت
انى عانيت في الصيف ألم الجوع وكأدت في الشتاء ألم البرد فما
أخاف أم تحسبون انى مثل حليلاتكم اللواتى اذا غضبتن اختبأن
تحت الاسرة

كلا انى لا أخاؤكم
وقد نظرت الى أبيها محذقة وقالت
وأنت أيضاً لا أخاك فلا تنظر الى هذه النظرات وما على
لو وجدوني غداً قتيلة خنرك في هذا الشارع أو انتشلوني حثة
هامدة عند ضفاف النهر

ولكنكم قل ان تدخلوا الى هذا المنزل تدخل القيود في
أيديكم فانتم ستة أما أنا فاني العالم بأسره
فهم أبوها أن يدنو منها فصاحت به فائلة بصوت مرتفع
احذر ان تدنوى او اصيح
قال كلا لا أدنو منك ولكن لا تتكلمى بصوت مرتفع. وبعد

فلماذا تريدن منعنا عن الارتزاق وانت تعلمين ما نحن عليه من
الفقر ألا تحبين أباك يا أيسونين

قالت انك ترهقني فكسي

— ولكن لا بد لنا ان نأكل او نموت جوعاً

— مت كما تشاء

وقد جلست على حجر عال فوضعت إحدى رجليها على الأخرى
وجعلت تهزها دون اكتراث

فوقفت الستة وعلام اليأس نادية في وحوههم وقد هالهم
عناد هذه الفتاة فقال واحد منهم

لا بد أن يكون لها عشيق في هذا المنزل تدافع عنه هذا
الدفاع . وبعد أليس من الغن أن تفوتنا هذه الغنيمة فلا يوحى في
هذا المنزل غير فتاة وخادمة ورجل شيخ يقال أنه من أغبياء اليهود
فقال موثباً ناس اذا أردتم فادخلوا وأنا أبقى ههنا معها
وقد حرد حنجره متأهلاً لقتلها

فلم يعترض أيها كانه كان راضياً عن هذا الاقتراح
وكان يريجون أعقل رجال العصاة وهم يهتدون برأيه عند
الشدائد

فسأله واحد منهم قائلاً
ماذا ترى يا ريجون فانك لم تقل كلمة بعد
فهز ريجون رأسه وقال

لقد كان أول ما رأيته في هذا الصباح عصفوران يتخاصمان
وفي هذا المساء بكسا باصرة فتخاصمنا وكل ذلك شؤم علينا فلهوا
بنا بعد وسنرى بعد ذلك ما يكون

فامثلوا رأييه والصرفوا

أما أيونين فأنها اقتفت أثرهم دون أن يروها فما زالت تتبعهم
حتى رأتهم قد تفرقوا وتواروا في تلك الظلمات التي حرحوا منها

بينما كان هذا الحادث الذي بسطاه بحرى خارج الحديقة
كانت غوسيت قد أقبلت للقاء ماريوس

وكانت عيناها حمريتين مما يدل على أنها كانت تبكي

وقد أحفل ماريوس حين رآها وقال لها

يا لله ماذا حدث وما هذا البكاء الذي أرى أثره في عينيك فما

الذي سطره لنا النكد في لوح المقدور

خلست محانه وقالت

لقد قال لي أنى في هذا الصباح أن أتأهب فانه ينوي السفر

فارتعد ماريوس كأنما هزته الكهرباء فان من يبلغ آخر مدى

من الحياة بعد موته سقراً ومن كان في أولها بعد سفره موتاً

وقد وقع هذا البأ عليه وقع الصاعقة فلم يجد كلمة يقولها

وأخذت غوسيت بيده فوجدتها باردة فقالت له

ماذا أصابك

فقال لها بصوت يشبه الهمس
انى لم أفهم ماقلته
قالت أن أبى أمرنى اليوم أن أتأهب للسفر وأن أصم ثيابى فى
حقائىها

- الى أين
- لا أدرى وأظن أننا نسافر الى لندرا
- ولكنه عمل فظيع
- واما قال هذا القول لاعتقاده ان افطع من ان يأخذ الرحل
لنته الى اسكاترا لقضاء اعماله الخاصة
- ثم قال لها بصوت حافت ضعيف
متى يكون السفر
- لم يعين مواعده
- ومتى تعودان
- لا ادرى
- غوسيت أنساقرين
- الى أين
- الى لندرا
- رياه ماذا أصم
- اذن ستسافرين
- اذا كان أبى يسافر فهل أستطيع البقاء

— حساً وأنا أسافر أيضاً

فاصفر وجهها اد أدركت فصدده من طهحة يأسه وقالت
ماداً تعني

فمظر ماريوس الى السماء ثم قال لاشيء
وعند ما خفض عيبيه رأى غوسيت تبسم فقال لها
ماذا

قالت لقد خطر لي خاطر يا ماريوس

— ماهو

— هو اني سأحبرك متى نسافر فتتبعنا

فاهتر لهذا الاقتراح وقال لها بصوت يتهدج من الياس
أملك حبت يا غوسيت وكيف أسافر الى انكلترا وليس لي
درهم وقد بلغ ما استدته من أحد أصدقائي الى الآن عشرة دناير
انظري الى قبعتي فقد أحنى عليها القدم والى ثوبي فليس فيه ازرار
والى قميصي فانه ممزق والى نعلي فاني الماء يدخل اليها فاني منذ
سته أسابيع لا أفتكر بشيء من أمري . . غوسيت انك لا ترينني
الا في الليل ولو رأيتني في النهار لتصدقت على فكيف أسافر الى
انكلترا وأنا لا أملك رسم التصديق على جواز السفر

وقد وضع يديه على رأسه وأسد وجهته الى شجرة ولبث
على هذه الحالة من الياس الى أن سمع صوت بكاء من ورائه
فالتفت ورأى غوسيت تشهق بالبكاء

وقد ركم أمامها فقبل ركبته وجعل يقول
بالله لا تبكي أيتها الحبيبة فإن بكائك يقطع قلبي
قالت كيف لا أبكي وأنا مسافرة وأنت لا تستطيع اللحاق بي
قال أتحبيني يا غوسيت

فأحابه بصوت يتهدج من تأثير البكاء
بل اني أعبدك

قال ادن لا تسكي فاني لا أطيق أن أرى دموعك
قالت وأنت أتحبني
فأخذ بيدها وقال

غوسيت اني لم أقسم بشرى الى الآن فاذ هذا القسم يخيفني
ولكني أقسم لك بشرى انك اذا سافرت أموت
فانقطعت عن البكاء وسكت الاثنان هنيهة ثم عاد ماريوس
الى الحديث فقال

لا تنتظريني غداً يا غوسيت

— لماذا

— لانني لا أحصر وسأحضر بعد غد

— ولكن لماذا

— سوف ترين

— هذا محال فاني لا أطيق الصبر عليك

— لا بد لنا من تصحية يوم فقد نضمن به كل الحياة

ثم قال كأنه يخاطب نفسه
انه رجل لا يغير شيئاً من عاداته ولا يستقل رائراً الا
في المساء

— من هذا الرجل الذي تعنيه ياماريوس

— أنا . . . لم أقل شيئاً

— اذن ما الذي ترحوه

— أصري الى بعد غد

— أهدا الذي تريده

— نعم

— سيكون ماتريد

— والآن لابد أن تعرفي عنواني فمن يعلم ما يكون فاني أقيم
عند صديق لي يدعى كور دراك في شارع الزواج نمرة ١٦ وقد
كتب هذا العنوان على الجدار بسكينه فقالت له

— انك تفكر في أمر خطير ياماريوس فقل لي ماذا تفكر

أولا أستطيع أن أنام هذه الليلة

— هذا هو دكري أيتها الحبيبة وهو ان الله يستحيل أن

يأذن بتفريقنا فاصبري الى بعد غد

— ومادا أصنع في حلال ذلك فانك تخرج من مراك فتفرج

همك بالاحتلاط مع الناس وأما أنا فساقيم وحدى حريبة كئيبة

فقل لي

ماذا تريد أن تصنع مساء غد
— سأحاول قضاء أمر أرحر أن يكون لنا فيه الخير
— وأنا سأصلي وأدعو لك الله في تحقيق أمانيك ولا أسألك
شيئاً بعد الآن مارلت مصراً على الكتمان
أما بعد غد واني أنتظرك هنا في الساعة التاسعة . لا تنس اني
في الساعة التاسعة أكون في الحديقة
— وأنا أيضاً
وقد أقام معها ساعة ثم انصرف وكان انصرافه حين كانت
أيوني تقفوا أثر الاصوص

كان جيلدورماند حد ماريوس قد بلغ في ذلك "عهد الحادية
والثسين من عمره وهو لا يزال مقيماً مع بنته في ذلك المنزل الذي
ربي ماريوس فيه
وكان جسمه قد أخذ بالانحطاط وانكسرت شوكة حداثته
فانه منذ أربعة أعوام ينتظر في كل يوم أن يعود اليه ماريوس فلم
يكن الموت يخيفه بل كان يخاف أن يدركه الموت قبل أن يرى
حفيده الذي لم يكن يحب سواه في الوجود
وقد طال هذا الفراق حتى أوشك أن يقسط من اللقاء فلم يكن
هذا البعد الا ليزيده تعلقاً به فان المرء أكثر ما يكون اشتياقه
إلى حرارة الشمس في ليالي كانون (يناير) الباردة المظلمة

على انه كان شديد الكبرياء فكان يؤثر أن يقتله اللهم على أن
يكون اللاحق بمصالحه ماريوس

ومع ذلك فقد بلغ حبه لحفيده حد الشغف وكان قد وضع
صورة أم ماريوس في مكان يراها فيه كل حين فلم يكن ينقطع من
النظر إليها لأنها كانت تشبه ماريوس

وقد اتفق يوماً انه كان جالساً يفكر وهو مغمض العينين
وانته بحجابه فسأله قائلة

ألا ترال بأني حاقداً عليه

قال على من

— على ماريوس المسكين

ماهر اهتزازاً عنيفاً وقال

أقولين انه مسكين عن هذا العيد المتكرر لما كرا الجميل وهو

من غير قلب

وقد أدار وجهه كي يخفى عن ابنته دمة سقطت من عينه

ولزم الصمت بعد ذلك أربعة أيام لم يفه بكلمة فكان أول ما

قاله حين عاد إلى الكلام انه سأل لسته أن لاتذكر أماءه اسم

حفيده بعد الآن

فبينما هو جالس يوماً في غرفته وقد قط من عودة حفيده

دخل اليه خادمه وقال له

هل يريد سيدي أن يستقبل الموسيو ماريوس

فوقه الشيخ كأنّ لولنا كهرمائياً أوقفه وصغ وجهه بصفرة
الموت وقال

ماريوس ماذا

قال لأعلم فاني لم أراه ولكن الخادمة قالت لي انه جاء فني
يدعى ماريوس وانه يريد أن يراك
قال قل له يدخل

وبعد هنيهة فتح الباب ودخل ذلك الفتى فكان حفيده
ماريوس

وقد وقف ماريوس على عتبة الباب كأنه ينتظر أن يدعوّه جده
الى الدحول وهو دري الملايس وعلام الكآنة ظاهرة في عيبيه
أما الشيخ فقد كان اضطرابه عظيماً فنه بعد أن ققط من
إقائه وبعد فراق أربعة أعوام لم يقطع في حلالها ساعة عن التفكير
به دخل اليه فجأة ورأى شابه قد تسكامل وراد وجهه جمالا وخطر
له أن يبسط ذراعيه لمساكه وان يقول له أرق الالفاظ
ولكنه حين فتح فمه لم يخرج منه غير القول الغليظ اذ مادره
بقوله ماذا أتيت تعمل هنا

فتلعثم ماريوس وقال له سيدي . .

وكان يود لو أن ماريوس أقبل عليه فماتقه بدلامن أن يقول
له ياسيدي فبات مستاء منه ومن نفسه فقال له

إذن لماذا أتيت

فكأنه أراد بقوله « اذا » اذا لم تعاقني
وقد استاء ماريوس أيضاً للهجة حده فقال له حده
أعلك أتيت تسألني العفو واعترفت بخطائك

وكان الشيخ يتوهم انه يمهّد لحفيده سبيل الصلح عما قاله ولكن
ماريوس رأى ان اعترافه بخطائه يكون بمثابة موافقته على مطاعن
حده بحق أبيه فشخ بانفه مستكبراً وقال
كلا ياسيدى

قال إذن ماذا تريد منى

فضم ماريوس يديه شأن المتوسل ودنا منه فقال له بصوت
خافت

سيدى اشفق علىّ

ولو بدأ ماريوس كلامه بهذه الجملة لوجد مجالا فسيحا لحو
جده ولكنه قالها بعد فوت الاوان فوقف الشيخ متوكأ على
عصاه بيديه وقال

أتسأل محموزاً بلغ التسعين أن يشفق علىّ فنى لم يتجاوز العشرين
انك داخل فى باب الحياة وأنا خارج من تلك المراقص والملاعب
والقهاوى والمتديات أما أنا فلم يبق لى من ذلك حتى التذكار
وانت لك كل غى الشباب وأنا لى كل فقر الهرم وانت لك القوة
وأنا لى الضعف ثم تسألنى بعد هذا أن اشفق عليك فهل وردنى

حكايات الهارلين أضحك من هذا . وبعد فقل لي الآن ما الذي
تريده مني

قال اني أعلم ياسيدي بان مسطري يدوك ولكي أتيت
لاسألك أمراً ثم انصرف

قال بل انك من البلهاء فمن الذي قال لك انصرف
وقد أراد بقوله هذا أن يفتح باب المسألة فكانه كان يقول
له تعال إلي وعاتقني

ولكن ماريوس لم يفهم شيئاً من قصده فمضى الشيخ في
حديثه فقال

ألا ترى كيف كانت اسألتك الى حدك فقد رحت منزلي الى
حيث لا أعلم وأفرغت اليأس على قلب خالتك وغبت عني أربعة
أعوام دون أن تخبرني بشيء من أمرك واستدنت المال من اصحابك
دون أن تخبرني فأفنيه عنك ثم تأتيني بعد ذلك فلا تقول غير
ماقلت

وكان الغرض من قوله واصحاً وهو أن يدفع ماريوس الى
المسألة ولكنه لم يصمتاً فقال له

قل الآن فقد أتيت تسألني أمراً فمادا تريد . قل تكلم
فنظر ماريوس اليه نظرة رجل سيسقط في هاوية وقال له لقد
أتيت الخمس منك الادن بالزواج

فنادى الشيخ بنته وجعل يتمشى في العرقة حتي أتت بنته

فقال لها

سك سعيد

لا شيء سوى ان الموسيو قد حضر فسلمني عليه واعلمني انه
يريد أن يتزوج ... هذا كل ما أريد أن أقوله لك فاذهي
ثم مشى الى المستودع فاستند عليه وعاد الى محادثة حفيده فقال
أتزوج وليس لك من العمر غير عشرين عاماً وقد أعددت
كل معدات الزواج فلم يبق الا أن أسمع لك به
تفضل بالجلوس يا موسيو ماريوس . . انه منذ حرمت التشرف
بلقائك حدثت ثورة كان الفوز فيها لليعقوبيين^(١) ولا شك انك
سررت بهذا الفوز لاني اصبحت جمهورياً منذ صرت ناروفاً هل
نلت وساماً في ثورة تمور (بوليو) وهل تمكنت من اسقاط اللوفر .
ولم يدع وقتاً لما ريو س كي بحبه بل مصى في حديثه فقال
هل أصبحت من الاغبياء . . هل بحثت في مهمتك نجاحاً
مضموناً يميل على الزواج فانك أصبحت من المحامين فكم تكسب
من هذه المهنة

قال لا أكسب شيئاً

قال لانكسب شيئاً ؟ اذن لا مورد لك الا من الراتب الذي

عينته لك . .

لقد فهمت الآن فان المتاة عمية كما يظهر

— بن هي مثلي

(١) جمعية نوار كانوا يحتتمون في دار يعقوب . . اليه

— كيف ذلك أليس لها مهر

— كلا

— ألا ترحو أن ترث

— لا أظن

— ماذا يشتغل أبوها

— لا أعلم

— وهي ماذا تدعى

— مدمواريل فوشلة ان

— فوش مادا

— فوشلقان

— إذن هي من غير مال وأنت ليس لك غير الراتب الذي

تقبضه منى وهو لا يتجاوز ستين ليرا في العام وكيف تعيش

سيدتى البارونة امرأة الباورن موتمرسى أذهب بنفسها الى

بائع الخضر فتشترى اسنيم طاقه بقدرولس

— أرحوك ياسيدى بل أنوسل اليك عائيا على ركبتى أن

تأذن لى برواحها

فقهقه الشيخ ضاحكا وقال

لقد قلت فى نفسك إني أذهب الى هـد الشيخ الثقيل « وحبذا لو

كان لى خمسة وعشرون ماما فاستغنى عنه » فإذهب اليه فأقول له إني

جعلتك سميداً برؤياى وقد حطر لى أن أنزوج فتاة لا أعرف

من هي وليس لي حذاء وليس لها قميص وأرأى في المياه مستقبل
وشبابي وأرج بنفسى الى هاوية الشقاء . وهذا الذى خطر فلا بد
لك من موافقتى عليه فلا يجد الشيخ بدا من الموافقة .. كلا يا بنى
ان هذا لا يكون وما انت الا فى صلال مبین

— أبى

— أبدأ

فلما سمع ماريوس هذا الالباء المحض أيقن أن لا رجاء له فمشى
الى الباب ببطيء وهو مطرق الرأس مشى القانطين
حتى اذا بلغ الباب وأراد الخروج قبض الشيخ على ثوبه
وأرجعه بعنف فأجلسه على الكرسي وقال له
قص على هذه الحكاية فلا فرق بينها وبين الحكايات
ولم يحدث هذا الا بقلب الفجائى فى الشيخ الا تلك الكلمة
التي سمعها منه وهي « أبى » فقال له

قص على حكاية نرامك فاني أحب حكايات الغرام

— أبى

فأشرق روجه الشيخ ببارق السرور وقال

نعم هكذا . ادعى دائماً بأبيك وسترى

— كما تشاء يا أبى فاعلم...

فقاطعه قائلاً

ما هذه الثياب التي تلبسها فان ذلك يدل على انك لا تملك درهما

وعند ذلك فتح درجاً فأخرج كيساً حشوه الدنانير فوضعه
على المائدة وقال له

ان هذا الكيس يحتوى على مائة دينار فاشتر بها ما تحتاج
اليه وقل لى كيف كان غرامك بهذه المنة
قال لقد صدقت يا أئى فان حكايتى تشبه الحكايات الموضوعة
فانى أحببت الفتاة لاول نظرة وذلك فى حديقة ليكسبرج التى
كانت تذهب اليها فلم أكرث فى البدء ولا أعلم كيف أصبحت
بها من الهائمين

والآن فانى اجتمع بها فى حديقة مرها كل ليلة وأبوهالا يعلم
شيئاً من أمرنا

وقد علمت أمس انه يريد الذهاب بها الى لندرا فقلت فى نفسى
انى اذهب الى حدى واقص عليه أمرى فانها اذا فارقتنى أجن
أو انتحر أو أمرض أى أئى أموت لا محالة اذا لم أنزوجهما

وهذه هى جملة حكايتى لسطها لك والمئة تقيم فى شارع

بليميت قرب الاتقاليد

— ماذا تقول شارع بليميت .. ألا يوجد ثكنة هناك ..

نعم فان قريبك تيوديل الضابط فى فرقة الرماحة يمر كل يوم بذلك
المنزل وقد أخبرنى انه يرى فتاة فى الحديقة واطنب فى وصف
جمالها فاهمك بسلامة ذوقك وأوثر الف مرة أن أراك عاشقاً
مفتوناً على أن تكون جمهورياً من البعقوبيين

وأتى لا ألومك لغرامك فاني اذا كنت قد تجاوزت عهد الصبي
فلا أنساء .. وقد اتفق لي كثير من الحوادث التي تشبه هذه
الحادثة أتعلم ماذا يصنعون في هذه الشؤون .. اهم لا يدفعون
مع تارحيهم ولا يترسلون الى عواطفهم حتى يلجأوا الى الزواج
وما يمنعك أن تأتي الى حدك وتسأله ما تشاء من المال أتخسب أنه
يحل عليك .. كلا يا بني فان للشباب ميدانا لا بد من الجري فيه
فتمتع بملذات الصبي فقد خلقت لك هذه الملذات .. وحب هذه
الفتاة كما تشاء دون أن تتزوجها فان ذلك لا يمنع أن ... أهنت
قال كلا لم أفهم

قال ان ذلك لا يمنع أن تجعلها خلية لك بدلا من حليمة
فامصر وجهه ماريوس ونفذت هذه الجملة الاحيرة الى قلبه
تخاذ حصر فنهض عن كرسيه وأخذ قبعته التي كانت على الارض
ومشى الى الباب وهناك التفت الى جده وقال له
انك منذ خمسة أعوام أهنت أبي وأنت اليوم تهين امرأتى ...
اني لا أسألك شيئا بعد الآن فاستودعك الله

ثم أقفل الباب بعنف وانصرف فلبث الشيخ في مجلسه مدعرا
لا يستطيع الكلام ولا القيام كمن أصيب بكاوس ثم تمكن من
النهوض فجعل يركض كما يركض ابن تسعين عاما حتى وصل الى
الباب ففتحه وحمل يصبح قائلا
الى الى

فأسرعت بئته اليه وجاء الخدم فقال لهم
اسرعوا واقتوني ه .. لا تدعوه يذهب . ماذا صنعت له .
نه مجنون . . أنه ذهب . ربا ربا . . أنه لن يعود في هذه المرة
وقد عاد الى غرفته ففتح البافذة المطلقة على الشارع وحمل
يناديه بأعلى صوته

ولكن ماريوس كان قد عطف من ذلك الشارع الى سواه
فلم يسمع نداء حده فسقط الشيخ على كرسيه فاتر القوى وعاد اليه
يأسه القديم

في الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم كان حان فالجان وحده في
احدى الحدائق وهو مرتدي بملابس العمال وعلى رأسه قبعة
كبيرة تستر وجهه
وكانت علام الاضطراب بادية عليه فانه كان قد اطمأن قلبه
على غوسيت بعد اكتشافه أمر الخيال
ولكنه بينما كان يتروى منذ يومين رأى تنارديه والمهدبه أنه
سجين ولم يكن تنارديه قد عرفه بفصل تكره ولكن حان
رآه مرتين أيضاً فاقن أنه يرود في الشارع
وفوق ذلك فان القلاقل السياسية كانت شديدة في باريس
فكان البوليس دائماً في القبض على أصحاب الشبهات ومتى قبضوا
على أمثال تنارديه امكنهم الاهتداء الى مثل حان فالجان
ثم أنه حدث في صباح ذلك اليوم حادث اضطرب له أشد

الاضطراب فانه نزل الى حديقة مرله في الصباح ويما هو يتنزه فيها مر بالجدار الكائن قرب المقعد الحجري الذي تقيم عليه غوسيت ورأى عليه كتابة كماها كتبت بـسمار فدنا منها وقرأ هذا العنوان

« شارع الزواج نمرة ١٦ »

وهذا العنوان الذي كتبه ماريوس كما تقدم فاضطرب جان في أمره وحمل يقول في نفسه

ترى ما هذا العنوان ومن الذي كتبه وما الغرض من كتابته
أهناك حير ويرحي أم شر فيعشى

وفي كل حال فانه يدل على دخول رجل الى الحديقة وعند ذلك ذكر مخاوف غوسيت السابقة وما كانت تسمعه من وقع الخطوات في الليل فعاد الى المنزل ولم يخبرها بشيء من ذلك حذراً من ان يزعجها

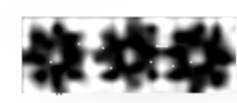
على أنه عزم عزمًا أكيداً على الرحيل من باريس الى انكلترا
واخبر غوسيت كي تتأهب للرحيل

ثم ذهب الى الحديقة العمومية واقام هناك يفكر بتنارديه والسوليس والكتابة التي رآها والسفرو صعوبة الحصول على جواز وفيما هو على ذلك سمع وقع خطوات من فوق رابية فوق المكان الذي كان حالساً فيه فهم ان يلتفت

ولكنه قبل أن يفعل رأى ورقة مطوية سقطت عند رجله فالتقطها وفتحها فقرأ فيها كلمتين

ترك منزلك

فوق والتفت إلى الجهة التي سقطت منها الورقة فلم يراها
فمشى إلى تلك الرابية فرأى شخصاً أكبر من غلام وأصغر من
رجل قد هبط إلى أسفل الرابية وجعل يرقص فعار جان إلى منزله
وهو مطرق يفكر أطراق الحزين



أما ماريوس فإنه روح منزل جده وهو شبه مجنون فقد دخل
إليه برجاء ضئيف وخرج منه يئأس عظيم
وقد جعل يتحول في الشوارع وهي ملحاً الساقطين إلى الساعة
الثانية بعد منتصف الليل فذهب إلى منزل صديقه الذي كان يبيت
عنده وانطرح على سريره بثيابه
فلما صبحا من رقاده وجدته مع أربعة من الأصدقاء فقالوا له
ألا تأتي معنا
قال إلى أين

قالوا لنحضر جنازة الجنرال لامارك
فخيل له أنهم يكلمونهم باللغة الصيفية
وبعد انصرافهم خرج من المنزل بعد أن وضع في حبيه الغدارتين
اللتين أحدهما من جافت كما يذكر القراء
وكانت الغدارتان محشويتين فلا تدري أي قوط دفعه إلى
التسلح بهما

جعل كل يومه ينتقل من مكان الى مكان وهو لا يعلم أين يسير
وقد اشترى فطيرة لغدائه فدفعها في حيبه ولسيها وكان المطر ينهمر
عليه وهو غير مكترث كأن تلك المياه كانت تطفئ ما في قلبه
من الالهيـب

ولم يكن يطعم شيء ولا يخاف شيئاً بل كان كل ما يرجوه
أن تسرع الارض في دوراتها وان تأذن الشمس بالغيبه اذ لم يكن
يفتكر الا بامر واحد وهو

ان يرى غوسيت في الساعة التاسعة
غير أنه حين كان يتحول في الشوارع المقفرة كان يسمع لغطاً
غريباً في باريس فثاب الى رشده وقال
ترى لعلهم يتقاتلون

ثم حانت الساعة التاسعة بعد ان فقد صبره أو كاد فأسرع
الى شارع بليميت

ولما وصل الى الحديقة نسي كل شيء في الوحود فقد مر به
أربع وعشرون ساعة دون ان يرى غوسيت
وقد دخل من بين القصبان الحديدية على حادته الى الحديقة
وذهب الى المقعد الذي تعودت أن تجلس عليه فلم يجدها
فذهب الى مكان آخر في الحديقة تكتفه الاشجار كانا يجلسان
فيه أحياناً فلم يرها

فرفع عينيه الى نوافذ غرفتها فوجدها مقفلة على غير عادتها

فصعد الى المنزل وقد تيممه الحب وأسكره الياس دون أن يكثر
كأنه صاحب المنزل يدخل الى منزله فقرع الباب فلم يجبه أحد
فطرق النوافذ وهو يتوقع أن يخرج اليه أبوها ويقول له ماذا
تريد فلم يتهيب ولكن لم يخرج اليه أحد

وقد اضطرب عقله حتى لم يعد يدري ما يصنع فجعل ينادى بأعلى
صوته غوسيت . . غوسيت فلا يجيبه غير الصدى وأيقن أنه
لا يوجد أحد لافي الحديقة ولا في المنزل

وعند ذلك نظر الى ذلك المنزل والى ذلك المقعد الحجرى
نظرة المودع وقال فى نفسه

لا شك أنها سافرت ولم يبق لى الا أن أموت
وعند ذلك سمع صوتاً من الخارج يناديه باسمه
فالتفت مذهلاً وقال

من هذا

فقال الصوت أأنت هما ياسيدى ماريوس

قال نعم

قال ان أصحابك ينتظرونك فى المتاريس فى شارع شاتيريرى
وكان قد سمع هذا الصوت من قبل وعرف أنه صوت أيبونين
ابنة تشارديه فخرج من الحديقة فرأى شبحاً يركض الى حصة
المتاريس ولكه لم يكن يلبس ملابس الفتيات بل ملابس الرجال

ان الشيخ ملبوف لم يستفد من ذلك الكيس الذى سرقه
 كافروش من جيب اللص وألقاه اليه من فوق سور الحديقة
 وهو الكيس الذى تبرع به حان فالحان على مونتيبارناس
 وذلك أن مالبوف أى أن يقل هذه الهدية التى هبطت اليه
 من السماء اذ لم يكن له أصدقاء فى السجون
 وأين له ان يعلم كيف كان أصل وصول هذا الكيس اليه
 فاعتبره كيساً مفقوداً وذهب به الى قومسيير البوليس فدفعه اليه
 فما أفاد أحدا به ولم يستفد منه اد لم يطلبه أحد
 وقد أحد يتواصل هبوط ذلك المنكرد فقد كان مديناً
 لخادمتة فأصبح مديناً لصاحب منزله
 وكان قد رهن كل ماعنده فى بنك الرهونات فاستحق الدين
 ولم يستطع الوفاء فباعوا كل مارهنه بالمراد العلى
 وكان عنده مجموعة تامة من الكتب الزراعية فباعها بالبخس
 فمن وجعل يقتصد فى أكله فقد كان يأكل كل يوم بيضتين ولحماً
 فبات يقتصر على الخبز والبطاطا
 ثم باع كل أثاث منزله فأنتقه فاحتفظ بثوب وباع كل
 ثيابه وأعطيته
 ولم يبق له غير نقيصة من كتب نادرة الوجود كان مولعاً بها
 أشد الولوع فاحتفظ بها
 غير أن الخادمة طاءته يوماً فقالت له

ليس لي ما أشتري به طعام الغداء
ولم يكن طعام الغداء غير الخبز والبطاطا كما قدمناه فقال لها
خذي بالدين

قالت ألا تعلم أنهم لا يبيعوننا الا بال نقد
فقام الى كتبه وجعل ينظر اليها كما ينظر الاب الى أولاده
ويفحصها

ثم تنهد تنهداً عميقاً وأخذ واحد أسرها فوضعه تحت ابطه وخرج
به فعاد بعد ساعة وأعطى الخادمة ثلاثة فرنكات ثم الكتاب
وقال لها

هو دأ ثمن الطعام
ومن ذلك اليوم جعل يأخذ كل يوم كتاباً فيشمر كان مفاسده
تنزع من جسمه حتى لم يبق لديه كتاب
وكان يقول في نفسه

لقد بلغت الثمانين من العمر وكنت أرجو ان تذهب أياي
قبل ذهاب كتي

وكان عضواً في الجمعية الزراعية فعرف بعض الاعضاء ما ألم
به من الفقر وزاره رئيس الجمعية فوعده ان يدكره بالخبر لدى
وزير الزراعة والتجارة

وقد فعل فمحب الوزير وقال
ايكون هذا الرجل من كبار علماء الزراعة فيبلغ حد الهرم

فندعه بهذا الصيق . كلا فسنظر في أمره

وفي اليوم التالي دعاه الوزير الى العشاء عنده فاطلع الخادمة على كتاب الوزير فصفقت يديها طربا وقالت لقد نمجونا والحمد لله وقد اجاب الدعوة ولكنه كان ذوي الملايس فلم يكلمه احد حتى ان امرأة الوزير سألت احد المدعوين مشيرة الى الشيخ فقالت من هذا الرجل المسكين

فقام من فوره فخرج من منزل الوزير وعاد إلى منزله ماشيا تحت الامطار

وفي الصباح خرج الى الحديقة وحلس قاطئا في مجلسه العادي فسمع دوي البنادق من جهات مختلفة وقد مر به في تلك الساعة نستانى يعرفه فاستوقفه وسأله قائلا ما هذا

قال لقد نشبت الثورة

— أين

— في باريس وهم الآن يتقاتلون

— لماذا

— ألا تعلم

— أين يتقاتلون

— في جهة الشكنة

فدخل ملبوف الى منزله فأخذ قبعته وبمحث عن كتاب

يبينه حسب عادة في كل يوم فلم يجد نخرج من منزله هائما على وجهه خروج القانطين

* *

من أى شيء تتألف الثور .. انها تتألف من لا شيء ومن كل شيء .. انها تتألف من شرارة كهربائية تمتد تداها ومن لهب يتأحج سخاءة ومن قوة تسير هائلة ومن تفحة تهب فتلتقي برؤوس تفكر وسفوس تشقى فتندفع اندفاع انتصار يحرق كل ما يمر به من الشرائع الجائرة

وفي سنة ١٨٣٢ كانت باريس تشبه مدفعا محشوا إذا أصابته شرارة يطلق وقد أصابته فكانت تلك الشرارة وفاة الجنرال لامارك

كان الجنرال لامارك من مشاهير رجال ذلك العصر خدم الامبراطورية والجمهورية بسيفه وبمقله فقد كان من أهل البيان كما كان من رجال السيف

وكان الشعب يحبه لانه خدم الامبراطور وخدم وطنه فان نابليون مات وهو يقول الجيش ومات لامارك وهو يقول الوطن وكان الناس يتوقعون موته ويتخافونه لانه كان خسارة عظيمة لاتعوض فكان اخرن عليه عظيمات ثم تحوا. ذلك الحزن الى ثورة وقد كان صباح اليوم الخامس من شهر حزيران (يونيو) وهو اليوم

المعين لدفن الخيال يوماً تناوب فيه الصحو والمطر وزغت أشعة الشمس من خلال الغيوم فكادت تارة تفتح الصاب فتألق في كبد السماء وتارة يتابد الغمام فينهمر المطر كافواه القرب وقد مشت حيازة الخيال لامارك بأهية نادرة المثال فمشت معها فرقتان تحمل البنادق مكسة وعشرة آلاف من الحرس الوطني المسلحين بالسيوف وفرقة من المدفعية فسكوا يخفرون مركبة المعش التي كان يجرها فريق من الفتيان وكان يسير وراءهم الصباط يحملون أغصان الفار والفار يومئذ من شعارات المجد

ثم يحىء بعدهم جماهير لا يحصيها العد من طلاب الحقوق وتلامذة الطب واللائين إلى الملاد الاورسية من الاسابيين والايطاليين والالمانيين والمولوبيين وكلهم يحملون رايات بلادهم وجمهور عظيم من الغلمان يحملون أغصانا موزقة حضراء ثم هربق العمال الذين أضربوا يومئذ عن العمل وكلهم يحملون المصبي ولعصهم يتقلدون السيوف ويسرون من غير نظام والناس قد تكدسوا في المشارف والنوافذ والسطوح وكانت الحكومة ساهرة تراقب محذر شديد وقد فرقت الجنود في كثير من الاماكن

وقد كثرت الاشاعات بين مشيبي الحارة فكان بعضهم يتولون ان الدوق دي رشتاد سيكون امبراطورا وبعضهم يدعون ان

اثنين من كبار المأمورين سيفتحون مستودعات الاسلحة وينشقونها
على الناس

رقد سارت الجبازة من منزل العقيد الى البستيل وحرى
أثناء تشييعها بعض حوادث فأنها حين وصولها الى عمود فاندوم
ظهر الدوق دى فيترجس في مشرف منزله وقبضته في يده فرماه
الناس بالحجارة وانزعوا راية من ريات الموربون فشقوها
وألقوها في الراحون وحرص أحد الصايط بصرية سيف الى غير
ذلك من الحوادث التي كانت تشير إلى قرب الامتجار

حتى اذا وصلت الى المدفن وقف الخيال لا فائدة فان العقيد
وودعه بكلمات مؤثرة فكشف الجميع قبعاتهم احتراماً

ولم يكذب ينهي من تأييده حتى ظهر رجل يمتطي جواداً
وهو يلبس ثوباً أسود ويحمل راية حمراء فكان ظهور هذه
الراية بدء الثورة فان الشعب هادوا لظهورها وغلت الدماء في
عروقهم كما تغلي المياه في المراحل

ولم يكونوا يعلمون ما حدث ولكن أديع بينهم أن الجيود
في جهة الشكة ضربوا الطبول اشارة الى الهجوم وان غلاماً
طعن ضابطاً بحجره فقتله

والحقيقة انه سمع في تلك الساعة دوي ثلاث طلقات فقتل
الطلق الاول قائد فرقة وقتل الثاني امرأة عجوزاً كانت تقفل

نافذتهم وخرج الثالث أحد الضباط فهجمت فرقة من الفرسان
في شارع نوردون وهي مشهورة السيوف

وعند ذلك ثارت المعاصلة وانقضت الساعة وبدأت الثورة
الهائلة فاندفع الناس يصيحون الجمهورية أو الموت وظهت الرايات
المختلفة وفتحت محارن الأسلحة فاحتطف الثائرون ما كان فيها
وكانوا يسرون عصايات على اختلاف درحاتهم فمضهم ينهبون
وبعضهم يقتلون وابتث الجنود في جميع الشوارع فلما اقل الليل
كانوا قد قصصوا على ثمانمائة رجل من الثائرين

وفي اثنين عادت الى سدتها وماتت المصابات الى الظهور
مكان احراهم يتولى قيادتهم حتى لقد شوهه كافروش يحمل
غدارة ويسير بالثائرين وهم يشد الاكاشيد الحماسية

وكان قد طاق في الصباح سراح الطفلين فاحرجهما من خوف
النيل وقال لهما

ارهن فامحنا عن ابويكما فاذا لم تجداهما عودا الى هذا المكان
فاني احييكم بالطعام وتبستان فيه

وفي المساء لم يجداهما فلا يعلم ألقيا واليهما أم أخذها رجال
البوليس الى أحد ملاجيء الاطفال أم داستهما الاقدام في ذلك
المترك فعاد مغضباً فاقم الى حيث كان الثائرون ومشى في طليعتهم
حتى مر بدكان ذلك الحلاق الذي طرد الطفلين فهاجت براكين
حقده عليه ورمي دكانه بالحجارة وكسر زجاجها وشفي غليله
من الانتقام

وما زال يسير بعصافته في الشوارع حتى التقى بعصاة كان
يتولى زعامتها أمجولاس وكور فراك وكومبير أصحاب ماريوس
فانضم اليها وسألهم الى أين نذهب
قالوا اتبعنا

ثم اتفقوا بعصاة أخرى وحدوا بين رجالها شيعة يناهز الثمانين
من العمر فعرفه كور فراك ادراه صراخاً مع ماريوس ودنا منه
فقال له

عد الى منزلك يا مرسيو مالبوف
قال لماذا

— لان المعركة هي وشك الشوب
— حساً

— انهم سيطلتون النادق ريتقارعو بالسيوف يا مرسيو
مالبوف
— حساً

— وستفجر كرات المدافع
— حساً قالى أين أنتم داهيون
— انا داهيون لقلب هذه الحكومة الخائرة
— حساً

وقد سار معهم بقدّم ثابتة ولم يعد ينطق بكلمة فكان بعض
العمال يحاولون أن يتأبطوا ذراعه ويعاونوه على السير فيسمع بالاشارة

ويعشي معهم وهو يتحمس لاشييد كافروش كما يتحمس الفتيان

وكانت تلك العصابات تتكاثر فكل ما احتازت شارعا انصمت
اليها عصاة حتى وصلوا الى شارع الزحاج ومروا بمنزل كوديفراك
فقال كوديفراك لاحد اصحابه

لقد اصغت فتى وأنا صاعد الى منزلى لاسيء غيرها
وقد صعد السلم وثما وحاد ملقيته بواية المنزل واستوقمته
فقال لها من أنت

قلت أنا بواية المنزل ألا تعرفي

— ماذا تريد

-- يوجد فتى يريد أن يراك

— من هو

— لا أعلم

— أين يقيم

— في غرفتي عند الباب

-- ليس لي وقت لمقابلة الناس

-- ولكنه ينتظرك منذ ساعة

وعند ذلك خرج الفتى من غرفة البوابة وكان عابسا الغتيان
ولكن هيأته تدل على أنه من النساء فدنا من كوديفراك وقال له

أريد يا سيدي ان أرى الموسيو ماريوس

قال ماهو هنا الآن

— أيعود في هذه الليلة

— لا أعلم اما أنا فلا أعود

فنظر اليه العتي محمداً وقال لماذا والى أين أنتم داهيون

— ماذا يهمك أمرنا

— أتريد أن أحمل لك حقيبتك

— ليس لي حقيبة وما أنا مسافر بل اني ذاهب الى المتاريس

— أريد أن أذهب معك

— ان الشوارع لجميع الناس فادهب الى حيث تشاء

ثم تركه وجمع يهب الارض ركضاً كي يلحق بأصحابه وهناك

رأى ان تلك الفتاة المتكررة عملايس الغلمان قد تبعته

وقد ساءوا يتقدمهم كوريفراك الى خمارة يدعونها حمارة

كورت كان أصحاب ماريوس يختلفون اليها فجعلوها مركزاً لهم

وبنوا المتاريس في موضعين بجانبها فكانت المتاريس ملاصقة للحدادة

فكل أحد المتاريس ينتهي عند شارع شانفريرى والآخر ينتهي

عند شارع موييتور والمتاريس مسبة بالراميل وبلاط الشوارع

وكان قد اشترك في سائها فريق كبير من العمال فكانت

كوريفراك يرافق اثنين من أولئك العمال فيجداهما يشتغلان

في بناء المتاريس بغيرة صادقة وهمة لا تعرف الملل أحدهما رجل

طويل القامة عريض الكتفين لم يعرفه والآخر غلام صغير عرفه
اذ بات من المشاهير في هذه الثروة فانه كافروش أما تلك الفتاة
التي سألته عن ماريوس وتبعته الى المتاريس فقد بحث عنها
فلم يجدها

وقد سدوا بالمتاريس الشارعين ولم يبقوا غير متغد واحد من
شارع مونديتور وعند انتهاء بناهما صعد كافروش وامر كورينفراك
الى سطح الحمار ونصب هناك علم الثورة ثم ورعت الاسلحة
على الثائرين فاصاب كل واحد من اندخيرة ثلاثين رصاصة وبندقية
واقام الجميع داخل المتاريس وكانوا خمسين رجلا وجعلوا
ينتظرون أن تهاجمهم الحنود فطال انتظارهم حتى كادوا يسأمون
فان الحكومة كانت تتأهب لهذا القتال ولم يتم تأهبها بعد
وكان كافروش يحمس العما حين ساء المتاريس بأقواله وأما شيدده
وهو يماسط هذا ويمارح ذاك

فلما دخلوا الى المتاريس بعد أن تم بناؤها نظر اتفاقا نظرة
الفاحص الى أولئك الجموع خانت منه التفاته الى ذلك الرجل
الطويل العريض الكتفين الذي كان يشتغل على الفيرة في
بناء المتاريس

ولم يكذبوا حتى انتقص وجعل يتمن به والرجل مطرق
لا ينظر اليه

وعند ذلك دنا كورينفراك من كافروش وقال له

لقد سئمنا الآن نظار قاده يا كافروش الى الشوارع فتحس
الاخبار وعد الينا

قال اني داهب وسأعود بالخير اليقين ولكن لا بد لي أن
أرشدك الى أمر قبل ذهابي أترى هذا الرجل الطويل الواقف هناك
قال نعم

قال احذره كل الحذر فهو من دهاة الجواسيس

قال أنت واثق مما تقول

قال كل الثقة فهو من رجال الحكومة وقد أرسلني منذ
أسبوعين بمهمة تركه كوريفراك ومشى الى ذلك الرجل وعينه
توهجان من الغضب فقال له

من أنت أيها الرجل

فاهتر الرجل لهدد المفاجأة ونظر محمداً الى كوريفراك فعلم
كل ما يحول في فكره فانسج انشاء المحقق فقال له نهجة
ملؤها العظمة

لقد عرفت ما أردت أن أعرفه

قال أنت من الجواسيس

قال بل أنا من عمال الحكومة

— ماذا تدعى

— جافرت

فاشار كوريفراك الى أربعة من الرجال كانوا محققين به فهجموا

عليه وقيدوه قبل أن يتمكن من الدفاع
وقد فتشوه فوجدوا معه ساعة وكيساً من المقود تركوها
له ثم وحدوا في حيه ورقة تنصص صدور الامر اليه من مدير
البوليس وهذا نسفا

«على المفتش حُفرت بعد أن يقصى مهمته السياسية أن يراقب
الشاطئ الأيمن من نهر السين مراقبة خاصة قرب حصر بينا
ويأتينا بالخبر اليقين»

وبعد أن قيدوه وفتشوه حملوه الى قاعة في الحارة وحبسوه
هناك فقال له كوريفراك

اذا سمعتمكم رمياً بالرصاص قبل أن تؤخذ المتاريس بدقيقتين
قال لماذا لا تقتلونني الآن

— لتقصدي البارود

— اقتلوني بطعنة خبيث

— ما نحن من السفاكين أيها الجاسوس بل نحن من القضاة

ثم نادى كافروش وقال له

اذهب الآن في المهمة التي عهدت لك اليها

قال اني ذاهب ولكني ألتبس أن تعطيني بدقية الحاسوس

فقدت أحقها من دونه

قال هي لك

فأخذها وأطلق ساقيه للريح فخرج من المتاريس ليتحسس
الاخبار ويعود الى رفاقه

كان بين عصاة كوريفراك رجل لا يعرفه أحد قد انضم اليها
يدعى كاييك

وكان سكران أو انه كان يتظاهر بالسكر لغرض من الأغراض
فلما قضاها على جافرت وذهب كافروش قال لهذا الرجل لبعض
رفاقه وقد دهم على منزل داخل منطقة المتاريس يشرف على الشارع
لا تروا هذا المنزل أيها الرفاق فانه خير مكان لاطلاق النار
فإذا وقفنا في مشرفة نطلق سادقاً منه فلا يجسر أحد شئ من حمته
من الشارع

قالوا نعم ولكن فانه مقفل

— بطرقه

— لا يفتحون

— إذن بكسر الباب

وقد مشى الى الباب وحمل بطرقه فلم يحبه أحد
ثم حصه فوحده متنبأ مصفحاً بالحديد فعاد الى قرعه
وما زال يطرقه الى أن أطل رجل شيخ يحمل شمعة وسأطهم قائلاً
ماذا تريدون أيها الاسياد
فقال كاييك تريد أن تفتح لنا الباب

— لا أستطيع فتحه

— قلت لك افتح

— ان هذا محال

فصوب اليه سدقيته وقال له

قل الآن ألا تريد أن تفتح

قال كلا

فلم يكذب يتم كلمته حتى دوت السدقية فوقعت رصاصتها بذقن

ذلك المنكود وحرحت من قذاله فانقلب بهوى إلى الشارع

وقد سمع أصحاب ماريوس دوى السدقية فلما علموا بما كان

دفا المجولراس من كاديك فقبض على كتفه وقال له

اركع أيها الشئ

وقد اضطره إلى الركوع بالقوة واحرج ساعته من جيبه

فقال له

اني أمهلك دقيقة واحدة لتفكر أو تسلي

فحمل الرجل يتوسل اليه ويلبس العفو والمجولراس ينظر في

ساعته حتى اذا انقضى الاحل المبرور اطلق غدارته على رأسه

فسقط من فوره قتيلا بالقوة خارج المتاريس

ووقف بين المحيطين به وقال

أيها الاخوان ان ما فعله ذلك الرجل فظيع مكر وأنا أيضا

أقدمت على أمر هائل ولكنه قتل من غير حق وقتلته بحق فان

الثائرين يحب أن يكونوا كالحنود المنظمة وان يكون شعارهم
الطاعة

اما لم نعهد إلى الثورة للقتل وسفك الدماء بل لنسعدو إلى
الجمهورية ونندود عن حماها فنحن عبيد الواجب فلا ينبغي أن ندع
مجالاً للنائم أما أنا فقد حكمت على هذا الرجل بالاعدام بصفتي
أحد زعمائكم وقناته مرغماً مضطراً وسترون كيف احكم على
نفسى أيضاً

فاجاب كوريفراك قائلاً

اما معك

قال ليكن ما تريدون

وماد إلى مخاطبة الثائرين فقال

أيها الاخوان ان ما عملته شر ممقوت اضطرت اليه مكرها
فانتقم للشر بالشر وسيأتي يوم تزل فيه هذه الضرورات
ويسود الاخاء بين الناس وتبقى السيادة والمستقبل للحب والاخاء
والمساواة وهذا الذي نشور من أجله الآن

أيها الاخوان ان المستقبل لنا وسنخرج من هذا المعترك
ظافرين فتتحاب الظلمات وينقلب الظالمون وتسود المساواة
ويتسلط الحب . نعم سيأتي هذا اليوم وهو قريب فاذا متنا في
سبيله طاش بموتنا "ماس

فصفق الجميع له وأمنوا على قوله

أما كابيك الذى قتله فقد اتضح بعد أن حدث الثورة انه كان
من شر الجواسيس فلم يأسف لموته أحد
وبينما الناس يصفقون رأى كوديفراك تلك الفتاة المرتدية
بملابس العلمان والتي سألت عن ماريوس قد دخلت الى المتاريس
وانصمت الى التأثير .

يذكر القراء ذلك الصوت الذى نادى ماريوس حين كان فى
حديقة غوسيت وقال له أن أصحابك يسطرونك فى الميادين
وقد كانت هذه الدعوة كما دعا دعوة القدر فانه خرج من الحديقة
والياس ملء قلبه ادبات واثقا ان غوسيت قد سافرت وهو
أقسم لها اشرفه أن يموت إذا تخلت عنه فلم يبق له مد من الموت
وكان معه غدارة حافرت فحاول أن يتمحرم من فوره ولكنه
ذكر فى تلك الساعة أعمال أبيه وذكر أنه هو كان منتظما فى سلك
الجمعية الثورية وان هذه الثورة التى يتأهبون لها من عهد اميد
قد اشدت الآن واندلع لسان لهيما فبات الواجب يقضى عليه
بمعاونة احوانه فيها لا سيما وقد دعوه الى المتاريس للاشتراك معهم
فى القتال فقال فى نفسه

إني اقسمت على أن أموت وأنى فرق ادا مت متحزراً أو مت
فى ساحه القتال وحين لى أن أموت بين احوال فأكون قد بررت
بقسمين وحفظت عهدى

وقد ذهب من قوره لا يلاوى على شىء وسار في طريق المتاريس
حتى وصل الى شارع شوهريرى ولم يبق له غير خطوة الملوغ الى
المتاريس جلس هناك على حجر وحمل يمتكربا بيه ذلك الكولونيل
مونتيرسى الذي حافظ في عهد الجمهورية على حدود فرنسا وناغ
في عهد الامبراطورية الى حدود آسيا والذي دخل دحول التماحين
الى حصوا واسكندرية وميلان وتورين ومدريد وفيينا ودرسد
ورلين وموسكو . ذلك البطل الذى سقى كل تلك الربوع بدمه
وان هذا الدم نفسه هو الذى يحول الآن في عروق ولده ماريوس
فقال في نفسه

لقد دنت ساعة الاقتداء بأنى حيث اكشف صدرى لرصاص
البنادق واسفك دمي في سبيل وطني
ولم يكن يهوله غير هذه الحرب الاهلية اذ كانت تتمثل له
شكل هوة هائلة تصيلقى نفسه فيها فيرتعد ويدكر سيف أبيه
الذى باعه جده كي لا يبقى عنده مثل هذا الاثر وأسف يومئذ
عليه ماريوس أسفا عظيما ولكنه الآن لم يعد يأسف عليه بل
قال في نفسه

لقد أحس بيه هذا السيف الشريف بانفلاته وهيامه في الظلمات
كأنه كان يتوقع هذه الحرب الحائرة الى يصبح فيها الوطنى عدوا
لان وطنه وكره بعد عودته من مارنحو مصوغاً بدم اعداء
البلاد أن يعود الى شوارع باريس فيصبغ بدماء ابدانها وقد شرف

وعز يد الاب فلا يجعل به أن يذل ويهان يد الابن فان هذا
السيف لو بقي موحودا في منزل حده لا خده وقاتل به الفرساويين
في حين أن أناه كان يقاتل به عن الفرساويين وحين له الف مرة
أن تحطه مطرقة الحداد من أن تصغه الحرب الاهلية بدماء
أبناء السلاسل ولما انتهى بتصوره بعد هذا حمل يبكي ويقول
في نفسه

رباه ماذا اصنع اني لا استطيع أن أعيش يوما من غير غوسيت
وما زلت قد سافرت ولم يبق بد من الموت ألم أقسم لها بشرفي
اني أموت

وقد أقسمت لها هذا القسم أمامها فسافرت وهي تعلم اني
أموت فكأنها تريد لي الموت

وإذا كان ذلك فاية فائدة بقيت من الحياة

ثم انه لم يبق شك انها لا تحبني بدليل انها سافرت دون أن
تكتب لي كلمة وهي تعرف عواني

فما حياتي بعد الآن وما هذا الردد الذي يتولاني أصل الى
باب الموت ثم أرحع عنه... أنتهي الى المتاريس ثم أهرب من
الخطر.. أيدعوني احوائي ويستجدون بي ثم اتخلي عنهم..
انكث في حين واحد عهد الحب وعهد الاخاء وعين الشرف.. كلا
ولو لقيني أني أتردد في هذا المجال لصفعي وهو يقول
الي الامام الي الامام أيها الجبان

وبعد فما هذا الخوف من الحرب الاهلية فان فرنسا تقطر
فيها دما ولكن الحرية تبسّم وستنسى فرنسا جرحها بما تراه من
هذا الابتسام

وأى فرق بين الحرب الاهلية وسائر الحروب مازال الرجال
يتقاتلون في الحربين أليس الرجال اخوانا في كل مكان ..
ان الحرب لا توصف الا بغاياتها فلا يجب أن يقال حرب اجنبية
وحرب أهلية بل يقال حرب مادية وحرب جائرة الى أن يعقد الوفاق
الانساني العظيم وتبطل تلك الحروب الجائرة فلا تكون طارا على
البشر الا حين يستحيل السيف الى خنجر لقتل النظام والمدنية
والحق فان هذه الحروب سواء كانت اجنبية أو أهلية لا تعد
جريمة ..

ان استبداد الحاكم الظالم يغتصب الحدود الادبية كما يغتصب
الفاتح الحدود الجغرافية فاذا طردت الظالم أو طردت الفاتح كان
عملك واحداً في الحالتين أي انك طردت المعتصب من أرضك
وقد تأتي ساعة لا ينفع فيها الاحتجاج الفلسفي بل يجب فيها
العمل وان تم القوة مابدأ به الفكر وان الجمع يحترق فيجب
ارهاق نفوس الرجال بالخير وجرح عيونهم بالحق ورض جسومهم
لشفاء نفوسهم واهار عيونهم ليستفيقوا
ومن هنا تتولد الحروب فلا بد من نهوض كبار المحاربين
(١١ — ن)

وانارة الشعوب مجراءتهم وهر هذه الانسانية الحزينة المنزوية في
طل الشرائع الروحية والمجد القيصرى والتعصب الشائن والسلطة
المطلقة التى لا قيد فيها وليسقط الظالمون

ولكن أى ظلام أعنى أ كان لويس الرابع عشر ولويس الثامن
عشر من الظلام . . كلا فقد كانا من أقطاب الملوك وأثرأ منهم
ولكن المباديء لا تتجزأ والعسف لا يطبق على الحقوق فقد كانت
السيادة لرجال الدين في عهد لويس الرابع عشر وكانت السيادة
للأثرة في عهد لويس الثامن عشر فصيق هذان المبدأآز على حقوق
البشر وكان ما كان

أحل يجب أن تكون فرنسا البادئة فنى سقط الظالم فيها سقط
الظلم في كل مكان

وعلى الحملة يجب أن يرد للحرية عرشها وان يكون الحكم
للشعب لا للأفراد فيرد الشعب للشعب

ان مثل هذه الحروب تؤيد السلام وأن يوحد حصص مبيع
هائن مسمى على دعائم الاثرة والاستبداد والامتيازات والنفاق
فيجب ذلك هذا الحصص فان الانتصار في أوسترلتيز عمل عظيم
ولكن هدم الباستيل عمل أعظم

وبما كان ماريوس ياجى نفسه بهذه الافكار كان ينظر الى
داخل المتاريس فيرى الثأرين يتحدثون بأصوات منخفضة وقد
بدت عليهم علائم نفاذ الصبر

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة دون أن يأتي أحد
وكان كوريهراك وأصحاب ماريوس الأربعة حالسين وصادقهم
على ركبهم لا يتكلمون إل يصفون
وفيما هم على ذلك سمعوا صوت غلام يشد شيئاً حماسياً خارج
المتاريس فما تشككوا أنه صوت بكاروش
وقال أمحولراس

ودخل في وقت دخول كاروش اثنان من الحراس فصاح
كوميضيك رجال العصاة أن يتأهبوا وكانوا ثلاثة أربعين رجلاً
بيدهم كافر وش فأحد كل منهم بندقية ووقف في موقعه
وراء المتاريس

وبعد هبة سمعوا من الداخل صوت خطوات موروثة
فكان هذا الصوت في البدء ضعيفاً ثم جعل يزداد جلاءً باقتراب
القادمين من المتاريس حتى المجلى تماماً فأيقنوا أن الجنود
القادمين كثيرون

ثم وقف الجنود على مقربة من المتاريس فكان الذين داخلها
يسمعون ركضاً منهم لكثرة عددهم إذ كانوا يملغون فرقة
ولكنهم لم يروهم لاشتداد الظلام بل كانوا يرون برق حراهم
المعانة ورووس المداق

وبعد هبة صرخ واحد من جهة الجيش بصوت جهوري

قائلاً

من هنا
فأحابه المحولاس من لداحل بنفس لهفته قائلاً
ثورة فرداوية
فصاح الصوت قائلاً
أطلقوا النار

فدوت البنادق بطلق واحد خرج كهزيم الرعد وسقطت
الراية الحمراء عن المتاريس ودخل الرصاص من خلال المتاريس
فخرج كثيرين حتى هلمت قلوب الثائرين وأيقنوا مما مسموهم أن
عدد الجود لا يقل عن ألف حامي وامر كوريفراك الثائرين أن
يقتصدوا في البارود الى أن يقرب الجندأو الى أن يهجموا
وقال المحولاس يجب قبل كل شيء ان نعيد الراية الى موضعها
ثم صاح رفاقه قائلاً

من منكم ينشط لارجاع هذه الراية الى موضعها
فلم يجبه أحد فان من يصعد الى المتاريس في هذه الساعة كان
شأنه شأن المنتحر اد يجد ألف بندقية مصوبة اليه

فعاد المحولاس الى المناداة قائلاً
أليس فيكم من يجسر على الصمود
انه منذ دخول الثائرين الى المتاريس لم ينتبه أحد الى الشيخ
مالبوف مع انه لم يبرح ذلك المكان

وكان قد دخل الى الحجرة وجلس وراء إحدى الموائد لا يكلم
أحدًا ولا ينظر الى أحد

وكان كوريفراك لقيه مرتين وسأله أن يعود الى منزله وأن
يجتنب الخطر المحقق به فلم يكن يجيبه ولا ينظر اليه .

وقد مر به ساعتان قبل أن تصل الجنود وهو حالٍ ومجلسه
لا يتحرك ولا يتكلم ولا ينظر الى شيء

ولكنه حين سمع دوى البارود ارتعش ارتعاشاً عنيفاً وصحاً من
ذهوله فنهض مسرعاً ودخل الى حيث كان الثائرون فيما كان
انجولراس يصيح قائلاً

أليس بيبكم من يحسر على الصعود الى المناريس ووضع الراية .
ولم يكن قد تقدم أحد ورأوا هذا الشيخ قادماً من الحجرة
فأيقنوا أنه جاء لتلبية النداء

وقد كان دهشهم عظيماً من جرأة هذا الشيخ فصاح واحد
منهم قائلاً

هذا هو ممثل الشعب

أما الشيخ فانه مشى الى انجولراس فكانت الرؤس تنحني له
اجلالاً ثم ارتفع الراية من يده فتراحع انجولراس مسدعراً
ومشى الشيخ والراية تهز في يده فلم يجسر أحد على رده
ولا على مجاراته وأخذ يتسلق المناريس والثائرون ينظرون اليه
وهم ساكتون واجنون كان على رؤوسهم الطير

أما الشيخ فانه حين وصل الى أعلا المتاريس وقف وأمسك
 بيده العلم الأحمر فهزه بيده المرتخفة وصاح قائلاً
 لتحيى الثورة . لتحيى الجمهورية . . أخاء ومساواة وموت
 وعند ذلك سمعوا من داخل المتاريس ذلك الصوت الذي
 قال لهم من قبل « من هنا » يقول له
 ارجع إليها الشيخ من حيث أتيت
 وربع بالون الراية بيده وصاح قائلاً
 اتحي للجمهورية
 فأمر صاحب الصوت بإطلاق النار

وهو دوى صوت النار كدوى أول مرة فسقط الشيخ
 في الماء على ركبته ثم سقطت الراية من يده ثم سقط على قفاه
 وانقلب الى الأرض ويداؤه صدر ممتاز الى صدره
 فصرخ نثاءً بين اليه ورومو حوله إزاء الاحترام فقال لهم
 المحوّل من

أبناءه حين نهد الشيخ كان خير مثال للفتيان حينما كنا
 نردد أصرع ويدينا كما يحكم أتم ذات الدين يضطربون من
 التبيخ حة اعلمون ندين يضطربون من الخوف

ان هذا الشيخ الذي ت شبيه اريّة طاش عمراً طويلاً ومات
 أشرف، موت فليدع روحه الكريمة ليمنع يميناً يدافع كل من
 عن جثته كما يدافع عن أبيه فتصيح متاريساً أسمع من انقباب

وقد ركب انخولراس فقبل جبهة الشيخ ثم كشف عن حرقه
والدم لا يزال يسيل منه فقال للثائرين
هذه هي رايتنا الآن



وقد غطوا الشيخ بوشاح اسود واطلقوا حوله النادق يحيونه
ثمجة الوداع وحملوه بملء الاحترام فوضعوه على مائدة كبيرة
في القاعة

ولما مروا به حيث كان جافرت مقيداً قال له انخولراس
سيأتي ذووك قريباً أيها الخاسوس
وكان كاذباً وش مقبلاً في مكان يشرف على الطريق للمراقبة فلم
يبرح مكانه لحظة
وفيما هو على ذلك رأى كثيراً من الجنود يمضون متلصحين
إلى جهة المتاريس فصاح برفاقه قائلاً
اهدروا

فخرجوا جميعهم من قاعة الجمارة فرأوا بريق حרב الجنود
ثم رأوا بعضهم قد دخلوا من مواقع مختلفة
وقد همم ناهوريل أحد الثائرين على حمدي فقتله بغدارته
ولكنه لم يمت أن أصيب بغداره حمدي آخر فقتل
وهجم ثلاثة على كودنبرات فحمل يدافع عن نفسه وهو يصيح
مستجداً برفاقه

ومشى جندي يشبه العالقة الى كافروش فصوب كافروش اليه
بندقية وأطلقها ولكنها لم تنطلق فان جافرت لم يكن قد حشاها
أما الجدي فانه ضحك من اندهال الغلام وهجم عليه يحاول
طعنه بالحربة

ولكنه قبل أن تبلغ حربته الى صدر كافروش سقطت من
يده وهوى مسقلاً الى الارض اذ صابته رصاصة في جبهته اردته
قتيلاً

وفي الوقت نفسه اصاب رصاصته افري الذي كان يهاجم
كوريفراك فسقط يتعبط بدمه

اما صاحب الطلقة فقد كان ماريوس

كان ماريوس جالساً قرب المتاريس يناجي نفسه كما ذكرناه
وهو متردد في أمره لا يعلم ما يصنع

ولبت على ترده الى أن سمع دوى البارود فمشى الى المتاريس
ثم سمع صوت صديقه كوريفراك يستنجد فركض الى المتاريس ولو
تأخر لحظة لقضى على صديقه وعلى كافروش

وكان الجود قد رحفوا وتسلقوا على المتاريس فبات معظمهم
فوقها ولكن لم يزل أحد منهم الى داخلها اذ كانوا لا يزالون مترددين
لخوفهم من أن يؤخذوا اغتيالاً محكمة

وقد وقفوا ينظرون الى داخل المتاريس دون أن يروا شيئاً
لمسدة الظلام

أما ماريوس فكان قد أطلق غدارتيه ولم يبق له سلاح عرمي
بهما الى الارض

ولكن كان قد رأى رميلاً من السارود قرب باب القاعة
السفلى من الحجرة

وقد التفت عند ذلك اتفاقاً الى ورائه فرأى جدياً قد صوب
اليه بندقته ولكنه رأى في الوقت نفسه ان يداً قد وضعت على
فم تلك البندقية وسدتها فاطلقت الرصاصة وأصابت تلك اليد
أما صاحب تلك اليد فقد كانت تلك الفتاة المتسكرة بثياب
الفلان وقد تكور الرصاصة بعدت من يدها الى صدرها بدليل
انها سقطت الى الارض اما ماريوس فلم يصب بشيء

وكان الموقف صعباً فرأى ماريوس كل ماجرى وسار مسرماً
إلى جهة البرميل كأنما خطر له خاطر بشأنه لم يجد بداً من الاسراع
باتقاده

اما الثائرون فاسهم توقفوا ولكنهم لم يدعروا وكان المحولاس
يصيح بهم قائلاً

تمهلوا ولا تطلقوا النار

ذلك لانه كان يخشى أن يصيب بعضهم بعضاً
وقد صعد معظمهم الى الحجرة بحيث باتوا يشرفون على المهاجمين

من السراقة خلافا لكونه فاك وأصحابه فقد لبثوا في مواقعهم
داخل المتاريس

وكان المريقان متقاربين بحيث يستطيعان ان يتعادتا
وعند ذلك دعاهم أحد القواد إلى التماسيم
فأداه انحولراس انه أمر بطلاق الدا
فدوت السادق من الخائير فلما انحلى لدخان رأوا كثيرين من
الحرابي

وعاد المريقان لي شو لبادق وهم لا يزالو و مواقعهم
وعند ذلك سمع صوت من فوق المتاريس يقول
هو و سمعتكم المتاريس

فالتفت حريمهم منده بن اني مصدر الصوت
وكذا عاروس مرة ، أئبي ، محمود يتسلقون المتاريس ورأى
رمي الداء و عند ما رأتهم خطرت في ذلك الخطار تحمل الرميل
لي أعلى المتاريس وجاء ممتلئ فإذناه من ذلك الرميل وصاح
الحمود قتلارح و أو سمعتكم المتاريس
وحاب سمع الصباط قتلار

لما إذا استقمتا سمعت دماء
قال هو رأتك فاني أريد أن تتدى بشمسور
وقد أدنى الشمس من السماء بد فذعر الحمود ورجعوا مرتدين

عن المتاريس تاركين فوقها حرجام وقتلهم ولحق المحصه روني من
موقفهم الرهيب

وقد فرح اصدقاء ماريوس به وسعدوا يعانقوه وبقيرون
لقد اتفقتا من موت كان محتما

وقال له تراك أم أنا فقد بعدت سرير

وقال كوراش لولاء لكاسه روجي لآدي وادي يهرشد فاض
وقال لهم ماريوس

أنا الربهم

قال انحولوا من مرأت

وقد طاش ميوت ماريوس به دمه لحدت فاه بعد أن

كان مدة سهر في ربه السار في نوحه اصبح الآرعي قيد
شهر من الهمة الهائلة

هان فقد عوسيت وهذه المتاريس وانتحر ما يعرف وسيل
الجمهوريه والآن رجعا للثائرين كل ذلك كان يبدو كحلم عالموان
كان بدا جهداً عبيطاً ليتأكد أن كل ما يراه حقيقة وان لم يكن
من الخائنين

ولم يكن قد رأى حاورت الذي كان لا يزال مقيداً في موقعه
ينظر الى كل ما يرى يتسلم الشهداء وجمال الملوك

أما الجتود فاسم لم يعودوا الى الهجوم ولا ندري أكانت

احجامهم لانهم كانوا ينظرون أسراً بالهجوم أم انهم كانوا ينتظرون
مدداً فأقام الثوار حراساً يراقبون الجنود وأخذ تلميذ طي من
للتأثرين يعالج الجرحى ويضمد حراحهم بما فيه
وقد أخذوا الموائد من القاعة فأصافوها الى المتاريس وجاؤوا
بدلاً منها بفراش صاحبة الفندق وما وحده من الأفرشة فوضعوا
عليها الجرحى

وعند ذلك استعرفوا التأثير فلم يجدوا بينهم فان روبر
وهو صديق حميم لرؤساء العصاة فابقوا انه أسير وقال تودفراك
لا يحول اس

انهم أسروا صديقنا ونحن أسرنا عاملهم حافرت عدى انه
يجب علينا انقاده من الاسر
قال كيف نقتله

قال اجعل راية بيضاء واخرج الى الجود فأخبرهم بشأن استبدال
أسيرهم بأسيرنا

فوضع يده على كتفه وقال له بلهجة ملؤها الحزن
اسمع

فسمع صوت صديقهم يقول
ليعدي المستقبل . لتعدي فرنسا

وتلا هذا الصوت دوى بدقية

صاح كودفراك قائلاً لقد قتلوه قاتلهم الله

أما انجولراس فقد التفت الى جافرت وقال له
أن اصحابك قد حكموا عليك بالاعدام

بعد ان تم الاستعراض خرج ماريوس من القاعة فسمع صوتاً
يناديه باسمه ودكر ذلك الصوت الذي ناداه منذ ساعتين حين كان
في الحديقة يبحث عن غوسيت

غير ان هذا الصوت كان الان ضعيفاً خافتاً فالتفت الى ما حوله
فلم ير أحداً ولكن الصوت تكرر مرتين واقترب منه فنظر فاذا
بشمع لم يتسبه وانه يزحف زحفاً اليه كانه لا يستطيع المشي
وكان المشعل بعيداً عنه فرأى على نوره الصميف غلاماً يلبس
بنطلوناً من المخمل وهو ممزق الثياب طارى القدمين
ثم رأى وحها أصفر ينظر اليه ويقول له

أما عرفتني

قال كلا

قالت أما ايونين

فانحنى ماريوس وتبين وجه تلك المكودة فأيقن أنها ايونين
كانت مرتدية بملابس الغلمان وقال لها

ماذا تصنعين هنا

قالت اني أموت

فدعر ماريوس وقال لها

أملك حربجة . . امهرى وسأصمك إلى القاعة فيصعدون
حراك .. أنعله بدع .. اى لا أرى وكيف أحلك دون أرتألى
من أين تتأدين . وم أتيت تعلمين هـ
وقد حاول أن يحملها فأصاب يده يدها وصاحت متألماً فقال
لها ألعلى أملكك

قالت قليلاً

نل ولكى لم ألس غير يدك
ورعيت يده، فرأى فى كعبها ثقباً سود فقال لها
ما هذا الذى بيدك

— اها مسحوقه

— كيف حرقت

— من رصاصة نفدت اليها

كيف كان ذلك

— لا تذكر انك رأيت سدقة مسووه اليك

— نعم واء كر أذ بدأ سعدتها

— ان هذه اليد كانت يدي

فارتعد مما سمع وقال لها

ماهد لحنود . ولكى أرحو أذ تكون الامر بسيطاً فان

جرح اليد لا يقتل وسأصمك حراك

أن الرصاصة اخترقت يدي ونفدت من طهرى فلا فائدة من

تقل من هنا ومن صمد حراحي وسأقول لك كيف تفلح صمد
حراحي أكثر مما يفلح الطبيب فاحس بحاجتي على هذا الحجر
فأنت مثل فوصعت رأسها على ركبته وقالت له دون أن تنظر إليه
يا لله ما أسعدني فاني لا أشعر الآن بشيء من الألم
ثم نظرت إليه وقالت

تعلم يا ماريو ماريوس ان قاي كان ينظر حير كسرة اراك
بدخل الي تلك خديقة مع إلى ارشدتك انيها وهذا من
غرتب القلب في اسراره

وبعد فلا بد لي د. اقول لعمري فان كان فتى جيلا مثلك، .
ثم انتمت انتساءة حزن لا يوصف ودن

بك ترى قبيحة شمعاء أليس كذلك .. وبعد فان هالك
لا محالة لا يستطيع أحد الخروج من هذا المتاريس .. وأنا التي
دعوتك الى اخضور الى هنا . اني ستقد انك ستموت هنا ومع
ذلك فأني حين رأيت السدقية مصو به انيك سددت فها بيدي
فهي وجدت أغرب من هذا

وما ذلك الا لاني أردت أن أموت قبلك فلما أصبت بهذه
الوصاصة جررت نفسي الى هنا فلم يروني حين نزلوا الجرحى .
وكنت انتظر ان تمر بي هالك أما وقد رأيتك فقد أصبحت بخير
ورالت آلامي .. أتذكر ذلك اليوم الذي دخلت فيه الى غرفتك
ونظرت وجهي في مرآتك ثم أتذكر حين لقينتك في الشارع

واعطيتني ريبالا فقلت لك اني لا أريد مالك . فهل أخذت الريال
عن الارض لست غيباً ولم أقل لك اني تركته على الارض
لقد كانت الشمس يومئذ ساطعة ولم يكن الطقس بارداً أتذكر
ذلك يامسيو ماريوس . . . أواه كم أنا سعيدة فان جميع الناس
سيموتون

وكانت تتكلم وهي راضعة يدها على صدرها موضع الرصاص
والدم يسيل من حرحها . وكان ينظر اليها بملء الاشفاق
وقد اشتد بها الألم فأخذت يدها وعضتها وعند ذلك سمعت
صوت كافروش يغني نشيداً حماسياً فقالت
هذا هو .. هذا أخي . لا أحب أن يراني فانه يوبخني
فذكر ماريوس وصية أبيه بشأن تنارديه وقال لها
من هو أخوك
قالت هذا الغلام

— الذي يغني

— هو بعينه

حاول الهوض فاستوقفته قائلة

ربك لا تذهب فقد دنت الساعة اصغي الي فان لك رسالة
محفوظة في حبيبي منذ أمس وقد قيل لي أن أضعها في صندوق
البريد ولكني لم أفعل لاني لم أكن أريد ان تفصل اليك فلا
تحمق علي وخذ رسالتك . . .

ولكى لا أستطيع مديدي . . فمد يدك وخدها من جيبي
فمد يده وأخرج الرسالة فقالت
والآن لم يبق لى إلا أن تعدنى وعداً
— ماذا تريد أن أعدك
— قل أنتعدنى

— نعم
— عدنى أن تقل حمى حين أموت فاني أشعر بقلبك ولو
كنت ميتة
وقد تدحرج صدرها عند ذلك عن ركبته وانطبقت عيناها
بحسب ماريوس أنها أسلمت الروح ولكنها طادت ففتحت عينيها
ببطء وقالت له بصوت لم يكده يسمعه
لاتنس

ثم أظبقتها وهي تنسم ولقبت المعس الاخير

وقد وى ماريوس بوعده وقل جبين تلك المسكودة ودكر
عند ذلك الرسالة التي أعطته اياها فلم يصبر على قرائتها فذهب الى
المشعل فرأى عنوانها كما يأتى

الى الموسيو ماريوس موعارمى فى شارع الزجاج نمرة ١٦

ثم فض الختم ولم يكن يعرف خط غوسيت بعد فقرأ هذه
السطور

« حبيبى ماريوس

« واأسفاه ان أبى حكم بان نساقر فى الحال وسنكون هذه الليلة
فى شارع الرجل المسلح نمرة ٧ وفى خلال ثمانية أيام نكون فى
« لندرا . فى ٤ حزيران

غوسيت

وتفصيل الذى حرى أن أيقونين كانت السبب فى كل ما حدث
فقد كان لها غرضان أحدهما أن تجمع أباهما وعصابتها عن الدخول
الى منزل غوسيت فى شارع بليميت

والثاني أن تفصل ماريوس عن غوسيت فتكرت بملايس
الفلمان وهى التى أعطت حان فالحان حين كان فى احدى الحدائق
العمرية تلك الورقة التى تقول له فيها « أخرج من منزلك »
فعاد حان من فوره الى منزله وقال لغوسيت

اسا نرحب الليلة هذا المنزل الى شارع الرجل المسلح تصحبنا
الخادمة وفى لاسوع القادم نكون فى لندرا

فاصطبت غوسيت لهذه السرعة التى لم تكن تتوقعها وكتبت
على عجل تلك الرسالة الى ماريوس

والكسها لم تجد طريقة لإرسالها الى البريد فامها لم يكن تخرج

وحدها وهي تخشى اذا عادت بإيصالها الى الخادمة أن تطلع
أباها عليها

وفيما هي مترددة لاتعلم ماتعمل رأّت أيوين بملابس الغلمان
ترود حول الحديقة فحسنته غلاما فبادته فأعطته ربالا وأعطته
الرسالة على أن يوصلها الى مركز البريد

فوضعت أيوين الرسالة في حبيها وذهبت في اليوم التالي الى
منزل كوديفراك فسألت عن ماريوس ليس لتعطيه الرسالة فقد
حالت الغيرة بينها وبين هذا القصد بل انها كانت تريد أن تراه

ولما علمت من كوديفراك انهم داهبون الى المتاريس اقتفت
أثره اذ خطر لها خاطر حتى علمت موضع المتاريس

وكانت واثقة أن ماريوس لا بد له أن يذهب في الليل الى
شارع بليميت لانه لم يأخذ رسالة غوسيت فذهبت الى ذلك
الشارع وانتظرت ماريوس حتى اذا رآته في الحديقة قالت له ان
أصحابك ينتظرونك في المتاريس اذ كانت تعتمد على يسه واه حين
لا يجد غوسيت لا بد له من موافاة أصحابه

وقد عرف الأقرء ما كان منها فقد كان كل مرادها ان تدفعه
الى الموت وان يموت بين يديه

أما ماريوس فانه قبل رسالة غوسيت وحظر له عند ذلك أنها
تحبه فلماذا يموت

ولكن هذا الخاطر كان كلع القبس ولم يدم الا كما يدوم رحع
النفس اد قال في نفسه

ان أباهما مسافر بها الى اسكلترا وان جدى يأتى أن يأذن لى
برواحها وان الشرائع تسمى عن الرواح بها دون مصادقة حدى
قل أن أبلغ خمسة وعشرين عاما من العمر اذن لم يبق بد من الموت
وقد رأى أنه أتى عليه واحسان لا بد من قصائهما أحدهما أن
يكتب الى غوسيت يخبرها بموته ويودعها الوداع الاخير

والثانى ان ينقد كافروش من حطر المتاريس بعد ان علم من
أخته أن ابن تارديه

وكان يوحد معه دفتر فى حبيبه فانتزع منه ورقة وكتب عليها
بالتلم الرصاص ما يأتى

« ان قرأنا صحاح فقد التفت من حدى الادن زواحيافانى وقد
ذهبت انيك فلم أحذك

« وأنت تعلمين اليين التى اقسمتها فاعلمى إلى أموت
وأنا أحبك

« وعند ما تقرأين هذه السطور تكون بحسى تنظر اليك
من عالم الارواح وهى تدسم لك «

ولم يكن لديه شيء يختم به الرسالة فطواها وكتب عليها
هذا العنوان

« الى المدمواريل غوسيت فوشلفان شارع الرجل المسلح
عمره ٧ »

وبعد ان كتب الصوائف فتح دهره وكتب على أول
ورقة منه

— « إني ادعى ماريوس مو تيمرسي شخدا حتى إلى جدى
المسيو حلتور مايد في شارع كالفير نمره ٦ »
وقد أعاد الدوتر الى حيه وبادى كافروش فأسرع الى تلبيته
فقال له انى محتاح اليك فى أمر فهل تريد قصاءه
قال بل أسبك دمي فى سبيلك فاني مدين لك بالحياة
قال أتري هذه الرسالة أنتي فى يدى
قال نعم

قال حدها واحرج فى الحال من المتاريس وعند الصباح تدومها
الى صاحبها المقيمة فى شارع الرجل المسلح عمره ٧ واسمها غوسيت
فوشلفان

قال ولكهم بأحدون المتاريس فى حلال ذلك ولا أكون
موحدآ

قال اهتم لا يعودون إلى مهاجمة المتاريس قبل الصباح ولا
يمكن أن يستولوا عليها قبل الظهر

قال إذن اذهب فى الصباح فأوصل الرسالة
قال كلا اذ أحشى أن يموت الاوان فاهم قد يطوفون

المتاريس الليلة فلا يبقى سبيل الى الخروج منها فاذهب الآن
فلم يستطع كاهروش دفع حخته ووقف وقفة المتردد وهو
يحك أذنه

ثم أخذ الرسالة خبأة
حسباً سأمتثل لما تريد

وقد كان خطر له خاطر تخشى أن يذكره لماريوس حذراً
من أن يعترضه

وهذا الحاطر هو أن يذهب في تلك الساعة فان الليل لم ينتصف
بعد فيوصل الرسالة ثم يعود الى المتاريس

كان جان فالجان في تلك الساعة على أشد حالات الاضطراب
وكان قد ذهب لغوسيت والخادمة الى شارع الرجل المسلح
بعد أن حاولت غوسيت مراراً أن تشيه عن عزمه فلم تفعل
وكان جان شديد الاضطراب فلم ينتبه لكتابة غوسيت
وكانت غوسيت شديدة الحزن فلم تنتبه لاضطراب جان
وكان قد صحب معه الخادمة وهو ما لم يكن يفعله من قبل مما
يدل على انه قد لا يعود الى شارع بيلميت

وفي اليوم التالي ادعت غوسيت انها مصابة بصداغ فلم تبرح
غرفتها وأقلت الخادمة بعد أن جاءت محاحات المنزل من السوق
فقالت

يظهر ان الثورة ناشبة في باريس وانهم يتقاتلون

فاضطرب جان لهذا النبأ وجعل يمشى من النافذة الى الباب
ومن الباب الى النافذة وهو مشيت البال ساهي الطرف فقد كان
يفكر في أمره فيرى تارة أن العناية قد راقبت عيونها فأصبحت
كل مخاوفة أمانا وتارة يرى أنها تخلفت عنه فيرى الدنيا قد اظلمت
في عينيه وتبدل أمانها خوفاً فيطمئن حين يفكر أنه سيذهب الى
لوندرا ويقول في نفسه

أى فرق عسى بين أن أكون في فرنسا أو في انكلترا
ما زالت غوسيت معى فقد كانت غوسيت كل وطنه وكل حياته
وكان يمشى وهو يهيم في فكره معدات السفر

وبينما كان يمشى على هذا الشكل نظر اتفاقاً الى امرأة فوقف
هنية مندهلا ثم تحول اندهاله الى ذعر فأنه رأى في تلك المرأة هذه
الكتابة منعكسة فيها وهى

« أيتها الحبيب

« واأسفاه أن أبى يريد أن يسافر في الحال وسنكون هذه
« الليلة في شارع الرحل المسلح غمرة ٧ وبعد ثمانية أيام نكون
« في لوندرا . فى ٤ حزيران

« غوسيت »

والسبب فى العكاس هدم الرسالة التى كتبها غوسيت الى
ماريوس على وجه المرأة هو أنها حين كتبت تلك الرسالة نشفتها

بورقة من الورق النشاف فاطبعت صورتها منعكسة على الورقة
وقد نسبت تلك الورقة على منضدة تجاه المرآة فاطبعت
صورتها في المرآة منعكسة عن الحروف المنعكسة بحيث نانت في
المرآة مستقيمة

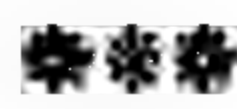
وقد حار في البدء كيف وجدت هذه السطور على المرآة الى
أن علم بعد البحث انها من النشافة فاخذت تلك الورقة وحمل يتمعن
فيها فعرف أن الخط خط غوسيت

ولما تيقن من ذلك سقطت الورقة من يده وسقط هو خائر
القوى على الكرسي وجعل يئن أنين الموضع
ومن الغريب أن ماريوس لم يكن قد اطلع بعد على هذه
الرسالة المرسلة اليه فوقف عليها حان فالحان قلبه

وكان هذا الرجل لقي في حياته كل أنواع الشقاء على اختلافها .
فكان يحتملها بالصبر والسكينة ولم يكن يكثر ثلها . ولكن من
بحث في أعماق نفسه هذه الساعة لوحد أن هذه الرسالة قد أثرت
فيها اصعاف ما أثرت به مصائبه في كل ماضيه من أدوار الحياة
فان حان فالحان لم يكن يحب غوسيت إلا كما يحب الأب
ننته كالسطناء في غير هذا الموضع ولكنها كانت كل حياته ولم
يكن يعرف قلبه الحب قبل أن احبها فكان يصدها عادة وكل
مكان يقيم معها فيه يكون عنده بمثابة حبة الردوس
وهي الآن تحب سواء وستفارقه فتعيش مع من تحب وتفرغ

من قلبها مكان الأث ليحل فيه العاشق فشمع أن الارض تميل
به وحمل يذهب تنهداً يخرج من صدره زفرات متقطعة تشبه
الأنين

وفيما هو على ذلك دخلت الخادمة مسألاً قائلاً
أعلمين في أي مكان
فذهلت الخادمة وقالت
ماذا تقول يا سيدي
قال ألم تقولى مد هيبه انهم يتقاتلون
قالت نعم وذلك في جهة سات ماري
فتركها وبعد هيبه كان حان عند باب منزله يفكر وهو حاسر
الرأس وقد ساد الظلام



ولم يدركم أقام وهو على هذه الحالة ولم يستمع من ذهوله
إلا حين سمع وقع خطوات نقره قالت فت فرأى غلاماً يسير في
تلك الجهة وهو ينظر الى ابواب المنازل باحثاً عن نمرها
وكان هذا الغلام كافروش جاء الى هذا الشارع ليوصل الرسالة
الى غوسيت بأمر ماريوس كما تقدم
فاستوقفه حان فالجان وقال له
ما شأنك أيها الصغير وماذا تريد
قال شأني ابي حاتم ولا أجد طعاماً وبعد فأنت الصغير

فقد يده الى حبيه فأخرج ريبالا ودفعه اليه
أما كافروش فأنه التقط حجراً عن الارض إد وجد مصباحاً
منيراً معلقاً في الحدار وقال
ألا تزال مصابيحك منيرة ونحس سفك دمانا في الظلام ثم رمى
المصباح بالحجر فخطمه وقال
هذا هو الثاني والتسعون
فقال جان كانه يخاطب نفسه
مسكين انه حاتم

ثم ناوله الريال
فأحده كافروش وحصل ينظر الى ذلك الريال بعلى الاعجاب
اذ لم يكن رآه قبل الآن الا بعين السمع
ثم رده اليه وهو يقول
اذا كنت أعطيتني الريال كي لا أكسر المصابيح فخذ ريبالك
بارك الله لك فيه فما أنا من الذين يرتشون
قال أليس لك أم

قال نعم
قال ادن حذ الريال لأمك
وقد رآه كافروش دون قبعة فوثق به بعض الثقة وقال له أحق
أنك لا تريد مهنتك أن تمنعني عن كسر المصابيح قال فأكسر ما تشاء
قال اذن أنك رحل كريم الاخلاق
وقد رادت ثقته به فسأله قائلاً

هل أنت من أهل هذا الشارع

قال نعم لماذا

— هل لك أن ترشدني الى المنزل السابع في هذا الشارع
ماذا تريد منه

فتوقف متردداً ورأى جان ترده فقال له

ترى هل هو أنت القادم الى رسالة أنتظرها

— أنت . . كلا فاني قادم برسالة الى امرأة وما أنت من النساء

— ولكن الرسالة للمد موارييل غوسيت أليس كذلك

— غوسيت . . نعم أظن أن هذا هو اسمها

— حسنا فهاات الرسالة فانا الذي ينتظر قدومك بها لا أعطيها ايها

— اذا كان ذلك فانت تعلم اني قادم من جهة المتاريس

— دون شك

فأخرج كافروش الرسالة من حيبه ورفع قبعته فأنحى وقال

يجب احترام هذه الرسالة فاتها وارده من الحكومة الموقته

— هاها

— ولا تظن ياسيدي أنها رسالة غرام فاتها وان تكن

مرسلة الى امرأة لكنها لخدمة الشعب

— هاها

— الحق انك كريم الاخلاق

— اسرع وهات الرسالة

— خذها واسرع ياسيدي بايضا لها فان مدموارييل غوسيت

تنتظرها بفارغ الصبر

— الى أين ترسل الجواب الى سانت ماري

— ادا كان لها جواب فاجله أنت فاني مستمع وحل وقد أنبت

بها من المتاريس في شارع سنفريري وأنا عائد اليها

ثم تركه وأنطلق بركض عائداً الى المتاريس

كان المحولاس قد خرج للاستطلاع في شارع مونديتور .

وكان رحاء الثاثرين وطيداً بالخروج فائزين من هذا المعترك فان

صدم هجوم الجمود أحيى في قلوبهم هذا الرجاء

ثم اهتم كانوا ينتظرون المدد ويعتمدون عليه كل الاعتماد

ويتوقعون أن يصدوا في الصباح كل هجوم وان يهب الباريسيون

بجملتهم عند الظهر وان تنشب الثورة بكل معايبها في المساء

على أن المحولاس لم ير شيئاً من هذا في استطلاعه فعاد الى

المتاريس حيث كان رفاقه وقال

ان جميع جيش باريس قد اشترك في القتال وان ثلث هذا الجيش

حصص لهدم المتاريس التي أشأناها وان الحرس الوطني قد اتحد

أيضاً مع الجيش علينا وسيهاجمونا بعد ساعة

أما الشعب فقد هاج أمس ولكنه عاد اليوم الى السكينة فلم

يبق لنا رحاء باحد

فوقع هذا الكلام وقع الصاعقه على الثاثرين واشتدت الحماسة

بواحد منهم فقال

لنرفع المتاريس عشرين قدما أيضا ولننق فيها ولنظهر للعالم أجمع
انه اذا كان الشعب قد تخلى عن الجمهوريين فان الجمهوريين لا يتحلون
عن الشعب

فكان لهذا الكلام الحماسي تأثير عظيم على الشائرين ولم يكن
أحد منهم يعرف قائله فصاح كثيرون منهم قائلين
ليحيى الموت .. لتحيى الجمهورية .. لسبق كلنا هذا
فاعترضهم أنجولراس قائلًا
لمادا كلنا
— كلنا .. كلنا

— ان المتاريس مبيعة والذخيرة كافية وان ثلاثين رجلا
يكفون لمهمتنا فلماذا يصحى أربعين
— لانه لا يوجد بيننا من يريد الذهاب
— أيها المواطنون الاحوان أن الجمهورية الآن فقيرة بالرجال
فلا يسعها أن تحارف بهم مجازفة لا فائدة منها فادا كان لبعضنا
واجبات تقضى عليه بالذهاب فلا بد من اتمام هذا الواجب كسواه
من الواجبات

فعلوا يتعلمون واستاء أنجولراس مما رآه منهم فقال ان من
كأن يخاف منكم ان سقى ثلاثين فليقل
فكثرت اللفظ ومع ذلك فقد قال واحد منهم ان ماتقوله لسهل
ولكن تنفيذه صعب فان المتاريس ومطوقة

— انها مطوقة من كل جهة ما خلا جهة سوق الخضر
— وان من يخرج من هذه الجهة المطلقة لا يأمن الوصول
الى حيث يريد فانه لا يسير بضع خطوات حتى يقضوا عليه ويسألوه
من أين أتى ويعلموا أنه قادم من المتاريس فيحكمون عليه بالاعدام
فلم يجبه انجولراس بل انه لمس كتف كودينفراك ودخل واياه
إلى قاعة الخمارة

وبعد هنية عاد انجولراس يحمل أربع بدلات فلقاها على
الارض وقال ان اربعة منا يستطيعون الخروج آمنين اذا لبسوا
هذه البدلات واعلموا ان الشفقة لا بد منها وان من كان له امرأة
أو أم أو أخوات أو بنون لا يحق له أن يعرض نفسه للموت فانه
يموته يميت سواء فافتكروا شعور أولادكم الشقراء وشعور
أمهاتكم البيضاء

وقال ماريوس لقد أحس انجولراس بما قاله واني أوافق على
ما ارتآه واصلب سرعة الاجراء فمن كان مسك له أم أو أخت أو
امرأة أو بنون فليخرج من صفنا فان لقاءه بيننا حرام
فلم يخرج أحد

فعاد ماريوس فقال

ليخرج من الصف كل متزوج وكل معين لعيلته

وقال انجولراس اى الأمركم

وقال ماريوس وأنا أرحوكم

فتأثروا من كلام الاثنين وحل كل منهم يكشف أمر رفيقه
فيقول انك رب عيلة فاذهب فيحييه بل انت لك احتان تعولها
فلاذهب واشتد المهرج بينهم فقال المجولاس
عينوا أنتم بانفسكم من يحب عليه الانصراف
ولعد هنية وقع الاختيار على خمسة تخرجوا من الصف وقال
ماريوس انهم خمسة وليس لنا غير اربع بدلات فماذا نصنع
فقالوا هو ذاك إذن يحب على واحد منا أن يبقى
وهنا عادوا إلى المداقشة والجدال وماريوس يحثهم على الاسراع
فلم يقع اختيارهم على واحد
حتى اذا عجزوا قالوا لماريوس
لم يبق الا انا لعمد اليك باختيار واحد منا
وأية مهمة أصعب من هذه المهمة على ماريوس فانه كان واثقاً
ان لاجابة لاحد من المتاريس وان من يختاره للبقاء فيها يكون
قد حكم عليه بالموت
وقد وقف يظن اليهم وهم يبتسمون له وكل منهم يقول أنا
وهو لا يعلم ماذا يصنع
الى ان صاح نغمة صبيحة دهش وقان
هو ذا ثوب قد هبط علينا من السماء فصار عدد الأتوب خمسة
ولم يبق حاجة للراعي
ذلك انه رأى ثوبا من ملابس الحرس الوخشي قد سقط عند

قدميه فالتفت الى رامييه فوجد انه فوشلفان والد غوسيت
وكان جان فالجان قد دخل الى المتاريس وهو يلبس ملاس
الحرس الوطنى التى سهلت له المرور فلما سمع ما كان من حداهم
وعلم انه يتقصصهم ثوب حلع ثوبه ورماه عند قدمي ماريوس
ودخل الحصور مما رأوه فقال المجولراس من هذا
فاطاه كمر انه رجل ينقد الناس
وقال ماريوس لاحوف منه فاني أعرفه
فكانت شهادة ماريوس كافية فاستقبله المجولراس مرحباً به
ثم قال له أتعلم أيها المواطن انما سموت هنا
فلم يحبه . ان فالجان وشغل عن الحواب فاطاة الرجل على
لبس ثوبه

وخرج الخمسة من المتاريس علباس الحرس الوطنى وهم يكون
وحمل ماريوس يفكر بجان فالجان وهو لا يعلم كيف اتفق وجوده
هنا وماذا أنى
أما جان فانه لم يكلمه كلمة حتى انه لم يطر اليه حين قال انه
يعرفه

وبعد خروج الخمسة من المتاريس افكر المجولراس بجافرت
الاسير فدخل اليه وسأله قائلاً
هل انت محتاج الى شيء

فاجابه حافرت قائلاً

متى تقتلونى

قال انما لانزال الآن فى حاحة الى الرصاص

قال إذن اغثنى بشربة الماء

فجاءه بكاس ماء و طانه على شربها فقل له

لو كنتم من أهل الرفق لما تركتمونى ملقياً على هذا البلاط

فقيدونى كما تشاؤون ولكن ضعونى فوق المائدة على الأقل كما

وصعتم هذا مشيراً الى مالوف

فأسر انحولراس بعض الرفاق فحملوه الى المائدة وربطوه فوقها

وبينما هم يقلونه رأى جان فالجان واقفاً فى الباب ينظر اليه فلم

يخف ولم يضطرب بل قال

هذا عدل فلكل دوره فى هذا الوجود

* *

ولنعد الآن الى كامروش فانه بعد أن أعطى الرسالة الى جان

فالجان وهو يحسب انه اعطاها الى بواب منزل غوميت خرج من

ذلك الشارع وهو يبنى

وفيما هو ذلك توقف فجأة عن العناء رأى فى الطريق مركبة

من مركبات الدتل الهجر تيجر الايدى وأى فيها رجلاً بالياً عرف

من غلمته انه مكين

فقال في نفسه لقد لاحت لي فرصة لا بد من اغتنامها فان
هذه المركبة تنفعنا في المتاريس فلنأخذ المركبة للجمهورية ولنضع
السكران للملكية

وقد أخذ عند ذلك يدفع الرجل من رجله ويزيح المركبة
ف رأى انه لا يستفيق من سكره ولو اطلقت نقره المدافع فحمله
وألقاه على البلاط

وقبل أن يذهب بالمركبة أخذ من حيبه ورقة مكتب عليها
بالقلم الرصاص ما يأتي
« الجمهورية المساوية
هذا وصول عركتك »

« كافروش »

ثم وضع هذه الورقة في حيب السكران وأوكر ساعدي
المركبة بين يديه ومشى بها عائداً الى المتاريس
وكان في ذلك خطر عليه فان صوت المحلات على البلاط
ينبه الحراس اليه ولكن لم سال بل أخذ يتذكر الى أين وصل
بنشيد الذي كان يشرده قبل أن يلقي المركبة فد كرواد إلى
الانشاد بجلء صوته

وكان هناك حارساً مقماً في كوحه فسمع النشيد فحبل له أن
حصاة تسير مهماتها الخرسية

ومع ذلك فقد تشجع وخرج من كوحه كي يستطلع حلبة

الامر فلم ير غير كافروش يجر تلك المركبة
أما كافروش فانه حين رأى ذلك الرجل علبس الخنود وحرفته
تلمع في رأس سدقيته توقف مكرها عن اتمام شيدده وحياءه
التحية العسكرية وقال السلام على حارس الامن العام
وقال له الخندي الى أين أنت ذاهب أيها الوقح
قال إني لم اهلك بعد فلماذا تهينني

— إلى أين أيها الخبيث

— الحق يا سيدي انك هكتت أمس من أهل العقل ولكن

العقل انكرك اليوم

— إني أسألك إلى أين تذهب أيها الحرو

— انك تمتعتي بالحرو وأنا لا أسألك عن همرك وعندى

انه خير لك لو امت كل شعرة من شعرك بمائة فرنك لكان لك
خمسمائة فرنك

— إلى أين . . إلى أين تذهب أيها اللص

— أن التيء لا يرال يخرج من فمك فأمسحه

فصوب الخندي بدقيته اليه وقال له

أحببني إلى ما أسألك عنه أيها الشقي أو أقتلك

قال إني ذاهب يا سيدي الجرال الى الطبيب كي أعوده الى

زوحتي فاسها تلد

فهم عليه الخندي ونظر كافروش الى موقفه بسرعة التصور

فخطر له أن ينجو بتلك المركبة التي كانت السبب في أهلاكه فرجع
بها حطوتس كمن يتحفظ للوثوب ودفعها بملء قوته الى الجبدي
فأصابته بطنه وانقلب الى الارض وهي فوقه فلم يكدر ينهض من
تحتها حتى كاد كاهل وش قد نهب الارض وتوارى عن الانظار
ولما وصل الى المدرس كانت المعركة في أمان احتدامها وكان
الجنود يطلقون المدافع عليها بدلا من السارق والثائرون في اشد
اهمهم فلم ينتبه أحد الى دحوله ماحلا ماريوس
* * *

وسمر ماريوس الى أن لاحت له فرصة مدطاه اليه وقال له
بلمحة المعصم لماذا اتيت الى هنا
قال ليس السبب لدى اتيت أنت من احله
ثا هل أوصات لرسالة الى الأهل
قال أن السيدة كانت نائمة فأعطيتها الى المرب ليعاينها أياها
في الصباح

وكان غرض ماريوس من ارساله لايصال الرسالة الى غوسيت
اعادة في الخطر
في أن يرسل لرسالة اليها ويحوي أنها بعد ذلك في المتاريس
شغل باله دما ماريوس في حان فالحين وقال له اتعرف هذا الرجل
في كان

في ان كاهل وش قد نهب الارض وتوارى عن الانظار
فلم ينتبه

وهما اية تلح الحديث بينهما لاضطراب الثائرين فان الدخائر
كادت تنفذ والمدافع أوشكت أن تهدم المتاريس
وكان من حين الى حين يتسلق أحد الجيود المتاريس كي
يستطلع ما في داخلها فيصوب جان فالجان بدقيته اليه فلا يصيب
إلا قمعته فينزل الحمدي هاربا

وقد تكرر ذلك مراراً فكان جان فالجان يطلق النار على
الحمدي ولا يصيب غير قمعته حتى انقبت الثائرون وأيقموا ان
هذا الرجل يعمل لك حصيصاً وسأله أنجولراس قائلاً
لمادا تعف عنهم ولا تقتلهم

فما أحابه وأنصرف الى الداع فكان الجميع معجسين به غاية
الاعجاب فانه أبلى حير بلاء في هذه الحرب وعرض نفسه مراراً
لخطر الموت في سبيل اقتداء الثائرين

أما كافروش فانه حين رأى اضطراب الثائرين من نقاد الخيرة
دخل الى الحماره وعاد بسلة فارغة فسار بها مسرعا الى باب المتاريس
نخرج منه فاسرع اليه ماريوس وقال له ماذا تصنع

قال لا شيء سوى اني أملاً هذه السلة

قال ويحك ارجع ألا ترى الرصاص

قال اني أراه ينهمر كالمنطر وبعد ذلك

قال ارجع

قال اني راجع في الحال

وكان قد ملأ سلتة من رصاص الجنود القتلى ، نادى ما جمعه
الى المتاريس

ثم رجع الى ما كان عليه غير مكترث لبداء ماريوس فانصب
عليه الرصاص فكان يراه يتساقط على القتلى فيقول يا ويحهم انهم
يقتلون موياى

وأخذ يجمع الرصاص فيضعه فى السلة والجنود لا يفتأون
يطلقون عليه النار فيخطووه وهو غير مكترث لهم ينهى الى أن
أصابته رصاصة فسقط على الارض وسقطت السلة من يده فصاح
جميع من فى المتاريس صيحة واحدة ورأوا الدم صد وجهه
ثم رأوه استرئ حالاً وعاد الى السماء فأصابته رصاصة أخرى
قضت عليه القضاء المبرم فانقطع صوته ووقع قتيلاً فذهبت نفسه
الصغيرة الكبيرة الى مدأها

أما ماريوس فانه اسرع راكضاً اليه يتبعه كوديفراك ولكنهما
وصلا بعد موت الاوان فعاد كوديفراك بالسلة وعاد ماريوس بالفلام
وقد حمله على كتفه كما فعل أبوه بأبيه

غير أن الفرق بينهما أن تارديه حمل أمه فى وائرلو وأخرجه
من المعركة حياً وهو حمل ولده فى حرب المتاريس وأخرجه ميتاً
ولما عاد ماريوس الى المتاريس كان وجهه مصبوغاً بالدم فانه

أصيب رصاصة في جبهته وهو يحمل الغلام فاسرع كوديفراك
فأنتزع رباط رقبته وعصب بها جبهة ماريوس .
أما كافروش فقد وضعوه على المائدة بجانب مالبوف فقد
كانت كبيرة تتسع لاثني ووزغ كوديفراك الرصاص على الثائرين
فقال كل منهم خمس عشرة رصاصة

وبعد ذلك قال لماريوس اننا نقسم الزحامة بيننا فابق افت في
المرتفعات فتأمر باطلاق النار حين الاقتضاء وانا اتولى هنا التنفيذ
والتفت لحافرت فقال له
لا تحسب إني أنساك

ثم وضع بجانبه على المائدة غدارة وقال لرفاقه
على آخر من يخرج من هنا أن يقتل هذا الجاسوس
فقال واحد منهم أنقتله هنا

قال كلا فلا نضعه مع قتلائنا ولا ندنس دماءهم بدمه بل نحمله
الى الزقاق وعلو المتاريس هناك لا يزيد على أربع اقدام فقدمه
هناك وعد ذلك دما حان فاجاز من انحولراس وقال له
أأنت الزعيم

قال نعم

قال أأندكر اذكرك شكرتني مرتين

قال نعم إني شكرتك ولا أزال اشكرك باسم الجمهورية فانك
منقذنا أنت وماريوس

— أنحسب إني أستحق مكانة

— دون شك .

— إذن أرجوك أن تكافأني

— ماذا

— بأن تدعى أقتل هذا الرجل بيدي

فظر جافت إليه نظرة لا تدل على شيء من الحمد وقال

هذا حق

أما أنجولاس فانه قال له

إذا كان هذا كل ما نطلبه لا تكون قد كافأناك بل تكون قد

زدت جميلك علينا

قال لا أطلب غير أن أتولى بيدي قتل هذا الجاسوس

قال هو لك محمده

وعند ذلك صاح ماريوس من موقفه قائلاً

اسرعوا

فأمر المحولاس الجميع أن يخرجوا

فقال لهم جافت الى اللقاء

ثم التفت إلى جان فالجان وقال له عمل السكينة

لا تحسب أن موقفك بفضل موقفي

وقد خرج الجميع من القاعة ما حلا جان فالجان فلما خلا فيها
بجافرت حل قيده الذي كان يربطه الى المائدة وقال له قم
فامتثل جافرت وهو يتسم ومشى حان فالجان به وهو يقوده
كما يقودون الحيوان للدخخ فخرج به من القاعة الى السور المشرف
على الزقاق

وهناك جاء بمائدة فوضعها تحت الحدار واصل عليها ثم صعد
في أثره فحمله وألقاه من فوق الحدار ووثب لعمده
وعند ذلك رجع حان غدارته تحت البطة وانظر الى جافرت
محدثاً فقال له جافرت جافرت هذا أنا
فأحابه قائلاً

لم يبق عليك إلا أن تأخذ بشارك
فأخرج سكيناً من حيبه ودنا منه فقال له جافرت
لقد احسنت فأن الذمخ أولى بي وأشنى لعملك
أما جان فإنه قطع بالسكين قيود يديه ورحليه وقال له اذهب
فأنت حر طابق

ولم يكن جافرت من الذين ينذهلون لأمر من الأمور ولكن
حين سمع قول جان فالجان لم يصدق ما سمعه وحسب نفسه حالماً
فلبث جامداً في مكانه دون حراك
أما جان فإنه مضى في حديثه فقال

لا أعلن إني أخرج حياً من هذه المتاريس ولكن إذا قدر
لى النجاة منها فأعلم ابي اقيم فى شارع الرجل المساح مرة ٧ والى
انتحلت لمسي اسم فوشلفان

فقطب جافرت حاحيه وحرقت اسنانه ونال

إحذر

— إذهب

— أقلت فوشلفان شارع الرجل المساح

مرة ٧

فتردى ثوبه ومشى خطوتين الى جهة سوق الخضر ثم عاد الى

جان فالجان

وقال له

أنك أرهقتى فأقتلى

قال إذهب وكى

فشى جافرت مشياً بطيئاً حتى اذا توارى عن انظار جان اخذ

غدارته فأطلقها فى الهواء

ثم دخل الى المتاريس وهو يقول لقد قصى الامر

ولقد كان ماريوس واقفاً فى المرتفعات كما قدمناه ولم يكن

قد رأى وجه جافرت فى الليل فلما رآه فى النهار مع جان فالجان

وهو داهب للموت عرفه ودكر انه هو الذي اعطاه الغدارتين

فى حادثه تنارديه ولكنه كان مضطرب البال غير واثق كل الثقة

من هذه الذكري وقد خطر له أن يتدخل في أمره وينقذه
ولكن يجب قبل ذلك أن يثق أنه هو نفس جافرت مفتش البوليس
فنادى المجولاس وسأله قائلاً

من هذا الرجل الذي ستقتلونه

قال هو مفتش البوليس السري

— أنعرف اسمه

— دون شك فانه يدعى جافرت

وعند ذلك دوت غدارة حان فالجان في الرقاق ثم دخل وقال
لقد قضى الامر فاضطرب ماريوس ولم يمس نكاحه

وحمل وطيس القتال فقتل كثيرون من المريقيين ولم يبق في
المتاريس سوى سبعة رجال بينهم ماريوس والمجولاس وحان فالجان
وخربت قبائل المدافع المتاريس ودخل الحنود اليها يتقدمهم أحد
الضباط فقتله المجولاس ودخل مع رفاقه الى الخمارة واقفل بابها
وبقى ماريوس في الخارج فأصيب برصاصة كسرت ثرقوته

وقد شعر انه أعمى عليه وان بدأ قوية حملته ولم يعد يعي على شيء
أما الحنود فأبهم كسروا باب الخمارة وقتلوا المجولاس وكل من

كان فيها

أما ماريوس فقد كان أسير حان فالجان الذي لم يشترك في هذه
المعركة إلا بأنقاده الجرحي الذين لم يفكر بهم أحد سواه

وبتعرّيه نفسه للموت في كل حين فداء عن الآخرين كأنه كان
يود الانتحار فلم يفلح إذ لم تصه رصاصة على شدة تعرضه
ولكن لا نظن أنه كان يريد الانتحار لأنه مغاير للدين
وكان لا يغفل طرفة عين عن ماريوس فلما رآه أصيب وسقط
صريعاً وثب إليه مخنقة النمر وانقص عليه انقصاض العقاب فحملة
وكان الجنود في تلك الساعة منهمكين بكسر باب الحمارية فلم
يتسه أحد إليه وقد حمل ماريوس بين يديه وخرج به من المتاريس
إلى ما وراء الحمارية بحيث بات وأياه في مأمن

وهناك وضعه على الأرض ونظر إلى ما حواليه نظر القاطنين
فأن هذا الجدار الذي احصي ورائه لا يجميه غير هيئة يسيرة
فأن الجنود سيصلون إليه ويخترقوه فلم يدرك كيف يسحو ماريوس
من هذه الحزرة لهائلة فأه هرب منداعوام من سجن طولون
وكان فراره صعباً أما الآن فأذ فراره مسجّل

وقد كان أسامه منزل كبير به ستة أدوار يظهر أنه لم يكن
يقيم فيه غير ذلك البواب الذي قتلوه والاسيل إلى ولوحه وعلى يمينه
متاريس يمكن تسلقها ولكنه رأى من ورائها حراب الجنود
فمن تجاوزها عرض نفسه لموت محم

وهو لا بد له من الأسراع لأن الجنود كانوا منهمكين باللاجئين
إلى الحمارية ولكن لو شطر لواحد منهم أن يأتي إلى ما وراء
المنزل لقصي عليه إذ يراه هناك

وقد وقف يحيل نظره بين أليت المشاهق والمتاريس التي تحيط به
الجسود ثم ينظر إلى الارض محدثة قاطعاً كأنه يريد أن يحترق الارض
بنظراته ويفتح منبداً فيها

وبما زال على ذلك حتى رأى حلقة من الحديد ظاهرة بين
البلاط الذي قتلعود من الشاح

فأسرع اليها وقد برقت عيانه بأشعة الرجاء إذ أيقن أن هذه
الحلقة معلمه السابقة وأن هذه البلاطة باب المجارى الكائنة
تحت الارض ففتحها فاكشفت عن رواق يدع عمقه نحو ثلاثة
أمتار فلم يكثر له هذا العمق وحمل ماريوس وسقط به إلى تلك
المجارى وجعل يسير بسرعة تحت الارض إلى أن احتار مسافة
عظيمة فتشهد تنهداً طويلاً وقد أس مطاردة الجسود ولم يبق عليه
إلا غير الخروح من هذه المجارى التي كان يعلم أين تنتهي ولكن
أين له أن يعلم أين أبوابها وهو يسير تحت الارض ويفحص عالمياه
المرره إلى الرك

وقد سار ثلاث ساعات وماريوس مخول من كنهه مكانه
يضطر أحياناً إلى أن يطأ إلى رأسه كي لا يصطدم بسقف المجارى
وما زال يسير إلى أن رأى نوراً كهو النور يستع من
منفذاً يقين أنه أحيا أبواب المجارى

وبما وصل إليه وجد راسه في حفرة كئي مرتفعاً

عن سطح الارض التي كان فيها ولا سبيل الى فتح أبوابه من
الداخل

وفيما هو على ذلك سمع صوتاً يناديه فيقول
ي النصف ولك النصف إذا أردت
فمطر إلى الرجل الذي يحدثه فعرف أنه تارديه أما تارديه
فانه لم يعرفه إنه كان وجهه مصموغاً بدم ماريوس ودخان البارود
وأنما عرس عليه القسمة لاعتقاده أنه من زملائه اللصوص
وأنه قتل هذا الرجل الذي يحمله وسلبه ما معه
وكان السبب في وجود تارديه أنه رأى هناك رجلاً يقوموا
أثره مدحير فهرب منه إلى هذا المكان لوثوقه أنه من رجال
السوليس

وقد وثق بأن تارديه لم يعرفه ولكنه كان يعلم أن
خلاصه قد يكون على يده فانه يستطيع أن يفتح باب المجارى
ويعاونه على الخروج منها

أما تارديه فانه عاد إلى محادثته فقال له
إليك ترى أن حروحك من هنا محال ومع ذلك فلا بد لك
من الخروج

قال هو ذلك

— إن لقتهم

— ما، أعي

— أعني أنك قتلت الرجل وسلمته ولكنك لا تستطيع الخروج
إلا إذا ساعدتك وإيّا رصيت مساعدتك لا بك من أهل المهنة كما
أرى وقد وحب علينا التعاون

والآن فاسمع أيها الرفيق أنك لم تقتل هذا الرجل إلا
طعماً بما معه فاعطني نصيب ما سلمته أفتح لك الباب وفوق ذلك
فاني أعطيك حلاً

— ماذا أصنع بالحل

— وانك ستحتاج إلى حجر ولكنك ستجده عند خروءك

— ماذا أصنع بالحل والحجر

— لتربط هذا القليل أيها الابن قبل أن تلقيه إلى المياه أو
يغرق فوق المياه

والآن فليقتسم فان الوليس يطاردي ولا أستطيع البقاء
طويلاً في هذا المكان

فبحث حان فالخان في حيوبه اد كان من عادته أن يملأها
دائماً لمساعدة المقراء ولكنه لم يجد غير ثلاثين فرنكا
فقلب تسارديه شفته السفلى وقال

أقتله من أجل هذا المبلغ الزهيد ولكن لا بأس فقد تكون
خدعتك ظواهره ويأطالما خدعت مثلك فهات

فأعطاه حان الثلاثين فرنكا فوصفها في جيبه وقد نسي
وتناسى أنه يجب اقتسامها بينهما

ثم فتح باب المجرى وأعطاه على الصعود وبمدهنية كان فوق
لارض وعلى ظهره ماريوس
أما تنارديه فانه مالبث ان فصح له الباب حتى جد مصرطاحوه
من أذ يطاله بصب المال وتواري عن الانظار

وكان حان فالجان قد تعب تعباً عظيماً فألقى ماريوس على الارض
وحلس بحامه واستراح هنيهة
ثم هص خمله وسار به فلم يمش بصع خطوات حتى شعر
رجل يسير من حلقه ورأى المعثش حارب
وكان جاورت يطارد تنارديه في تلك الساعة فلم يعرف جان
حين التفت اليه فدما منه وقال له

من أنت

قال أما

— من هو أنت

— جان فالجان

فوضع يده على كتفه ونظر اليه نظرات عائرة

أما حارب فانه نظر اليه مدسياً وقال

لأنحسب ياره فت اى كنت أمد الهرب منك فقد قلت لك

و صرح ابرم نى أسهك وأرشدك الى نرلى فانالست أسيرك

ولكن لنسب ياره أسرا

وقد رأى ماريوس معه فقال له
من هذا الرجل الذي تحمله
قال ان ملتقى يتعاق به فأصنع بي مأنت صانع ولكنى
أرجوك قبل ذلك أن تعيننى على اىصاله الى منزله
ففحص ماريوس وقال
لقد كان هذا الفتى فى المتاريس وهو يدعى ماريوس
— هو ذاك وانه جريح
— بل هو ميت
— كلا انه لم يموت بعد
— أجئت به من المتاريس الى هنا
فلم يحبه فقال
أنه يقيم فى شارع كالفير عند جده ولا أعرف اسم جده
ففتش جان فالخان فى حبوب ماريوس وأخرج منه دفترأ
ففتحه وقرأ عنوانه فى أول صفحة منه ودفعه الى جافرت
فلما قرأه جافرت قال اصبر قليلا
ثم أخذ صغارة من حبه فصغر بها فلم تكن غير هنية حتى
أقبلت مركبة كانت تنتظر جافرت فقللا ماريوس اليها وصعدا
ثم أمر جافرت السائق ان يذهب الى شارع كالفير غره ٦

ووصلت المركبة الى ذلك المنزل فخرج جافرت منها وطرق
الباب فجاء البواب يحمل شمعة بيده
وقد تعاون السائق وجان فالجان فأخرجاه ماريوس من المركبة
وقال جافرت للبواب

أوجد هنا من يدعى جلنورماند
قال نعم أنه يقيم هنا فمادا تريدون منه
قال لقد جئناه بولده

فدهش البواب وقال ولده

قال نعم فانه مات

فأشار جان من ورائه اشارة سلبية

أما البواب فانه لم يفهم كلام جافرت ولا اشارة جان فقال
له جافرت

انه ذهب الى المتاريس وهذا هو

— الى المتاريس

— نعم وقد قتل فيها فاذهب وأيقظ أباه

وبعد هنية أقبل الخدم وحملوا ماريوس الى المنزل وواد

جافرت وجان والجان الى المركبة فقال جان

اني ألتس منك ملتصاً آخر أيها المفتش

— ماهو

— هو ان تدعى أعود هنية الى مرلي وبعد ذلك تصنع لي

ماتشاء فأطرق هنيهة مفكراً ثم نادى السائق وقال له سر الى شارع
الرجل المسلح نمرة ٧

ولقد كان غرض جان فالجان من عودته الى منزله أن يتم ما بدأ
به وان يخبر غوسيت أين يقيم ماريوس ويوصيها التوصية الاخيرة
أما هو فقد انتهى أمره بعد ان قبض عليه جافرت ولم يبق
له مطمع في الحياة

ووصلت المركبة الى مدخل شارع الرجل المسلح فوقفت لصيق
الطريق عن دخول المركبات فخرج جافرت وجان منها وقال السائق
للمفتش

أن مقاعد المركبة الخلفية قد تلوثت بالدم فلا بد من تعويض
قال هو ذاك وأخرج من حيبه ثمانين فرنكا فأعطاه أياها
وأطلق سراحه

فخطر لجان انه يريد أن يذهب به ماشياً الى اقرب مركز
للبوليس

ولما وصلا الى منزل جان قال له المفتش
اصعد وأنا انتظر ك هنا

فمجب جان من كرم أخلاقه ومن ثقته به وصعد الى منزله
وقد دخل الى غرفته وفيها مشرف يعطل على باب المنزل الخارجي
فأطل منه دون قصد فبهت وأصيب بذهول عظيم إذ لم يجد احداً

عند الباب فان جافرت كان قد انصرف

كان أول من استقبل ماريوس حين ادخلوه الى المنزل خالته
فكادت تجر من رعها حين رآته مصبوغاً بالدماء وعلائم الموت
ظاهرة عليه فأسرعت باستدعاء طبيب وسارت تمشى في الغرفة
من غير رشد وهي لا تصدق ما تراه

ثم زال الرعب الأول فحملت تهرز رأسها وتقول
هذا الذي كنت أتوقعه واخشاه فلا حول ولا قوة إلا بالله
وقد جاء الطبيب وفحصه فوجد به كثيراً من الجراح وأنه لم
يمت بل كان مغمياً عليه لكثرة ما نزل من دمائه فغسل الجراح
وضمدها

وعند ذلك دخل جد ماريوس فرأى حفيده ملقى على السرير
ولا فرق بينه وبين الاموات وهو مغمض العينين مفتوح الفم
اصفر الشفتين طارى الصدر كشيء الجراح قارتعد ارتعاداً عنيفاً
وصاح قائلاً

ماريوس

فقال له أحد الخدم أنه كان يأسى في المتاريس فجاءه
منها و...

— وأنه مات أليس كذلك

ثم تهيئت قامة كأمعاد اليه شابه والتفت الى الطبيب فقال له

انك الطبيب يا سيدى فقل لى . . أنه ميت أليس كذلك
فاضطرب الطبيب لما رآه من ظواهر يأسه ولم يجب
وضحك الشيخ صحكاً عصبياً وقال
أجل أنه مات . . أنه انتحى فى المتاريس وهو حاقده على . .
اهكذا يعود إلى . . ربح لنفسى ما أشقاها . . أنه مات... مات
ثم فتح نافذة كأنه شعر باختناق فأطل منها يلتمس الهواء
ويقول

أنه مجروح مثقوب ممزق مقطوع . . وهو يعلم أنى كنت
انتظره وأنى أعددت له غرفته وإنى وضعت فى سرى صورته
حين كان صغيراً . . نعم أنه كان يعلم بأنى انتظره كل ليلة وأنى التى
يدى على ركبتي فلا أفكر إلا به ولا أعلم ما أصنع . احل يا ماريوس
انك كنت تعلم انك اذا دخلت الى منزلى كنت فيه السيد المطلق
وإنى أطيعك وأمتثل لك فى كل ما تريد امتثال الاطفال
ولكنك كنت تقول أن جدي من حزب الملكية فلا أذهب
إليه . . بل ذهبت الى المتاريس وعرضت نفسك للموت . . أتموت
يا ماريوس وأنا احبى

أما الطبيب فإنه ترك ماريوس هزيمة لخوفه على الشيخ فدنا
منه وأمسك بيده فالتفت إليه الشيخ وقال له
أشكرك يا سيدى الطبيب فانى ساكن هادى ولا خوف على
فقد شهدت موت لويس الرابع عشر وأنا أعزف كيف تحمل المصائب

على أن هناك أمراً هائلاً يروغني كل ما فكرت به وهو أن
جرائدكم كانت السبب في كل هذه النكبات وأن فيكم الكتاب
والحامين والخطباء ولكم المجالس والحقوق والمناظرات وحرية
الاقلام فأنظر ما انتحته هذه الحرية وكيف اتردت اليها أبناءنا
أواه يا ماريوس أتموت قبل أن أموت . . أيها الطبيب اني
حين ربيت هذا الغلام كنت في عداد الشيوخ فكان الناس يدهشون
من جماله

وكنت اذا انتهرت أو هددته بعصاي لا يكثر لي فيضحك
لي ويمانقني لاعتقاده اني أمازحه

على اني لا أبالي فاني سأقفو أثره في اقرب حين ولكن ألم
يكن الاول به أن يلهو ويحرق في مضمار الصبي بدلا من أن
يذهب الى المتاريس ويعرض نفسه للقتل

ويح لكن اينها الامهات ويا ومحكم أيها الالباء مما تلدون . أيموت
وهو لم يتجاوز العشرين دون أن يلتفت الى الوراثة فيرى الدين
تخلف عنهم . .

اذهب يا من الله ودع ذلك الشيخ المنكود يموت وحده بعد
أن مات في قلبه الرحمة

اذهب فاني بلغت المائة مائة عام وحق لي أن أموت اما الآن
فقد بلغت مائة الف عام

وأنت لماذا تشمه الامونياك وتسقيه هذا الشراب . . فانه
مات كما مات أنا

وأنت أيها الراقد اذهب بسلام واعلم اني لا أحزن عليك
فانك لم تشفق على أيها القاتل السفاك

وعند ذلك فتح ماريوس عينيه ببطيء وكان أول من رآه
بهما جده

فصاح الشيخ قائلاً

ماريوس . . بنى . . افتحت عينيك . . أنظر الى . . إذن
أنت حي

وقد سقط عند ذلك مغمياً عليه لمرط ما أثر به السرو فانه
يفعل في هذه المواقف ما تفعله الاحزان

ولنعد الآن الى جافرت فانه برح شارع الرجل المسلح وجعل
يمشي مطرق الراس وهي أول مرة مشى بها على هذا الشكل

وقل جعل يديه وراء ظهره على طريقة نابليون وهو منذئذ
لم يكن يصع يديه إلا على صدره اشارة إلى صدق المزيفة أما وضعه
يديه وراء ظهره فكان اشارة الى ما يتخالج قلبه من التردد والقلق
وقد كان يبول في الشوارع صامتاً مطرقاً وهو يسير الى جهة
السين حتى وصل جسر مشرف عليه فاسد كوعيه اليه واستند
رأسه الى يديه وجعل ينظر الى أمواجه السوداء في ذلك الظلام

وقد تاه في مهابه التفكير فانه حين رأى جان فالجان شعرباطفتين
متناقضتين احدهما طائفة الذئب يرى فريسته والثانية طائفة الكلب
يرى صاحبه

ومن ذلك الحين افتتح أمامه طريقان وهو ما تعود أن يرى
في حياته غير طريق واحد مستقيم فلم يعلم أي طريق يسلك
فقد كان يرى في الطريق الاول انه مدين لرجل مجرم وانه
لا بد له من وفاء الدين فقد قال له جان فالجان اذهب وهو يقول
له انك مطلق المراح فيكون بذلك قد وفي دينه وأراح ضميره
من التكتيت ولكنه يكون قد اساء الى المجتمع الانساني في
سبيل لاحسان الى نفسه وصحي النفع المشترك في سبيل المنفعة
الذاتية

وكان قد ادهله أن يعفو عن جان فالجان وارعبه أن يعفو هو
عن جان فالجان فما عساه أن يصنع الآن
أيتقبض على جان فالجان فيكون قد حازاه عن الخير بالشر
أم يدعه وشأنه فيكون قد أساء الى المجتمع
أن رجل السلطة في الحالة الاولى يسقط الى الدرك الاسفل
وينعط عن رجل الجبايات واما في الحالة الثانية فان رجل الجرائم
والسحون يرتفع حتى يدوس بقدميه على النظامات والقوانين
وفي الحالتين فان شرف جافرت يتدنس ويسقط الى حضيض
الهاوية وما الحياة غير شقاء هاوية كان جافرت مشرقا عليها الان

وكان يفكر في ما صنعه فیرتعد لانه سبخالف الشرائع وقوانين البوليس ولا يحد حلا لهذه المشكلة الا ان يعود الى شارع الرجل المسلح ويقبض عليه ولكنه كان يشعر أن بدأ خفية تصده وتقيده فلا يستطيع الذهاب وما هذه اليد غير ضميره

غير أنه يكاد يحزن من يأسه حين يفكر أن اللص قد تقدس وأن المجرم يرتع في محبوبحة الامن وأن كل ذلك من ضعف جافرت وكيف يطيق أن يضع حان فالجان فوق الشرائع وهو جافرت يأكل خبز الحكومة التي عهدت اليه مطاردة هؤلاء الاشقياء فيطيس صوابه إلى أن يتمثل له جان فالجان يقول له « اذهب » ولا يقتله بعد كل اسائته اليه فيجد نفسه مقيداً باحسانه ولا سبيل الى الخلاص من هذا القيد الا بالاغصاء عنه ولا سبيل الى هذا الاغصاء الا بمخالفة الشرائع ولا سبيل الى مخالفتها وهو في قيد الحياة

اذن لا بد له من الموت فهو وحده الذي يحل كل هذه العقد وقد صحت عزيمته على ألا نتحار فترك موقفه وسار الى أقرب مركز للبوليس فدخل اليه وحلّس وراء مصددة فكتب ما يأتي

ملاحظات نافعة

«أولاً التمس من مدير البوليس ان يعبر انتباهه هذه الملاحظات التي أكتبها بعد الاختبار
« ان المهمين حين يأتون بهم للاستطاق يخلعون نعائم لتفتيشها

« ويلبثون حفاة على البلاط فيعودون الى السجن بركام
يقتضى المعالجة وفي ذلك من النفقات ما يمكن الاستغناء عنه
« ثالثاً ان طريقة مراقبة البوليس صالحة وهي وقوفهم على ابعاد
متباينة غير أنه يجب في المواقف الخطيرة ان يكون في كل موقف
اثنان بدلا من واحد فان رشوة الاثنين أصعب من رشوة الواحد
« رابعاً لا أعلم لماذا لا يأذنون للسجنية من النساء ان تجلس
على كرسي ولو دفعت أجرتها

« خامساً ان المجرمين المعينين لمادة المجرمين الى القاعة
الكبرى يقبضون من كل سجين يدعونه ستمين وهذه سرقة واضحة
وقد كتب غير ذلك من الوصايا والملاحظات حتى اذا أتمها
وقع عليها توقيعه وعنوانها بعنوان مدير البوليس وتركها
على المائدة

ثم خرج من مركز البوليس وهاد الى النهر وصعد الى سور
الجسر وألقى نفسه دون أن يتردد لحظة فابتلعه المياه



يذكر القراء انه كان يوجد في غابة مونتغميل رجل يكسر
الحصى ويصلح الطرقات ويسلب المارة كل ما سحت له فرصة
مأمونة العاقبة

وكان قد انتظم في سلك عصابة تنارديه ثم رأى أن الخطر مع تلك العصابة كثير والريح قليل فاعتزلها وعاد الى تلك الغابة وقد اتفق له في صباح يوم انه بينما كان يجتاز الغابة ذاهباً الى عمله وذلك عند الفجر رأى رجلاً يسير بين الاشجار ولم يكن قد رأى غير ظهره ولكن خيل له انه رأى هذا الرجل في نفس هذه الغابة مرة من قبل وقد أيقن أنه ليس من أهل القرية وانه جاء اليها ماشياً اذ لم ير مركبة وانه مشي كل ليلته ولم يكن يحمل لا كيساً ولا صرة فهو قادم دون شك من باريس ولكن ماشأه في هذه الغابة وما قدومه اليها في هذه الساعة وقد خطر له عند ذلك الكنز الذي كان يمتقد أهل القرية انه مخبوء في الغابة وذكر أنه رأى رجلاً منذ بضعة أعوام أتى الى هذه الغابة وانه قد يكون نفس الرجل وكان يتأمل وهو مطرق الرأس فلما رفع رأسه لم ير أحداً اذ كان الرجل قد توغل في الغابة فقال في نفسه لا بد لي من ايجاده مهما توارى عني فلا يكون سرفي هذه الغابة دون أن اطلع عليه وقد أخذ معموله ومشى في الجهة التي كان الرجل يسير فيها فیهتدى اليه من آثار قدميه فوق الاعشاب الطرية ثم فقد ذلك الاثر فخطر له أن يتسلق احدي الشجر عله يراه

فلما صعد الى أعلى الشجرة رآه ولكنه لم يلبث ان اختفى لتوغله
بين ادغال تكتنفها شجرات باسقة فتحجبها عن الانظار
وكان يعرف هذا الموضع ويعلم أن وراءه حجارة مكدسة منذ
ثلاثين عاما لا يعلمون من وضعها
غير أنه لا يمكن الوصول الى هذه الحجارة الا بعد للعناء
العظيم اذ لابد من اجتياز الادغال
وقد نزل من فوره وذهب الى تلك الادغال فتشتم جسمه
وتمزقت ثيابه حين اجتيازها
وبعد أن احتازها ذهب الى تلك الحجارة المكدسة وكان
يوجد وراءها شجرة طوقت بالزنك فوجد عند أسفلها معولا
وثقباً فنظر الى الثقب فوجده فارخاً فتوهجت عيناه من الغضب
وقال تبا لك من سارق
ثم مشى وهو يهدد السماء بقضته

لقد نبي ماريوس مدة طويلة وهو بين الحياة والموت وأصيب
مدة بصفة أساييع بحمى يصحبها هذيان
وكان لا ينقطع خلال هذيانه عن ذكر غوسيت فكان في كل
يوم يأتي رجل أبيض الشعر فيسأل عنه وأحياناً يأتي مرتين
في اليوم
وفي اليوم السابع من ايلول (سبتمبر) أي بعد أربعة اشهر من مرضه

قال الطبيب ان الخطر قد زال وان دور التقاهة قد بدأ فاقام بعد ذلك شهرين ممدداً على كرسي طويل

وكان طول مدة مرضه وتقاهته قد تقناه وأبقاه من المحاكمة فان في حلال هذه المدة صدر العفو عن الجرحى

أما جده فقد كان يقيم عنده في كل الليل على كرسي طويل بجانب سريره فلما قال الطبيب انه لم يبق خطر عليه وزع في ذلك اليوم كثيراً من المال على الفقراء ورعى مصلياً وهو لم يعرف الصلاة منذ نشأ

وأما ماريوس فانه لم يكن يفكر الا لغوسيت فانه بعد ان كان يذكرها بلسانه مدة هذيانه جعل يذكرها بقلبه حين تقاهته ولم يكن يعلم شيئاً مما جرى لها ولا يدري كيف نجا من المتاريس اذ لم يذكر الا أنه شعر حين أغشى عليه أن يداً قوية حملته ثم انه كان يرى جده يتسم له ويلطفه ويحن عليه حنو الامهات ولكنه كان يعتقد أنه لا يلاطفه هذه الملاطفة الا لانه مريض فمضى شفى وعاد الى دكر غوسيت عاد اليه تحبهم

غير أنه أراد أن يمتحن ذلك فاتفق يوماً ان جده كان يلج عليه بالاكل ويقول له عملء الحنو

كل يابى فان الغداء يقويك ولا خوف عليك من أكل هذه

السكة ..

اشرب هذا الكاس من الشهبانيا فانها أفضل الخمر لتجديد
الدم وتقوية الاجسام

وكان قد عاد اليه نشاطه فاستوى جالساً في السرير ونظر الى
جده نظرة منكرة فقال له

. ان هذا يدفعني الى أن أسألك أمراً

— ما هذا الامر يا بني

— هو اني أريد أن أتزوج

فضحك الشيخ وقال

ان هذا منتظر

— كيف تقول انه منتظر

— نعم لانك ستزوج التي تحبها

فاضطرب قلب ماريوس وبرفت عيناه بأشعة السرور فضى

حده في حديثه فقال

نعم انك ستزوج هذه الفتاة الحسنة فانها تأتي كل يوم
متكرة بملابس وحل شيخ فتسأل عنك وقد سألت عنها فعلمت

انها لم تقطع عن الكاء منداصابتك تلك الجراح وهي تقيم في شارع
الرجل المسلح عمرة ٧ رأيت اني أعرفها

نعم انك ستزوجها فانها تحبك أصدق حب ولولم يقدر الله

لك السلاوة لتقدم نعلها لعشي

وقد كان خطر لى أن ادخل بها اليك ولكن ذلك كان متعذراً
لأنك كنت عارياً من الملابس لجراحك
وقد كنت أرى أنك لا تحبني فجعلت أقول فى نفسى ماذا
أصنع لهذا الغلام العفوق كى يحبني كما أحبه . . انى أعطيه غوسيت
فلا بد له بعد ذلك أن يحبني قليلاً
وقد أخذ رأس ماريوس بين ذراعيه وجعل الاثنان يبكيان
وبعد هنيهة قال ماريوس
لقد تعافيت الآن الا يمكن أن أراها
قال لقد توقعت ذلك أيضاً وستراها غداً

— أبي

— ماذا

— لماذا لا أراها اليوم

— اذن ستراها اليوم فاطمئن

ولقد صدق الشيخ بوعده فجاءت غوسيت ودخلت الى غرفة
ماريوس وجميع العائلة فيها حتى الخدم فكأوا يمشون اليها
ويعصون محالها وهى تكاد تحن من سرورها وتود لو ألقت نفسها
بين يدي ذراعيه ولكنها لا تحسر على ذلك أمام هؤلاء الجماهير
الذين اساءوا أعظم إساءة الى العاشقين محصورهم هذا اللقاء
وقد دخل فى أثرها رجل ابيض الشعر وهو يبتسم فكان

هذا الرجل الموسيو فوشلفان أى جان فالجان
وعند ذلك تقدم اليه جد ماريوس وقال له
يا موسيو ترانسلفان . . .
ولم يكن حرف اسمه خصباً ولكنه كان يغلط دائماً بأسماء
الاعلام حتى بأسماء أصحابه الأخصاء
فانحنى جان فالجان أمامه وقال له الشيخ
لى الشرف أن التمس منك الموافقة على زواج بنتك مدموازيل
غوسيت من حفيدي البارون ماريوس بونتيرمي
فانحنى جان أيضاً إشارة الى القبول
ومشى الشيخ الى العاشقين فباركهما وقال لهما انكما الآن
خطيبان واستصحبان زوجين أمام الله وأمام الناس
ثم تركهما وعاد الى حان فالجان يحدثه بينما كانت غوسيت
تحدث ماريوس بصوت منخفض وتقول
رباه أنا فى نقطة أم فى حلم . . أقدر لى أن أراك يا ماريوس . .
لمادا ذهبت الى المتاريس وعادا أسأت اليك فقد جعلتى أربعة
أشهر شبه ميتة . .
إني أتمنى لك على أن لا تعود الى مثلها . . والآن حين دعوتنى
للحضور اليك خلت نفسى شبه ميتة ولكن ذلك كان من الفرح
وعاد الشيخ اليهما فقال
ما بالكما لا تتكلمان وأنت أيها الخبيث أسعد البشر محب هذا الملاك

ولو كنت أصغر مما أنا عليه عشرة أعوام لقاتلتك عليها بالسيف
حبها يا بني وليارك الله هذا الحب

ولكني لا يسؤني الا لاني لا أستطيع أن أتمتع بأموالي الا
مدى الحياة ومتى مت لا يبقى لك شيء بعدى فقد بعث كل ما
أمتلكه من احدى الشركات على أن أقبض منها مبلغاً عظيماً كل
عام ما دمت حياً فادامت انقطع الراتب ولا يحق لورثائي مطالبتها
لشيء

واسكما ستتمتعان بكل ما اقبضه فمعليكما إلا أن تدعوا لى
بطول العمر

وعند ذلك سمع الجميع جان فالجان يقول
أن مدموازيل أودرارى فوشلمان لها ستمائة الف فرنك

فنظر الشيخ اليه مذهلاً وقال

من هي مدمواريل اينفرازى

فقالت له غوسيت انا هي

قال ستمائة الف فرنك

وقال جان فالجان تنقص نحو خمسة عشر الف فرنك بالتقريب

ثم وضع صرة كان يحملها على منضدة وفتحها فوجد

فيها خمسمائة ورقة من التي قيمتها الف فرنك و١٦٨ ورقة من التي

قيمتها خمسمائة فرنك فتكون لجملة ٥٨٤ الف فرنك

(١٥ - نى)

وقد دهش الجميع لثروة غوسيت التي كانوا يعتقدون انها فقيرة
أما ماريوس وغوسيت فقد كانا يتحدثان بصوت منخفض
وقد شغلا بمحدثهما عن كل هذه الامور

ولقد عرف القراء دون شك أن جان فالجان بعد حادثة الاب
شامباتو حين كان محافظاً هرب من السجن الى باريس فآخذ بما كان
له من المال في مصرف لافيت

وأنه حشى أن يعودوا الى القبض عليه فوضع هذه الاوراق
المالية في علبة من الخشب ووضع فيها مواد تمنع عنها الرطوبة ثم
ذهب الى غابة مونتفرميل فدفنها هناك

وكان بعد ذلك كل ما احتاج الى المال يأتي الى الغابة فيخرج
العلبة من مدفنها فيأخذ ما يحتاج اليه ويعود الى باريس
فلما رأى أن ماريوس دخل في دور المقاهة توقع انه سيحتاج
الى كل هذا المال فحماه بالعلبة ووضعها في منزله

ولم يأخذ من هذا المال غير خمسمائة فرنك
أما الفرق بين هذه القيمة وبين القيمة الاصلية التي اخذها
من المصرف فقد اتفتمها و مدة عشرة أعوام فان السنوات الخمس
التي أقامها في الدر لم تكلفه غير خمسة آلاف فرنك وهي نفقات
تعليم غوسيت

وقد كان اطمأن قلبه إذ قرأ في حريدة المونيتور خيراً مفاده
أن أحد مفتشى البوليس المدعو جافرت وجد غريقاً في النهر تحت
قارب بين جسر شايح والجسر الجديد
وأنه كتب كتاباً قبل انتحاره الى رئيس البوليس يدل على
أنه أصيب بعقله قبل الانتحار

وقد فتحت الحريدة فصلها بالثناء عليه وببينة ثقة لرؤساء
أما جان فالجان فاشكك أنه مات مجنوناً بدليل أنه أطلق
سراحه ولم يقض عليه



وقد أخذوا يتأهبون لحفلة الزواج وعيسوا موعده بعد شهر
فكان العاشقان لا يصدقان ما يريان
أما جان فالجان فإنه أعد لغوسيت كل ما يضمن هذاه ولا
سيما في ما يتعلق بسر مولدها فإنه لو ظهر لما تم عقد الزواج
ولذلك قال انها ابنة فوشلندن الذي كان استانياً في دير ميكيس
فسألوا راهبات ذلك الدير عنه فشهدن به خير شهادة
ومما قاله عن مهرها أن سيدة تخلت لها عن ذلك المال وهي
صغيرة وأبت تلك السيدة إظهار اسمها فعين هو وصياً عليها ولم
يفق من هذا المال غير عشرة آلاف فرنك اتفقت على تعليمها في
ذلك الدير الذي نشأت فيه

وأن من شروط هذا المال أن يدفع الى غوسيت حين بلوغها
سن الرشد أو حين زواجها
أما غوسيت فأنها علمت من كل ذلك الحديث أنها باتت غنية
وأن جان فالخان ليس بأبيها كما كانت تتوهم بل هو قريب لها فما
انقص ذلك شيئاً من محبتها أياه
ولو عرفت هذه الحقيقة قبل الآن لامتعضت غير أن حبها
لماريوس شغافها عن كل ما عداه
ومع ذلك فأنها لثت تدعوه أباهاً وليث يدعوها بنته
أما حد ماريوس فأنه كان في كل يوم يقدم لها هدية تدهشها
وقد اتفقوا على أن يقيم مع أمراءه في منزل حده فأعد لها خير
غرف ذلك المنزل وهرشها بأجل الرباش
وكان الخطيبان مجتمعان كل يوم إذ كانت غوسيت تأتي الى
ماريوس كي لا يزعج بالذهاب اليها
فكانت حالته تدق يداً بيد من دهشها وتقول.
أسمعتم في عصر من المصور أن الخطيبة تأتي الى منزل
خطيبها في كل يوم
وكانت تأتي مع حان فالخان فيقيم معها ما دامت مقيمة مع
ماريوس فلا يستاء ماريوس لأن هذا الشرط لم يكن بد منه ولم
يكلم أحدهما إلا في القليل المادر
الى أن اتفق يوما أن ماريوس كان يتكلم عن وحبو التعليم

اللازمي وان العلم يجب أن يكون كالشمس تشرق أشعتها على الجميع
نخاص جان فالجان في هذا البحث وسمع ماريوس منه ما أعجبه
ولكنه استدل من بعض تعابير هذا الرجل أخط من المتعلمين
في شيء وأرفع منهم في شيء

ولم يكن ماريوس يدكر شيئاً مما صر به بل كانت حوادثه تمر
بدا كرتة كأنها حلم

من ذلك أنه حين رأى جان فالجان دكر أنه رآه في المتاريس
ولكنه لم يكن واثقاً من تلك الذكرى

وقد حاول أن يمتحن ذلك فجعل يتنقل من حديث إلى حديث
إلى أن أدخل في معرض حديثه ذكر الشارع الذي بنيت فيه
المتاريس فسأله قائلاً

أتعرف هذا الشارع ياسيدي

قال أي شارع هذا

قال شارع شانفريري

قال لي لم أسمع باسمه حتى الآن

وقد أجابه هذا الجواب بملء السكينة وعلام الصدق بادية

في عيونه لما شكك في قوله وقال في نفسه

لا شك أنني كنت حالماً وان الرجل الذي رأيته في المتاريس

يشبه هذا الرجل أما فوشلمان فإنه لم يكن في المتاريس

على أن فرح ماريوس عما صار إليه لم يشغله عن الاهتمام
بشؤون أخرى

ودلك أنه بينما كانوا يتأهبون لأعداد معدات الزواج كان هو
يبحث كيف بنى دينه ودين أبيه فان أباه كان مدينا لتارديه بانتقاده
من الموت وهو مدين لذلك الرجل الذي حمله حين اعماه في المتاريس
وأخرجه منها فجاء به الى جسده فكان كل همه قاصرا على إيجاد
هدين ارحلين لا اعتقاده ان هناءه لا يتم الا حين يفي بهذا الدين
وانه لا بد له من اقبال باب الماضي قبل ان يدخل الى باب المستقبل
ولعم أن تارديه كان من كبار اللصوص وأشد هم انما ولكن
ذلك لا يمنع أنه أتقد أباه الكولوبيل بونترسي فهو لمن أثم في
هيون الشرع والناس اما في عيبه فهو مقداً أبيه

وقد أحد منذ ذلك يبحث عن تارديه وغير الرقباء فلم يهتد
أحد اليه وكان مما علمه عن هذه العيلة ان امرأة تارديه ماتت في
السجن وان ابنته الكبرى أيونين وولده كافر رش ماتا في المتاريس
فلم يبق الا هو وابنته أزوما

وكان قد علم أن تارديه هرب من السجن مع عصابته فحكم
غيباً على رجال العصاة بالسجن المؤبد والاشغال الشاقة وحكم على
تارديه بالاعدام

أما الرجل الذي أتقده من المتاريس فقد بحث عنه بحثاً
مستفيضاً ورأى في البدء بارقة رجاء اذ أنه عرف ساكن المركبة

الذي جاء به الى منزل جده

ولكن كل ما عرفه من السائق هو أنه في ٦ حزيران وقف
بمركبته بأمر أحد مفتشى البوليس عند المجارى قرب الشانزليزه
وانه ناداه في الساعة التاسعة من المساء وصعد الى المركبة مع رجل
آخر بعد أن حملا اليها فتى جريحاً فجاء به الى شارع كالفير

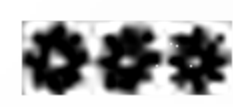
وهذا كل ما تمكن أن يعرفه من السائق فكانه لم يعلم شيئاً
لان ماريوس أغمى عليه في المتاريس فلم يستفق الا في منزل جده
ولم يذكر الا أن يداً قوية اختطفته حين أغمى عليه

ولكن كيف اتفق وحوده مع ذلك الرجل عند باب المجارى
الكبير قرب الشانزليزه وهي بعيدة جداً عن المتاريس وما هي
الطريق المؤدية الى شارع كالفير ومن هو هذا الرجل الذي أحسن
اليه هذا الاحسان وكيف السبيل الى ايجاده ومكافأته عن هذا الصنيع
وقد توصل الى أنه عهد الى رجال البوليس في البحث عنه
فبحثوا طويلاً ولم تسفر ابحاثهم عن شيء فكانوا كالساحر في رماد
وقد احتفظ بملابسه الملوثة بالدماء على رجاء أن تعينه يوماً على
ايجاد هذا الرجل وكان ذلك الثوب مقطوع من قطعة لم يعلم كيف
قطعت واتفق أنه كان يتكلم مرة عن هذه الحادثة أمام جان فالجان
وغوسيت فقال

لا شك أن هذا الرجل من عظماء الناس وأنه لو مثلت المرأة
لما مثلت إلا شخصه أنعمان ما فعل انه اختطفني من المعركة

والرصاص ينصب كالمطر وهرب في ونزل الى المجارى وهو يحملنى
على كتفه واجتاز نحو مرحلة بتلك الدهاير القذرة تحت الارض
وفي الظلمات وليس له غرض غير انقاذى
ومما يزيد فضلا فى سرّوته انى لم أفرق فى شيء عن الاموات
نفاطر بنفسه على رجاء أن يكون بقيت لى بقية رفق وهى سرّوة
خالصة بدليل أنه بقي متكرراً كى لا أكافئه عليها ووالله لو كان
مهر غوسيت لى . .

فقاطعه جان فالجان قائلاً انه لك ثادا تصنع
قال كست أهبه لذلك الرجل العظيم
فابتسم حان ولم يحبه بشيء



ودنا يوم الزفاف وهو اليوم السادس عشر من شهر شباط
فكان الطقس مختلفاً تصحو السماء حياً ثم تعود الى الترحيم والمطر
وفي تلك الليلة اعطى حان فالجان المال الذى وهبه لغوسيت
دون أن تعلم وهو ٥٨٤ الف مريك
وكان مما وهبها اياها الخادمة إدلم يكن محتاجاً اليها فأخذتها
غوسيت ورقتها فعملتها خادمة غرفتها الخاصة
أما حان فالجان فقد عيسوا له غرفة فى منزل جدد ماريوس
وألحوا عليه بوجوب الاقامة بينهم فرضى
وكان قد أصيب بضربة باصبع يده اليمنى قبل الزفاف بيومين

فصحفته كما يقول فرط يده وغلفها بالرباط ولم يدع أحداً يهتم
بأصبعه ولا يراه حتى ولا غوسيت بحيث لم يعد يستطيع أن يكتب
كلمة فأناوب عنه جد ماريوس بصفته وصياً على غوسيت .

وحررت حفلة الزواج فذهب الجميع الى دارالحكومة فمقد
هناك الزواج المدني وعادوا في المركبات الى الكنيسة لعقد
الزواج الديني

وكان ذلك اليوم يوم عيد كبير وقد غصت الشوارع بالناس
فكان الناس يقفون ليتفرحوا على العروسين
وكان بين المحتفلين بالعيد فتاة أوقعت مركبتها في الشارع
ووقف بجانبها على الارض رجل يحمل بمحذات الفتاة بصوت
منخفض فيقول

— أترين هذا الرجل

— أي رجل

— هذا الشيخ ذو الشعر الابيض الذي تتلو مركبته مركبة

العروسين

وقد أشار الى جان فالحان فقالت له
أهو هذا الذي يعلق يده في عنقه برباط أسود

— هو إمييه

— ماذا

— أنا واثق بأنني أعرفه

- وإذا كنت تعرفه ! فانك تعرف كثيراً من الناس
— لقد كانت احتك أشد دكاء منك
— كيف ذلك
— لا شيء انظري هل ترين العروس
— كلا
— والعروسة
— لا يوجد عروسان في هذه المركبة
— لا أرى شيئاً
— لا يوجد عروسان في هذه المركبة
— فني في المركبة واحتمدي أن تسطري العروس
— لا بأس فاني أعرف هذا الرجل ولا شك أن له شأنًا في
هذا الزفاف
— أية فائدة لك من ذلك
— لا أعلم الآن ولكن لا بد من الاستفادة
— أما أنا فلا أهتم لحظة بهذا الشيخ
-- لقد قلت لك اني أعرفه
— أعرفه كما تشاء
-- ولكن كيف اتفق وجوده في هذا الزفاف
— ألم يتفق وجودنا نحن أيضاً
— اصغي الى ياليتي
— اني مصغية

- وأنا سأعهد اليك بمهمة
— ما هي
— هي أن تخرجني من هذه المركبة وتتبعني الموكب
— لماذا
— لتعلمي اسم العروسين ومنزلهما . . اسرعي يا ابنتي فانك
تستطيعين الركض لانك لا تزالين صغيرة
— ولكني لا أستطيع أن أترك المركبة
— لماذا
— لاني فيها تأمر الموليس فقد استعجلى اليوم للتجسس
— أحق ما تقولين
— نعم فادا رأني خرجت من المركبة قضى علي في الحال
فما أفدتك ولا أهدت نفسي
— كلا فانك تستطيعين الاحتجاب عنه فاسرعي واعلمي أن
هذا الشيخ مقيم في مركبة العروسة
— ماذا تعني
— أعني أنه أبوها
— وماذا يفيدك ذلك
— لقد قلت لك أنه أبوها فاصفني الي
— ماذا
— إنك تعلمين أن البوليس يبحث عني فلا أستطيع أن
أتبع الموكب حذراً من أن يتبعوا علي أما أنت فانك حرة

- ليس بمقدار ما تتوهم
- لكن الخطر عليك أقل جداً من الخطر على
- حسناً وبعد ذلك
- أريد أن تعلمي إلى أين يذهب هذا الموكب
- أنه ذاهب إلى الكنيسة كما ترى
- نعم ولكنه بعد ذلك يذهب إلى البيت وأريد أني
- أعرف المنزل
- أهدأ كل ما تريد أن تعرفه
- بل أريد أن أعرف أيضاً اسم العروسين أفهمت يا ارلما
- سأمثل يا أبي فاطمتين
- وهما انتهى الحديث بينهما فخرجت الفتاة من المركبة واقتفت
- أثر الموكب



- وعقد الزواج وعاد الجميع إلى منزل جدماريوس وأقيمت الحفلة
- الكبرى في المنزل وجلس جان فالجان في القاعة بجانب جدماريوس
- لجأته غوسيت وقالت له
- هل أنت مسرور يا أبي
- قال ليس بعد هذا سرور
- قالت إذن اصحك
- فقهقه ضاحكاً وقبل جبينها فعادت إلى موضعها بجانب ماريوس

وبعد ساعة قام الجميع الى المائدة وكانوا قد وضعوا كرسين على جانبي الزوجين أحدهما لجان فالخان والآخر لجد ماريوس فجلس الجدد في كرسيه أما كرسى جان فالخان فبقى خالياً

وقد بحثوا عنه فلم يروه في القاعة فسأل ماريوس احدي الخاد مات قائلاً

أين هو

قالت لقد فاني أن أخبرك يا سيدي فقد عهد الي أن أقول لك أن يده تؤلم ولا يستطيع الجلوس معكم على المائدة وقد خرج من المنزل وسيعود صباح غد

فاستاء الجميع هيبة من هذا الاتعاق فم عادوا الى رهم وكان أشدهم حد ماريوس

أما جان فالخان فانه بعد أن أصبحته غوسيت اعتم فرصة فادخل من القاعة فأخبر الخادمة بما روته وخرج من المنزل دون أن يراه أحد فذهب الى منزله في شارع الرجل المسلح وهالك أثار شمعة وكان المنزل حالياً وجميع الخزائن مفتوحة فدخل الى غرفة عوسيت فلم يجد شيئاً من أدوات ريتها فقد أخذتها بحملتها فجعل ينتقل من غرفة الى غرفة فلا يجد غير الفراغ والخلاء

ثم دخل الى غرفته فوضع الشمعة على المائدة وفك رباط يده

فكان يستعملها كما يشاء إذ لم تكن مصابة بشيء
وقد فتح عند ذلك صندوقاً وأخرج منه تلك الملابس الصغيرة
السوداء التي كان قد جاء بها إلى غوسيت حين كانت صغيرة في منزل
تنارديه فبسطها فوق سريره وحمل يتأمل بها ويبكي
وأقام ليلته لم يغمض له جنس وهو يتسارع ذاك العاملان
الذنان كما يتمازغانه حين كان يدعى مديين وحين صبحى نفسه في
سبيل ذلك الرجل الذي مموه باسمه وكادوا يحكمون عليه لو لم يبقه
في المحكمة

وفي اليوم التالي ذهب إلى منزل ماريوس ودعا الخادمة وسألها
قائلاً هل صحاح سيدك من رقاده
قالت كيف يدك يا سيدي
قال بخير وهل صحاح سيدك
— أي سيد تمني القديم أو الجديد
سيدي البارون . . ها أنا داهية إليه فأحره بقدمك
— كلا لا تقولي له أي أنا القادم بل قولي ان رجلاً يريد أن
يكلمه في شأن خاص

— كيف ذلك يا سيدي
— أي أريد أن أباغته
فذهبت الخادمة وتبقى جان فالجان وحده وبعد هبة فتح
الباب ودخل ماريوس فذهل حين رآه وقال

أهذا أنت .. ان هذه الخادمة البلهاء لم تذكر لي اسمك...
وبعد فاني أجدارت يا حاك عظيمًا بقدمك فقد استأنا كثيرا
لغيا بك أمس فكيف يدك ... انها شفيث أليس كذلك .. لقد
كان معظم حديثنا أمس عنك فار عوسيت تحبك كثيرا ولا
تريد أن تقم ساعة في شارع الرجل المسلح بل تقم بيضا أي بين
ولديك . وستغدي الآن معا

قال لي ما أقوله لك ياسيدي البارون طاعلم إني من سجناء
سجن طولون الذين حكم عليهم بالاشغال الشاقة

ولم يكن وقع الصاعقة أشد على ماريوس من وقع هذا
الكلام فخيّل له أنه في حلم بل شعر أنه أصيب بدوار شديد
لا سيما وقد نظر الى وجهه جان فآه وانراه يشبه وحوه الموتى باصفره
أما جان فانه زرع رباط يده وقال له

أنظر فان أصعب لم يرض ولم يكن مصابا بشيء

فقط ماريوس فلم ير أثرا للرض ومضى جان في حديثه فقال
لقد احتلقت حادثة أصعب احتلاقا كي لا أضطر الى التوقيع على
صك الزواج بصفتي وصيا عي غوسيت

— ما هذا الذي اسمعه ومادا تعني بما تقول

— أعني اني كنت في سجن طولون

فدعر وقال لك تصيغ صوتي بما تقول

قال إني أقمت ياسيدي البارون تسع عشرة سنة في السجن

لسرقة ثم حكم على بالسجن المؤبد
فارتعد ماريوس مما سمعه وقال له
أتم حديثك ... قل كل شيء .. إنك والد غوسيت
ثم تراجع خطوتان الى الوراء منذراً من هذا الفكر
الذي خطر له

وشمخ حان فالجان فأنقه مستكبراً وقال له
لأنك أن تثق بما أقول فاني وان اكن من أهل السحون
ولكني لا اكذب

ابك تحببي والد غوسيت . كلا أيها البارون فاني فلاح من
قرية فامرول كنت ارتزق من غرس الاشجار ولست ادعي فوشلفاني
بل ادعي حان فالجان ولا يوحد ادني نسب بيبي وبين امرأتك
غوسيت فاطمش

— ما هو برهانك

— برهاني اني انا أقول لك هذا القول
فنظر ماريوش اليه محققاً فوجد علامة الصدق والاخلاص
ظاهرة في عيونه فقال له
لقد وثقت

فأطرق جان رأسه هيبه كانه يتأهب لحديث طويل ثم قال
نعم لا يوحد صله نسب بيبي وبين غوسيت ولم أكن أعلم منذ
عشرة أعوام انها موجودة في عالم الوجود

وقد أحببتها لأنها صغيرة وكنت شيخا ومن عادة الشيوخ
أن يحنو على الصغار

إنها كانت يتيمة لا أب لها ولا أم وكانت في حاجة إلى فكاك
هذا من أكثر العوامل التي دعنتني إلى حبها فأفقت بما يجب
على نحوها

والآن فأنها طارقتني ونهجت كل في سبيله وفوق ذلك فاني لم
أعد أستطيع فائدتها في شيء بعد أن أصبحت تدعى البارونة
بوقتمرسى .

أما السمائة ألف فرنك فانك لم تقل لي كلمة عنها ولكي أنوب
عنه في السؤال وأجيبك أنها وديعة عدى ولا تسأل كيف اتصلت
إلى هذه الأمانة فقد رددتها وبهذا كفاية

ثم إنني ذكرت لك حقيقة اسمي لأنني أحب أن تعلم من أنا
ولقد كان اندهال ماريوس عظيما مما سمعه ومن هذا الموقف
الجديد الذي أوقفه هذا الرجل فيه فقال له

ولكن لماذا تقول لي هذه الأقوال وما الذي الجأك إلى
قولها وما كان يمنعك عن كتمان سرّك فانك آمن لا يطاردك أحد
ولم يشبك أحد فلا بد أن يكون هناك سبب خطير دعاك إلى
أن تعترف لي بهذا الاعتراف .. أمض في حديثك وقل السبب
الذي حملك على مباغتتي بهذه الآباء المنجعة

فأجابه بصوت خافت منخفض كأنه يحدث نفسه فقال
لاى سبب . . نعم ان السبب غريب لا يحتمل تصديقه من
مجرم مثلى فان السبب الوحيد هو الشرف
انى أشعر بوجود خيط غليظ فى داخلى ربط به قلبى فلو
كنت استطيع قطع هذا الخيط أو حل عقده بل لو كنت
استطيع الرحيل لبعوت آمساً إذ لم يبق على غير السفر وكل
أسبابه ميسورة

نعم انى كنت أسافر آمساً مطمئناً فان غوسيت سعيدة معك
ولكى حاولت قطع هذا الخيط فوجدت أنه لا يتزع إلا ناتزاع
قلبى من صدرى فقلت فى نفسى انى لا استطيع العيش بعيداً ولا
بدلى من النقاء

ولقد تكون مصيباً فى ما قلته لى من أنه ليس ما يحملنى على
أن أروح لك بما تحت به فاك عيت لى غرفة فى منزلك وامراتك
تحسى وجدك يتمنى أن أكون بقره وأنت تفرغ مجهودك فى
سبيل راحتى فلا يقلماغير مرل واحد ولا تأكل الا على مائدة
واحدة كابا طائلة واحدة

وهما وضع يديه على صدره وشد على الارض برجله كأنه يريد
أن يخفر بها هوة يسقط اليها وقال بصوت أجش

كلا ليس لى طائلة وما . . . بل ماأنا من البشر بل أنا ذلك
الشيء الشريد الطريد لى لم اخلق من نبت الارض أم كان
له أب وام

ولقد انقضى كل شيء عدى منذ تزوجت غوسيت ورأيتها
معميدة مع الرجل الذى تحبه فقلت في نفسى
لا يجب على أن أدخل الى هذا المنزل المقدس
وكان يوسى ان اكذب وان أهدعكم وان أبى المسيو
فوشلقان لو كان الامر عائداً لخيرها أما وقد بات نفعه لى فلا
أقدم عليه

ولقد سألتنى ما الذى يحملنى على الاقرار فأجيبك أنه لا يحملنى
عليه غير الذمة والضمير

ولقد تحسب ان الكتمان سهل وهو سهل على من أطاقه غير
أنى قضيت أمس كل ليلى وأنا أحاول اقصى بالبراهين الدامغة حتى
تمكننت من اقناع نفسى وعدت بالخيلة بعد ان بدلت جهد الطاقة
ورأيت أن هناك أمرين لا قبل ليهما وهى قطع هذا الخيط
المتين المعلق به قلبي وعجزى عن مقاومة ذلك الضمير الذى يناجرى
حين أكون وحدي

ولذلك حثت اليك واعترفت بكل أسرى أو ببعضه إذ يوحى
أمر آخرى لا علاقة لها بأحد سوى فلا فائدة من قولها

أم تحسب انى لم ناحي نفسى بما عترضت به على وان موثقى
الآن لا يشبه موثقى مع شاء بانى وانى اذا كتبت اسمى لا أسمي
الى أحد وان اسم فوشلقان قد أعطانى أياه فوشلقان نفسه مقابل
احسانى اليه بخدمة حليمة وانى أنقى على ما أنا فيه وأعيش سعيداً

بيكم بهذه الغرفة التي عيبتها لي
 نعم اي صاحيت نسي بكل ذلك وأيقنت أن كل ما بي يكون
 في غبطة ونعيم ما خلا نفسي فانها تكون في ناراً حراً نار الجحيم
 أردوها

وكيف أطيق أن أكون ظلاماً في بيت ملؤه النور وان اصير
 منزلكم سجنًا لا يقيم فيه غير اللصوص وان احالكم على المائدة وأنا
 أعلم أنكم لو عرفتم حقيقة أمرى لطردهوني وان يخدمى خدمكم
 وهم لو عرفوني لا تقوا أن ينظروا الى وان أجمع بين شعور حدك
 البيضاء الطاهرة وشعوري التي يبيستها الجرائم والآثام وكيف لا
 ارتعد ذعراً حين يخطر لي هذا الخاطر في كل يوم وان أهيبكم في
 كل يوم وان اكذب على نفسي وعليكم وعلى الله في كل يوم بل
 كيف تعتقد ان السكوت بعد هذا سهل ميسور

وهذا الكذب والزور والحيلة والخيانة والاثم إني أنتهى
 كل يوم من ارتكابها عند نصف الليل وأعود الى افتراقها عند الظهر
 وانا على هذا البعاق ما حييت ولماذا

أكل ذلك لاكون سعيداً . أيمحق لي أن اكون سعيداً . كلا
 ياسيدى فاني شقي منذ خلقت وقد كتب لي الشقاء في لوح المقدور
 وبعد فانك تسألني لماذا أروح بأمرى وما شئ سري أحد
 ولم يطار دني أحد . نعم ياسيدى أنهم يطاردونى بل وأنا الذي
 أطارد نفسي واحاكم نفسي وأحكم على نفسي وكفى بي قاضياً عادلاً
 على نفسي

وان من أراد أن يكون سعيداً يجب أن يعيش من غير ضمير
وان لا يفهم معنى الواجب

واني الآن انحط في عينيك ولكي أرتفع واسمو في عيني
نفسى وقد اتفق لى مرة مثل هذه الحادثة ولكنها لم تكن فاحشة
ك هذه

وانى أحب أن أكون شريفاً وكيف أكون شريفاً اذا كنت
أحمك بكذبي على احترامى أما وانت تحتقرنى الآن فقد نأت
باحترارك كل ما اطمع به من الشرف
انى سرفت مرة رغيفاً لأعيش فلا أريد اليوم أن اسرق
اسملاً لأعيش

فقاطعه ماريوس قائلاً انك لا تحتاج الى هذا الاسم كي تعيش
بل انى لا أعيش إلا به لاني لا أستطيع العيش بعيداً عن غوسيت
ولا سبيل الى البقاء معكم الا بكتان أمرى وفي كل حال لقد وجدت
باقراي شيئاً من العراء
ثم نهض فمشى الى آخر الغرفة وطأ قرأى ماريوس ينظر اليه
كيف يعيش فقال له

أنك ترانى أعرج قليلاً فذلك من تأثير القيد
والآن فلنفترض يا سيدى انى نقيت على ما كنت عليه وانى
أقمت بيسكم وجالستكم على المائدة وذهبت معكم الى المنزهات
فبيما أنا متأبط ذراع غوسيت اذا بالبوليس يضع يده على كتفى

ويقول يا حان فاجان انى اقبض عليك باسم الشرع فماذا تقول
وسكت ماريوس ومضى جان في حديثه فقال
ارأيت يا سيدى انى مصيب عما تحت لك به فمش سميذاً مع
امراتك ولا تبال بذلك المنكود الذي شق صدره كي يخرج منه
هذا السر الرهيب بل قل أنه رجل شقى يستحق رحمة الله واشفاق
الناس

وعند ذلك مد ماريوس يده فصاحه وهو يقول
أن لحدى كثيراً من الاصدقاء وسيبال لك العفو
قال لا فائدة من ذلك فان رجال البوليس يعتقدون انى ميت
والاموات لا يراقبهم
ولعد وقد قلت لك انى جعلت نفسى قاصياً على نفسي فلا
التمس العفو من أحد

وعند ذلك فتح الباب رفق ودخلت منه غوسيتة فدنبت
منهما وقالت لهما وهى تضحك
أراهن أدكما تتكلمان فى السياسة أليس الأجل بكما أن
تتحدثا معى

فارتعش حان وتمم ماريوس كلمات لا تفهم كأنهما جانيان
يوغتا بالجباية

فجعلت غوسيت تنظر الى كل منهما نظرة الفاحص ثم قالت
إنى سمعت قبل دخولى صوت أبى يقول الضمير .. الواجب ..

وكل هذا سياسة أما رأيت يا ماريوس ما لقينا من السياسة
قال انك واهمة يا غوسيت فانا نبحث في أشغال
— ما هي هذه الاشغال

— اتنا نبحث عن محل أمين نضع فيه أموالك
— إذن سأقيم معكما الى أن يحين وقت الغداء وما هو بعيد
فتكلما بما شئنا فلا أزعجكما بشيء

فأخذ ماريوس يدها وقال لها املء الخنو
أتنا نهم بأشغال خطيرة يا غوسيت فاذهبي أيتها الحبيبة فانا
سوا فيك بعد هذبة فان حديثنا يصحرك
— ما أجمل رباط رقبتك يا ماريوس . . كلا أيها الحبيب
ان حديثكما لا يصبرني على الاطلاق

— ثقي انك تصجرين
— كيف اصبر وأنت تتكلم وأنا أسمع صوتك أن من يحب
لا يبالى بفهم حديث من يحبه بل يكتبي بسمع صوته وهذا كل
ما أتمناه اذن سأبقى

— هذا محال يا غوسيت

— محال

— نعم وسأوافيك بعد ربع ساعة
— كيف أقيم وحدي وأنت لست معي أرجوك يا ماريوس
أن تدعني أجلس معكما

— أقسم لك أنه لا بد أن نكون وحدنا
— وأنا أقسم إنى إذا كنت معكما لا أزيد عليكما أحداً
ثم التفتت الى جان وقالت له
كيف ذلك الا تأخذ بناصري بعد ما سمعته . . ما بال وجهك
مصفراً ألا تزال تشكو من يدك
— كلا فانها شفيت أتم الشفاء
— أملك أرقى في هذه الليلة
— كلا

— إذن ما بالك لا تعاقى وأنا هنا منذ ربع ساعة
فقبل جبينها فقالت له
إنقسم
فإنقسم بالكروه عنه فقالت له
والآن دافع عى أمام زوجى فانى أريد البقاء معكما
فقال لها ماريوس
غوسيت . لقد قلت لك أن هذا محال
قالت لا شك أنك ظالم كأنى وسأشكوكما الى حدك فهو ينتقم
لى منكما وها أنا ذاهبة
فصبر ماريوس الى أن خرجت من الغرفة فقال
مسكينة ماذا يكون منها اذا عرفت
فارتعد جان فالحان ارتعاداً عنيفاً ونظر اليه نظرة القانطين

فقال كيف ذلك أتريد اخيارها بما أخبرتك به . . . أرجوك يا
سيدي بل أتوسل اليك أن لا تفعل إلا يكفي أن تعرف وحدك
حقيقة أمري . . . ابي أبوح بأمرى لجميع الناس ما حلاها . . . رباه إني
أؤثر الف موت على أن تعلم اني قضيت نصف حياتي في السجون
قال اطمئن فلا أبوح بسرّك لاحد . والآن فلا بد لي أن أقول
لك كلمة بشأن هذه الامانة التي استودعتها وحفظتها بملء الشرف
وهي أن صملك هذا يقتضي المكافأة فعين المبلغ الذي تريد بدفع
لك في الحال ولا تخش أن يكون حسيباً فسل ما تشاء
فأجاب بملء الرفق قائلاً

أشكرك فلا حاجة بي الى المال ولكني أريد أن التمس منك
قضاء أمر واحد
— ما هو —

فتردد هنيهة ثم قال
انك الآن عرفت كل أمري وقد أصبحت السيد المطلق فهل
تري أنه لا يجب أن أرى غوسيت بعد الآن
فأجاب ببرود قائلاً
أظن أن ذلك أوفق
قال إذن لن أراها
ثم مشى الى الباب ففتحه ووقف هنيهة فأقبل وحاد الى ماريوس
فقال بملء السكينة

إذا أذنت أن أراها كنت لك من الشاكرين وثق أنه لو خطر
لي أنى لن أراها لما بحث لك بشيء ولرحلت من البلد
ولكنى لا أستطيع مراقبها ولذلك بحث لك بأمرى كما تقضى
على به الواجبات على رجاء أن ذلك لا يمنعنى أن أراها
واصغ الى ياسيدى فاني أرببها منذ عشرة أعوام لم أفارقها
لحظة فأقنا في غرفة حقيرة ثم في الدير ثم في منزل قرب لكسمبرج
حيث كنت تراها فكنت كأيها وكانت كابنتى
ولا أعلم إذا كنت تفهم كل ما يحول بقلبي فكيف أطيق
الآن أن لا أراها ولا أكلها فأئذن لى أن آتى من حين الى حين
ومتى أتيت فلا أقم طويلا
وانى أدخل من باب الخدم بل أدخل من الباب الكبير كي
لا أستلفت الانظار
وكن في مكاني ياسيدى تعلم أن هذا الفراق لا يطاق على أنى
أتى في المساء حين يخيم الظلام
قال لك أن نحضر في كل ليلة فان غوسيت تنتظرك
فشكره جان فالخان وانصرف فشيعة ماريوس الى الباب أى
أن العجم شيع اليأس وافترقا

كان ماريوس على أشد حالة من الاضطراب فقد كان يرى أن
هذا الرجل محاط بالأسرار ولكن لم يخطر له في بال أن يكون

من المجرمين المحكوم عليهم بالسجن المؤبد
وقد فوجئ به هذا الخبر في أحسن أيام نعيمه كما يفاجئون عقر بآفي
عش حمالة

وقد حمل يناحى نفسه ويراجع أعماله فوجد أنه هو المخطئ
إذ كان يجب عليه أن يفحص ويتروى ويبحث عن ماضى هذا الرجل
قبل أن يقدم على الزوج بينته

وقد ذكره أمره مع تنارديه وعصابتة حين كادوا له وحين
فاحأهم البوليس فانه اغتتم فرصة انشغال البوليس بالقبض على
الصوص وهرب بدلا من أن يبتى ويشكو أمره مما يدل على أنه
كان يخاف أن يراه رجال البوليس ويعرفوه

وقد رأى ماريوس كل ذلك فلما دالم ينتبه . . أن حب غوسيت
أعماه عن كل ذلك فلم يفتكر إلا لغوسيت

ولمدا له لو وقف على الحقيقة قل أن يتزوج أ كان ذلك
يمنه من الزواج بغوسيت وقد تمشى حبها في روجه كما يتمشى
الدم في المفاصل ...

كلا ... إذن فلما دأ يلوم نفسه وعلام الأُسف . . أن الحب
قد عصت عيبه وقاده ولكنه لم يقده الى الخفرة بل الى طريق النعيم
ونعم انه ذعر منه حين علم أنه لص محكوم ولكن هذا الدهر
كان يمزج بالشفقة والاعجاب فان هذا اللص قد أرحع ثروة عظيمة
لو أراد أن يطعم فيها لما طالبه بها أحد

ثم أنه باح بسرّه وهو سر هائل دون أن يكون مضطراً الى شيء من ذلك بحيث عرض نفسه بأقراره لأشد الاخطار فقد كان متنكراً باسم يستطيع أن يعيش به اهلاً عيش فأنى ولماذا ؟
لخوفه من تقريع الضمير

فكيف يكون لصاً وهو يروح ستمائة ألف فرنك أو تمن عليها وكيف يكون مجرمًا وهو يؤثر الاعداء على توبيخ الضمير
إذن لابد أن يكون لهذا الرجل سر عظيم يخفيه أو يكون
لا شك من عظماء الرجال

ومع ذلك فقد كان يحول في خاطره أمراً كان قد خفي عنه
سببها

أحدهما امتناعه عن الشكوى حين دأبه تارديه وعصائه
وهربه وقد عرف الآن السبب فانه كان يخشى أن يعرفه المفتش
فيعيده الى السجن والثاني أنه ذكر الآن انه رأى هذا الرجل
في المتاريس وانه لم يكن يقتل احداً فأى شأن كان له هناك
وعند ذلك ذكر حافرت اذ كان قد رأى جان فالجان حين
خرج بجافرت وهو مكتوف اليدين مقيد الرحلين الى ما وراء
المتاريس وقتله فهو إذن لم يذهب الى المتاريس الا لينتقم من
جافرت اذ كان يعلم انه أسير فيها

وبعد فكيف اتفق انه عاش مع غوسيت هذا الزمن الطويل
وكيف اتفق ان الاقدار القتها وهي طفلة اليه بل كيف اتفق أن
أو تمن على مثل هذا المبلغ العظيم

كل ذلك يدل على ان هذا الرجل تكتنفه الاسرار وربما
كانت أسرارها هائلة فليس من الحكمة أن يكون له به اتصال
وقد ندم مما أظهره في مقابلته من الرفق بل من الضعف فان
مثل هذا الرجل لا يجب أن يدخل الى منزله
ولكنه وعده أن يكتفم أمره عن غوسيت فكيف يعطل
امتناعه عن قبوله في منزله اذا كتم عنه السبب
ثم انه أذن له أن يأتي كل ليلة فكيف يحث بوعده
ولكنه في حنب ذلك كان يرى له كثيراً من الحسات فلم
يعلم كيف يوفق بين التقيضين
وعلى الجملة فقد كان في أشد حالات الاضطراب وقد سأل
غوسيت أسئلة مختلفة عن حداتها وعن جان فالحان دون أن
يدعها تشمر لشيء من قصده فكانت تحببه عن أجوبة ترحح
اعتقاده انه من أهل الخير ولكنه بقي موجساً خيفة من تلك
الاسرار الى لم يوفق الى كشف دقائقها

وفي اليوم التالي حين هبط الظلام ذهب جان فالحان الى
منزل البارون ماريوس
وعند ما طرق الباب ودخل استقبلته الخادمة في الردهة وقالت
له قبل أن يكلمها
لقد أمرني سيدي البارون ان أسألك اذا كنت تريد أن
تصعد الى فوق أو تبقى هنا

قال بل ابقى هنا
ففتحت باب القاعة وقالت له
تفصل ياسيدى بالدخول وأنا ذاهبة لاخبار الباروتة بقدمك
وانك تنتظرها
وكانت هذه القاعة التي دخل اليها حان فالجان باردة رطبة
وكانوا يستملونها من قبل لخزن المؤونة
وهي تشرف على الشارع ولا يوجد فيها غير نافذة واحدة لها
قضبان من الحديد وزجاج أحمر بحيث ينفذ اليها النور في راحة
النهار فلا ينيرها الا بمقدار ما يبر ضوء القمر أو نور القمر
وكان الفبار كثيراً فيها والعنكبوت مخيم عليها وكل ما كان
فيها من الزينة قطعة سوداء من القماش المصنوع تزينت بالذهب الميت
كانت على زجاج النافذة
وكان أثاثها مؤلفاً من كثير من القزاز الفارغة موضوعة في
أحدى رواياها وفيها مستوقد من الخشب مصبوغ بدهان اسود
وقد اوقدت فيه النار مما يدل على انهم كانوا يتوقعون حواب
جان فالجان وهو ايثاره اللقاء تحت
وكان فيها كرسيان وصفا محانبي المستوقد ومعهما قطعة
رثة تشبه السجادة
ولم يكن فيها من السور غير لهيب النار في المسود والشفق
الذي كان يبعث نوره من النافذة

وكان حان فالجان شديد التعب فانه منذ أيام لم يأكل ولم ينام
جلس على الكرسي وعادت الخادمة تحمل شمعة فانارتها ووضعها
على المستوقد وانصرفت فكان جان جالسا ورأسه بين يديه فلم ينتبه
لدخولها ولا للصور الذي جاءت به

وبعد هنيهة نهض واقفاً فان غوسيت كانت وراءه وهو لم
يرها ولكنه شعر بقدميها فالتفت وجعل يتمعن في وجهها الجميل
ولكنه لم يكن ينظر بتعديقه الى جمالها بل الى نفسها
أما غوسيت فانها قالت له

لقد كنت أعلم يا أبي أنك لا تهتم لسفاسف الامور ولكني
لم أكن أتوقع منك مثل هذا فقد قال لي ماريوس أنك أنت الذي
أردت أن أستقبلك هنا
قال نعم أنا الذي أردت

قالت اني كنت أتوقع هذا الجواب أيضاً ولكن لنبدأ بالبداية
يا أبي مهلم وعانقني

وقد بسطت له خدها فليث في مكانه فقالت
أنك لم تقبلني فكان ذلك بمثابة صدمة ولكني أغفر لك فقد
قال السيد المسيح من ضربك على خدك الايمن فادر له لايسر
وها أنا أدبر لك خدي الايسر

فلم يتحرك من موضعه كأن رجله قد التصقتا في البلاط
فقالت له وقد عجبت من جموده

ما هذا الذي أراه و عماداً أسأت اليك . أنك أسأت الى الآن
وعقائك أن تتعشى معاً
— لقد تمشيت

— كلا وسأشكوك الى حد ماريوس فهذا الذي يعرف ان
ان يعاقب المدنيين

والآن هلم معي ولنصعد الى القاعة الكبرى
— هذا محال

فاشدد انذهال غوسيت ورجعت عن اصدار الاوامر الى
الاسئلة فقالت له

ولكن لماذا تؤثر أن أستقبلك في هذه الغرفة وهي تشبه
القبو كما ترى على أن تصعد معي الى القاعة

قال انك تعلمين ياسيديتي البارونة بأني أحب الأماكن المظلمة
فدقت غوسيت يداً بيد وقالت

سيدتي . . أتعويني سيدتي البارونة . . رباه . . ماذا طراً
عليك وماذا تعمي

— لا أعني شيئاً ولكنك أنت التي أردت أن تكوني مدام
ماريوس فصرت

— ولكن هذا القالب يدعو به الناس الغرباء لا أبي

— لا تدعوني أباك

— كيف ذلك

— لك أن تدعوني المسيو جان إذا أردت

— ربا ما هذا الذي اسمعه . أنت لم تعد أبى وأما لم أعد
غوسيت وتريد أن أدعوك موسيوجان فماذا حدث . . انظر الي . .
أرى وجهك . . ثم أنك لا تريد أن تكون معنا وتأبى الإقامة في
الغرفة التي عيبتها لك فبماذا أسأت اليك ومادا جرى
— لا شيء

— إذن ماذا

— كل شيء لا يزال على حاله

— لماذا غيرت اسمك

— ألم تغيري أنت اسمك

ثم ابتسم وقال وإذا كنت أصبحت تدعى البارونة بوتسمرسي
فكيف تذكرين على أن أدعى مسيو حان

— انى لا أفهم شيئاً مما تقول سوى أنك تحزني كثيراً عنا هجك
ولا يحق لك أن تحزني فما عودتي منك هذا

فلم يجبها شيء

فأخذت يده وجعلت تمر بها على وجهها وعقبها ودقنها اشارة
الى حنوها وتقول له كن كريماً على ما أعهد فيك يا أبى وأقم
بيننا ولنعد الى منزهاتنا السابقة فان العصافير تغرد هنا كما تغرد

هناك واترك شارع الرجل المسلح وابق أبى كما كنت

فأفلت منها رفق وقال لها

لم تمودي محتاجة الى أب فقد صار لك زوج

— رباه ماذا أسمع . . بالله قل ماذا طراً عليك
— ماعساه يطرأ على ولكنى لا أستطيع الإقامة معكم لاني
أحب العزلة كما تعلمين

— ولكن البرد شديد في هذه الغرفة وبعد فاني لا أطيق أن
أدعوك موسيو جان وان تدعوني سيدتي البارونه . نعم أن هذا
لا يطاق وقد بدأت تمذيبي منذ أمس فانك لم تدافع عني امام
ماريوس حين أبي على أن أكون معكما . . وقد أعددت لك غرفة
وبالغت جهدي في تنظيفها فابيت أن تقيم فيها وأوصيت الطباخ
أن يعد الحار المأكل واشهر الطعام فرفضت أن تذوق طعامي
وفوق كل ذلك فارأيي فوشلفان لا يريد أن أدعوه الا بمسيو جان
ولا أستقبله إلا في دو نبت العشب فوق جدرانها ورصفت فيه
القناني الفارغة وليس فيه من المتائر غير نسج المنكوت فماذا
أسأت اليك ولماذا تمدني هذا المعذيب وأنت تحبني كما تقول ألا
تريد أن أكون سعيدة

فاصفر وجه جان ولث هبة مطرقاً لا يحجب ثم نظر اليها
بملء الحمو وقال لها بصوت يشبه الهمس

أن كل مضاي في هذه الحياة ان اراك سعيدة ياغوسيت

فاشرق وجهها سور البشر وقالت

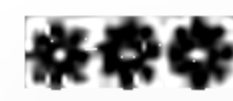
لمد حاد الي مباداتي نفوسيت والحمد لله

اما هو فانه احد قمعته ونهض فاحملت وقالت له

الي اين

قال انى ذاهب ياسيدتى البارونة فعودى الى سيدى البارون
فانه ينتظرك

وعند ما وصل الى الباب التفت وقال لها
لقد دعوتك غوسيت فقولى لزوجك انى لن أعود الى هذا
الخطأ واغفرى لى
ثم تركها وهى حائرة منذهلة مما سمعته وانصرف



وفى اليوم التالى عاد بنمس الساعة التى جاء فيها أمس فلم تسأله
غوسيت شيئاً ولم تنذهل ولم تظهر الشكوى من رد القىو ولم
تدعه بالموسيو جان ولا بانى ولم تعترض حين كان يدعوها بارونة
ولكنها كانت شديدة الكآبة

وقد يكون ماريوس حادتها بشأنه حديثاً لم يحتاج فيه الى
التصریح فان المرأة تدعى لمن تحبه فى كل ما يريد
ولكنها كانت قد أمرت باصلاح ذلك القىو فسطفوه واخرجوا
منه القيانى الفارغة

وحمل جان يانى كل يوم فى الوقت المعين فلم يتفق له مرة
أن يرى ماريوس لان ماريوس كان يعرف أوقات حصوره فيغيب
عن المهرل

وقد تعود أهل المنزل عليه فكان جد ماريوس يقول انه
رجل كريم القاب ولكمه شاة الطماع فقد عرفه فسله المركيز

دى كنبابل فانه اشترى قصرأ من أحمم القصور فترك قاعاته الرحبة
للخدم واقام فى أحد مستودعاته

ولم يكن أحد يعرف دحائل حان غير ماريوس وكيف تخطر
لهم أسباب هذا المهج فى مال فانهم كانوا يرون اضطرابه دون أن
أن يعرفو السبب فـ كان مثله مثل تلك البحيرات العظيمة فى الهند
ينظر الرأى الى مياهها فيراها مصطربة دون أن يكون هناك رياح
تثيرها ولكه لو أحدث فى أنفاق تلك المياه لرأى الشعاب تتلاعب
تحت سطحها فتخرجها هذا الهياج

وكذلك حان فالخان فقد كان اليأس فى قلبه شبه ذلك الثعبان
المائى يهش قلبه من الداخل فتبدو ظواهر الألم على وجهه دون
أن يعلم أحد سبب هذا الألم

ومضى على ذلك نصمة أسابيع تغيرت فى حلالها حياة غوسيت
تماما بسبب ما تقتضيه الحالة الزوجية من ادارة المنزل وتديره والعناية
بماريوس فقد كان ذلك كل ما يلذها ولا تجد نعيمًا يعادل نعيم قربه
لا سيما حين كانت تخرج وإياه متأبطة ذراعه لا تحاذر رقيماً ولا
تصطبر الى الاحتناء تحت الاشجار حذراً من ان تراها العيون كما كانت
تفعل فى الحديقة من قبل

وكانت أسباب الراحة متوفرة فى ذلك المنزل فان الحد كان
فى أتم طافية والحالة لينة الطماع وماريوس يشغل فى الحمام وغان
فالجان، يأتي فى كل يوم

وقد تعودت أن تدعوه موسيو جان وان تسمع منه سيدتي
البارونة وذهبت كآبتها

ومع ذلك فقد كانت تحبه أصدق حب وهو يشعر أنها تحبه
وقد قالت له يوماً

أنت كنت أبى فلم تعد أبى وكنت عمي فلم تعد عمي وكنت
شوقلشان فصرت المسيو جان فن أنت إذن ولولم أكر وثقة من
كرم قلبك خلعت منك

فلم يحبها بشيء ولم تلج عليه بالسؤال
وكان لا يرال مقبلاً في شارع الرجل المساح إذ لم يكن يستطيع
مغادرة المنزل الذي كانت تقيم فيه غوسيت

وكان في البدء لا يطيل زيارته ولا يقيم غير بصع دقائق ثم
جعل يطيلها بالتدريج فكارياً في قبل الاوان المعتاد ويذهب بعده
واتفق يوماً أن غوسيت غلظت ودعته بابها فأتقت عيانه
ببارق من السرور وأشرق وجهه بعد التحم

ولكنه لم يتمالك عن أن يقول لها ادعني حان
فضحككت وقالت لا تؤاخذني فقد أخطأت يا موسيو جان
فقال حسناً

ثم أدار وجهه كي لا ترى الدمعة التي سقطت من عينه

وكانت هذه آخر غلطة من غوسيت ومن ذلك اليوم عادت
معه الى السكنة فلم تعد تعاقبه ولا تدعوه بابها

وانما كان ذلك بخطائه فهو الذى حرم نفسه كل ذلك النعيم
وبعد ان فقد غوسيت في يوم واحد جملة أصبح اليوم يفقدها تفصيلا
على أنه كان يقع أن يراها ساعة في كل يوم فان حياته بمجملتها
كانت منوطة بتلك الساعة فكان يجلس بجانبها وينظر اليها دون
ان يتكلم أو أنه يتحدثها عن أيام حداثتها حين كانت في الدير
ففي يوم من أيام الربيع الزاهرة قال ماريوس لغوسيت
ألا تذهبن أيتها الحبيبة الى حديقتهن في شارع بلميت فقد
طالما منينا النفس بزيارة هذه الحديقة التي كانت مهد غرامنا
قالت كما تشاء فهل بنا

وكان ذلك المنزل القديم لا يزال لجان فالجان فذهبا اليه
عند العصر وأقاما في تلك الحديقة على نفس ذلك المقعد يتناجيان
ويذكر ان تلك الليالي التي كانا ينسيان فيها الوجود
وقد طالت اقامتهما هناك فلما جاء جان فالجان لزيارة غوسيت
حسب العادة قالت له الخادمة

أنها لم تعد ياسيدى بعد فتفصل باسظارها
فدخل الى القمو وأقام ساعة ينتظرها دون ان تعود فعاد الى
منزله مطرق الرأس دافع العين
أما غوسيت فقد سكوت من سرووها بزيارة هذه الحديقة
بحيث نسيت في اليوم التالي أنها لم تر جان فالجان ولم يحدثه حين
جاءها الا عن هذه الحديقة

فسألتها قائلاً كيف ذهبتما اليها

قالت ماشيين

قال وكيف عدتما

قالت لقد شعرت بالتعب فرجعنا في مركبة

وكان جان قال جان يرى منذ حين أن الزوجين يعيشان عيشة

اقتصاد لا تطبقان على ثروتهما ولا سببا ماريوس فقد كان يبالم

في اقتصاده الى حد البخل وهو لم يكن من البخلاء

ورأى جان أن الفرصة سانحة فقال لها

لماذا لا يكون لك مركبة خاصة فانها لا تكلفك أكثر من

خمسة مائة فرنك في الشهر وأنت غنية

قالت لا أعلم

قال وان خادمته توسين قد سافرت فلماذا لم تستبدلها

— ان خادمته نيقوليت تكفي

— ولكن يجب أن يكون لك خادمة لغرفتك

— أليس عدى ماريوس

— بل يجب أن يكون لك منزل خاص ومركبة خاصة ولوج

خاص في المراسح فلماذا لا تستفيدين من ثروتك

فلم تجبه بشيء

وكان جان قال جان يحتمل أحيانا على إطالة زيارته بالثناء على

ماريوس فيحدثها عن جماله ونبله وبسالته وذكائه وصروته وكرم

أخلاقه فتظهر عليها علام السرور ويفرح لفرحها فاذا أراد

الانصراف ألحت عليه بالبقاء فكان ذلك حير بلسم لجرحه

وكانت أحياناً تبقى معه إلى أن يدعوها إلى العشاء
وقد عاد جان فالجان في تلك الليلة وهو مطرق يفكر في
سبب هذا الاقتصاد فلا يهتدى إليه
وفي اليوم التالي عاد إلى غوسيت فوجد أن المستوقد لا نار
فيه فعجب في البدء ثم قال في نفسه
أنا اليوم في نيسان (أبريل) وقد خف البرد فلم تعد حاجة إلى النار
فلما دخلت غوسيت صاحبت قائلة رباه ما هذا البرد
قال لا أشعر بما تشعرين
قالت إذن أنت الذي أمرت الخادمة أن لا تشعل النار
قال نعم فقد أوشكنا بدخول في شهر (مايو) أيار
قالت أن العادة أن يوقدوا النار إلى شهر (يونيو) حزيران أما
في هذا القصر فيجب أن يكون وقودها متصلاً مدى العام
قال لقد حسبت أن لا فائدة من النار
قالت وهذا من جملة شذوذك
وفي اليوم التالي وجد النار في المستوقد ولكنه وجد
الكرسيين عند الباب
فلم يعلم السبب في تقلبهما
غير أن وعود النار شجعه على إطالة ريارته فلما أراد الرحيل
استوقفته وقالت له
لقد قال لي ماريوس أمس أموراً غريبة
— ما هي

— لقد قال لي ان ايرادنا ياغوسيت يبلغ ثلاثين الف فرنك
في العام مئاسبعة وعشرين الفا ايراد أموالك والثلاثة آلاف
الباقية عينها لي جدي فهل تريدن أن لا ننفق غير ثلاثة آلاف
فرنك في العام فيقتصر على ايرادي

قلت أني أعيش من غير مال أيضاً بشرط أن أكون معك
ثم سألته لماذا تقول لي هذا القول

قال لا شيء بل أردت أن أعلم
فلم يحهاحان شيء وكانت تتوقع أن يكشف لها هذه الغوامض
ثم تركها وعاد الى مرله

وقد بلغ من تشتت باله أنه تاه عن باب مرله فبدلاً من أن
يدخل اليه دخل الى منزل جاره فلم ينته الى خطأه إلا بعد أن
صعد كل السلم

وكان الذي دماه الى هذا الدهول ثقته أن ماريوس بات
مشككا بمورد ثروة غوسيت أو انه بات يعتقد أن هذا المال من
جان فالجان ومن أين يأتي به ذلك اللص إلا من السرفة فأنت وأني
أن ينفق منه شيئاً وآثر لنبل قلبه أن يعيش مع زوجته عيش
الفقراء على أن ينفق مالا يرتاب في حقيقة مورده

وفي اليوم التالي اهتر اهتراراً عنيفاً حين دخل الى القبول ينتظر
غوسيت فانه لم يجد الكرسي فيه

فلما دخلت غوسيت صاحت قائلة

ماذا أرى ألا يوجد كرسي هنا فأين ذهبوا بالكرسيين

قال لا يوجد كراسي

— ما معنى هذه الالغاز

— انا قلت للخادمة تأخذها

— لماذا

— لاني لا أقيم اليوم غير لضع دقائق

— وإذا أقمت لضع دقائق أقيم واقفاً

— لقد ظننت أن الخادمة تحتاج اليهما لاحدى القاعات

— لماذا

— لانه يوجد عندكم كثير من الناس هذه الليلة

— كلا لا يوجد عدداً أحد

فلم يزد كلمة على ما قاله وهزت غوسيت كتفها فقالت

أمس أطفأت النار واليوم أخرجت الكرسيين فما هذا

— استودعك الله

فلم يذكر اسمها ولم يحسر أن يقول لها استودعك الله أيتهما

البارونة والنصرف وهو يحسب أن الارض تميدبه إذ فهم كل شيء

وفي اليوم التالي لم يحصر حسب عادته فانقبض صدر غوسيت

ولكن ماريوس لم يابث أن عاجلها وشماها بقبلة من هذا الانقراض

وفي اليوم الذي تلاه لم يذهب اليها أيضاً فاضطربت غوسيت

وأرسلت في الصباح خادمتها الى منزله تسأل عنه إذا كان مريضاً

فمادت اليها بحوايه وهو أنه ليس مريضاً ولكنه مشغل بشؤون

منعته عن زيارتها وأنه سيأتي اليها حين تسنح الفرصة

وفوق ذلك فانه سيدافر حسب عادته التي تعرفها ورجاها في
في الختام ان لا تقلق عليه وان لا تهتم به

في أواخر الربيع وأوائل الصيف كان سكان شارع كالفير برون
شيخاً حسن الملابس يلبس السواد يخرج كل ليلة في ساعة معينة
من شارع الرجل المسلح فينتهي الى شارع كالفير

وكانوا يرون أنه كلما توغل في ذلك الشارع تبدو على وجهه
علام السرور فيصل إلى زاوية فيسير ببطيء فافترأ إلى نقطة معينة
وهو يتمم كما يظهر من حركة شفتيه

وكان يظهر أنه يخاف أن يصل الى تلك النقطة على فرط شوقه الى
بلوغها حتى إذا لم يعد بينه وبين تلك النقطة غير بضعة منازل يبطيء
في مشيه الى أن يصل

وهناك يقف مضطرباً وينظر الى نوافذ آخر منزل في ذلك
الشارع ثم تظهر دمة في طرف عينه وتكبر حتى تسقط على وجهه
ويقف هناك بضع دقائق لا يتحرك كأنه صنم ثم يعود بنفس
الطريق التي جاء منها

وبعد حين جعل يقف نفس تلك الوقفة في وسط الشارع ثم
جاء مرة فوقف قبل أن يصل فبرز رأسه ورجع عائداً دون أن
يتقدم ثم انقطع فجأة فكان مثله مثل الساعة يفلون عن تدويرها
فتبطيء حركة آلاتها بالتدريج الى أن تقف

وكان كل يوم يخرج من منزله في ساعة معينة لا يتجاوزها

وكل يوم يسلك نفس الطريق ولكنه لا يتم سيره كأنه كان يقول
في نفسه أية فائدة من ذلك
ولكنه أصبح صاحب الوجه دابل العينين ساهى النظرات
وقد نصب الدمع من عينيه وكثر التجعيد في وجهه ورق جسمه
وكان يسير أحياناً تحت الأمطار وشمسيته تحت إبطه لا يفتحها
فيراها الناس في الشارع فيقول أنه محزون ويراها القلمان فيسيرون
في أثره وهم يضحكون

كثيرون من الناس يشغلهم نعيم الحياة عن الواجبات وهذا
كان شأن ماريوس
غير أنه لا يحب أن تتسرع في تعنيفه فقد تقدم لما القول
أنه لم يكن يحسر على أن يعال فوشلفان شيئاً قبل الزواج
ولما تزوج بات يخاف أن يسأل جان فالحان
وقد ندم لأنه أدن له بالجيء إلى منزله في كل يوم وعزم على
إبعاده بالتدريج إلى أن يمحو أثره من مخيلة غوسيت
وكان يحول بينه وبينها بحيث لا يدعها تنبته لوثوقه أنه لا
يمضي بها زمن قليل حتى تنساه
أن ماريوس كان يعتقد أن ما يفعله حق وأنه لا بد من إبعاد جان
فالحان برفق لا يتحمله ضعف للأسباب التي بسطناها ولأسباب
أخرى سوف تظهر

وقد اتفق له وهو يرافع في إحدى القصايا أنه عرف موظفاً

قد بئساً في مصرف لافيت فعرف منه اتفاقاً أموراً لم يكن يستطيع
البحث عنه لتقيده بما وعد به جان فالجان من كتمان سره فبات
يعتقد أن من أهم واجباته ارجاع الستائة الف فرنك لصاحبها
وفي انتظار ذلك طامع امتنع عن أن يتفق شيئاً من هذا المال
أما غوسيت فانها لم تكن تعلم شيئاً من كل هذا وكان ماريوس
قد سحرها فلم تكن تعترضه في شيء مما يريد

وكانت تشعر أن ماريوس لا يعطف على المسيو جان فتوافق
على إرادته دون أن تسأله لماذا

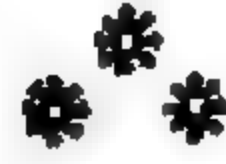
وعلى الجملة فإن تخبئها جان فالجان لم يكن طبيعياً فقد كانت
تجبه حملاً صادقاً ولكلها كانت تحب زوجها أكثر مما تحبه وهذا
الذي رجع كفة الميزان الى حمة ماريوس دون أن تسي ذلك
الرجل الحنون الذي طالما دعت به بأبيها

وكان يتفق أحياناً أنها تذكر جان فالجان أمام ماريوس وهي
متأثرة من انتماده فيطمأنها زوجها ويقول لها لا شك أنه مسافر
فتقول هو ذاك فإن من عادته أن يسافر أكثر الأحيان ولكنه
لم يكن يطيل غيابه الى هذا الحد

وقد أرسلت خادمتها مراراً تسأل عنه في منزله فكان يجيبها
أنه لم يعد بعد

وتوالت الايام فانقطعت عن السؤال عنه واكتفت ماريوس
ولا بد لنا من القول هنا أن غوسيت قد خالت عن باريس
أيضاً بصحة أيام فقد ذهب بها زوجها لزيارة قبر أبيه في فرنون

وقد تمكن ماريوس تدريجاً من حمل غوسيت على نسيان جان
فالجان وهو عقوق ينكره الناس على الابناء ولكم لو تمنعوا
لوجدوا أن هذا العقوق من الطبيعة نفسها . فان الصبي يدفع
بصاحبه الى الفرح والملاذات والحب والشيخوخة تدفع صاحبها
الى النهاية فينظر الفقى الى الامام فلا يرى غير النور ويظهر الشيخ
الى الوراء فلا يرى غير الظلمات



خرج جان فالجان يوماً فجلس على عتبة بابه في ذلك المكان
الذى رآه فيه كافروشليلة حرب المتاريس حين جاء برسالة ماريوس
إلى غوسيت

وقد أقام على تلك المتبة هدية ثم عاد الى منزله فكانت هذه
آخر حركات رقاص ساعه

ولزم الفراش في ذلك اليوم واليوم الذى يليه
وقد جاءته نوبة منزله التى كانت تخدمه طعامه وهو لا يزيد
عن (الكرنف) الملعوف أو السطاط فسظرت الى الصحن على المائدة
هزأت ان الطعام لا يزال فيه فقالت له
ما هذا ألم تأكل أمس

قال نعم

— ولكن الطعام لا يزال على حاله في الصحن

— انظرى الى اريق الماء فانه فارغ

هد يدل على انك شربت ولا يدل على انك أكلت

— ما عمل اذا كنت جائعاً للماء

— تريد أن تقول لك ظمان وانك غير جائع فلا بد أن
تكون محموماً

سأكل غداً

— ولماذا لاتأكل اليوم أجمعت أحداً يقول سأكل غداً فاني
طبخت لك اليوم أنحر الطعام
— أعدك اني سأكله

ولم يكن يرى غير تلك المرأة فانه يوجد في باريس شوارع
لا يمر بها أحد ومنازل لا يزورها أحد فكان حان فالجان مقبلي
ذلك الممرل وذلك الشارع

ومضى على ذلك أسبوع دون أن بخطو خطوة في غرفته
لملامته الفراش فكانت البوابة تقول لزوجها
ان هذا الرجل المسكود يلزم الفراش منذ أسبوع فلا يأكل
شيئاً وكل يوم يزيد هزالا دون أن تزوره بنته فلا شك أن زواجهما
سيكون علة قتله

فكان زوجها يحبها بقوله انه اذا كان غنياً عالجه الاطباء
فشفوه واذا كان فقيراً فلا بد له من الموت
فتقول مسكين انه من أطيب الناس قلداً
وكانا يتحدثان عند الباب فرأت طبيباً مقبلاً في الشارع
بهما فاستوقفته وسألته أن يصعد لمعالجته مريضها
فصعد الطبيب وحضه ولما زل سألته البوابة فأنله

كيف رأيت

قال ان مرضه شديد

— ما هو

— هو كل شيء ولا شيء اذ يظهر ان علته من فقد عزيز

وذلك يقتل أحياناً

— ومادا قال لك

— قال انه على خير حال

— أعود اليه ياسيدي الطيب

— نعم ولكن يجب أن يعود سوياً أيضاً أو كان شفاؤه محالاً

ففي ليلة شعر حان فالجان ان قوته تلاشت حتى انه لم يعد

يستطيع أن يرفع يده وقد صاق نفسه

ولا شك انه كان يفكر بامر خطير فانه بذل جهداً عنيفاً حتى

تمكس من الاستواء في سريره

ثم بذل مثل هذا الجهد أيضاً فخرج من السرير وأخذ يلبس

ثوباً من ملابس العمال لانه كان يؤثر هذا الثوب على سواء لاسيما

وانه لم يكن يريد الخروج من المنزل

وعند ذلك أخرج من خزانته ملابس غوسيت الصغيرة

وفرشها على سريره

وكان النعمدان اللذان أخذهما من الأسقف على المصدة

فأخذ شمعتين من درج فوضعهما فيهما وأنارهما مع ان الشمس لم

تكن قد غربت بعد فان الشموع لا ينيرونها في المارل في رائحة
النهار الا في غرف الاموات

ولم يكن يخطو خطوة في تلك الغرفة حتى يضطر الى الجلوس
فلم يكن ذلك من التعب المألوف الذي ينهك القوى ثم يجدها
بالراحة بل كانت الحياة تسيل قطرة فقطرة دون أن تتجدد

وقد اتفق جلوسه على كرسي امام تلك المرأة التي رأى فيها
رسالة غوسيت منعكسة على الورق النشاف فنظر وجهه الى تلك
المرأة فلم يعرف نفسه ورأى انه قد بلغ مائة عام من العمر مع أن
من رآه قل زواج غوسيت يقول انه لا يتجاوز الخمسين وكان
هذا العام الذي مر به بخمسين

ولم يكن ذلك من تعب وحده وذبول عييه بل من علام
الموت التي كانت ظاهرة في تينك العينين

وقد ارتحى حله وبات لون وجهه يشبه لون التراب وانزلت
شفته السفلى فاصبح كذلك التمثال الذي كان ينقشه القدماء فوق
القبور

ثم أقبل الليل فقام الى منصدة كان عايتها أدوات الكتابة
وقد أثر به نهوضه تأثيراً عظيماً حتى انه أغشى عليه فلما استفاق
شعر بظماً شديداً ولكنه لم يستطع أن يحمل اثناء الماء فانحنى
عليه وشرب

ثم التفت إلى السرير وجعل ينظر إلى ملابس غوسيت ففاحص
في بحار التأملات وهو ينظر إليها

ولعد هنية شعر بارتعاد تتج عن البرد فاسد كوعه إلى
المنضدة التي كان عليها ثممدان الاسقف وأخذ القلم بيده الثانية
فسح حبيته من المرق البارد الذي كان ينصب منه وكتب ما يأتي
« غوسيت اني أباركك وأخبرك في آخر ساعاتي ما أشكل »
« عليك ان روجك أصاب بفهامي انه لا يجب أن أذهب اليكم »
« ولكه على اصابته كان واهما في ظنونه وذلك يقضى عليك »
« أن تحببه عمل حوارحك بعد موتى فلو لم يكن واهما لما فعل »
« شيئاً مما فعل »

« غوسيت انك ستقرأين هذه السطور بعد موتى فتعلمين »
« ان الستائة الف فربك هي لك فاعلمى الآن كيف كسبتها »
« ان الكهرباء البيضاء ترد من روج والكهرباء السوداء »
« ترد من انكلترا واخر الاسود يرد من المايا »
« وان الكهرباء أحف وأغلى ويمكن تقليدها في فرنسا »
« وذلك انه لا بد لصعها من اللك وهذا اللك يصعونه »
« هناك من القطران والدخان فتكلف الليرا أربعة فرنكات »
« أما أنا فقد وفقت الى اكتشاف جليسل وهو مزج الصمغ »
« بالترينتين فلا تكلف الليرا من هذا المرج أكثر من ثلاثين »
« سنتيما وهو يأتي بنفس المائدة فيكون الم ق عظيماً كما ترين »
« وان الاسانيين يشترون كثيراً من هذه الكهرباء . . . »

وهنا توقف عن الكتابة فان القلم سقط من يده ولم يعد
يستطيع أن يخط حرفاً

فوضع رأسه بين يديه وحمل يناحى نفسه فيقول
لقد قضى الامر فلن أراها بعد الآن . . رباه انى لا أسألك
لأن أراها لحظة واسمع صوتها وأمس نوبها ثم أموت . . انى
لا أجد أسهل من الموت ولكى لأحد أشد منه اذا قدر لى أن
لأأراها . . انها تبسم لى . . انها تقول لى كلمة . . فهل يضر ذلك
أحداً . . كلا فقد قضى على أن لأأراها وان أموت وهى بميدة
عنى . . رباه . . رباه ما أصعب هذا الموت
وعند ذلك طرق باب غرفته

في ذلك اليوم ندمه بل فى تلك الليلة نفسها خرج ماريوس من
قاعة الطعام ودخل الى غرفته
وبما هو حالس دخلت اليه الخادمة برسالة فقالت له أن
صاحب هذه الرسالة ينتظر
فاخذ ماريوس الرسالة وشم منها رائحة الدخان وقرأ عنوانها
وهو: الى سيدى البارون بوتمرسى فى منزله
وقد خيل له أنه عرف رائحة هذا الدخان وعرف بها ذلك
الخط أنه خط حوندريت أى تارديه فقد كان اثر رسائله الاربع
التي أضعها بته كما تقدم
فسر بذلك لانه كان يبحث من عهد بعيد عن تارديه فلا

يهتدى اليه إلى أن جاءته رسالته ففضها وقرأ ما يأتي
« يا سيدى البارون »

« لو منحني الله ما منح البارون تبارد من نعمة العقل »
« لكنت الآن مثله من أعضاء الا كاديمي »
« ولكنه لم يمنحني غير اسمه فأنا أدعى بذلك الاسم الذي »
« أرحو أن يكون لي خير شيع اليك »
« على أن كل ما منحني به إلى إنما يكون من قبيل المكافأة »
« فاني واقف على سر يتعلق بشخص يهلك أمره »
« وإني مستعد لاطلاعتك على هذا السر على رجاء أن اتشرف »
« بأفادتك وأسهل لك طرد هذا الشخص من بين أسرتك »
« المحترمة إذ لا يحق له أن يكون بينكم ولأن ينسب إلى سيدتي »
« البارونة فامها من خير الاسرات »
« واني في طاعة الانتظار انتظر أمر سيدى البارون فتفضل »
« بقبول احترامي »

« تبارد »

ولم يكن هذا التوقيع مختلفا ولكنه كان مختصراً فكان
ذلك مع الخط أحل برهان على أن صاحب هذه الرسالة إنما هو
تبارديه بعينه الذي طالما بحث عنه ماربوس

وقد كان تأثيره عظيماً من هذا الاتفاق لظهور هذا الرجل الذي
انتقدناه فلم يبق عليه إلا أن يظهر بذلك الرجل الذي انتقدناه من
المتاريس كي يتم هواؤه

وقد فتح درجاً في المضرة التي كان جالساً وراءها فاخذ منه
بضع أوراق مالية وصمها في جيبه ثم فرغ الجرس فجاءت الخادمة
فقال لها

ادخلي هذا الرجل

وبعد هدية دخل الرجل وقبضته في يده مكان اندهاش
ماريوس عظيماً لانه لم يعرف هذا الرجل الذي كان يتوهم من قبل
أنه نفس تمارديه

أما الرجل فقد كان شيخاً كبير الانف يصل رباط رقبته
الى ذقه وعلى عينيه نظارتان ورقاوان وشعره منبسط على حبهته
إلى الحاجبين كذلك الشعر المستعار الذي يلبسه سواق مركبات
أكابر الانكليز

وكان ذلك الشعر أبيض وهو يلبس ثوباً اسود ويده قبعة
قديمة وله الحناء في ظهره كان يريد ظهوراً عند التحية حتى يشبه
الحلبة

وأول ما كان يستلفت الانظار الى هذا الرجل أن الثياب
التي كان يلبسها لم تكن مفصلة له

وهنا نبسط شيئاً من هذا القليل فنقول

أنه كان يوجد في باريس في ذلك العهد رجل عجوز في شارع
بوتربلي قرب الثكنه وهو يهودي كانت مهنته تغيير الازياء
فيجعل اللص شريفاً

أي أنه كان يعير اللصوص وغيرهم من الاشقياء كل ما يحتاجون

إليه من الملابس للتذكر فيبقى الثوب عند مستأجره يوماً أو يومين
ولا يقبض أجرته غير فرنك واحد
وكان يدعى مغير الأرياء فان اللصوص لم يكونوا يعرفون
إسمه فاصطلحوا على تلقيبه بهذا اللقب

وكان يوجد عنده من جميع أنواع الأزياء على اختلافها من
ثوب القاضي إلى ثوب الكاهن إلى الصراف فالجندى فالضابط
فالكاتب بحيث كان السبب الأكبر في تسهيل مهمات اللصوص
في باريس

وكان من شاء أن يتذكر يأتي إليه فيدفع الفرنك مقدماً ثم
يدخل إلى المخزن فيختار الثوب الذي يحتاج إليه وعند خروجه
يكتب اسمه في دفتر كبير ونوع الثوب الذي تنكر به وتاريخ أخذه
وينصرف

وفي اليوم التالي يرجع إليه الثوب ويمحو اسمه من السجل
ولم يكن يجسر أحد على سرقة لانه كان يعرف جميع اللصوص
وفوق ذلك فان كثرة توقيعه في الدفتر تعد برهاناً على جريمة لا
يوافقه أن يظهرها اليهودي للبوليس

وكان يسدر أن يوافق ثوب من هذه الملابس حسب لابسها فان
هذا الشيخ حين خاطها فصلها على الاجسام المعتدلة فلاتوافق البدن
ولا الهزيل ولا الطويل ولا القصير وعلى من يلبسها أن يتدبر
بها بما يراه

وكان قد وضع بياناً لما عنده من الملابس في دفتر ضخم ولكل

ثوب نمرقة خاصة به فيأخذ الداخل الدفتر ويقرأ فيه أشكال الملابس
فاذا وافق شكل نظر الى نمرته ودخل الى المخزن فطلب تلك النمرقة
وهذا مثال من ذلك الجدول

« نمرقة ٢٠ : سترة سوداء من الجوخ الاسود من نوع الرذنحوت
بنطلون من الكتان الاسود . صدره من الحرير . حذاء . ثياب
داخلية بيضاء . شعر مستعار مجعد . نظارات زرقاء انبوبتان من
الريش ضمن غلاف من القطن لتكبير الانف »

ولم تكن هذه الملابس تامة متساسة أو حالية من العيب فان
بعضها كان مرقعاً من الكوع وبعضها مقطوع الاررار الى غير
ذلك من العيوب فكان على مستأجرها أن يتدبر في طريقة اخفائها
هذاما كان يوجد في مخزن اليهودي الذي جمع ثروة كبيرة من
أولئك اللصوص

ولو كان ماريوس يعرف شيئاً من تاريخ هذا المخزن لعرف
من فوره أن ثوب زائره انما هو من ثياب ذلك المخزن
وقد استاء حين رأى أن هذا الرجل غير الرجل الذي كان
يتوقع أن يراه جعل ينظر اليه نظر الباحث المدقق بينما هو ينحني
للسلام عليه ثم قال له

ماذا تريد

فابتسم الرجل ابتسام التمساح وقال له
يستحيل أن لا أكون قد رأيت سيدي البارون في بعض القصور

ويخال لي أنني رأيته منذ بضعة أعوام عند البرنسس بأجراسيون
وعند الفيكونت دمبراي

وهي طريقة بحري عليها التصابون في باريس فيوهمون من
يريدون النصب عليه أهم رأوه في الأماكن الممتازة إثارة لمواطن
غرويه والاستفادة من ذلك

وكان ماريوس يصني أتم الاصغاء الى صوته وينتبه كل الانتباه
الى حركاته واشاراته فوحد النبرات والاشارات تختلف مما يعده
بتنارديه وقال له

اني لا أعرف البرنسس بأجراسيون ولا المركز دامبراي ولم
أزرها في حياتي

فلم يقتصر الرجل وقال

إذن لقد رأيت سيدي البارون عند شاتوريان فانه من
اصحابي وقد دعاني مرات كثيرة الى معاينة المدام

فقطب ماريوس جبينه وقال بلمحة جافية

اني لم أشرف بمعرفة المسيو شاتوريان فقل ما تريد وأوجز

في مقالك

فأخى الرجل أيضاً وقال

ليتفصل مولاي البارون بالاصغاء الى : انه يوجد في أميركا

في بلد قريب من باماقرية تدعى جويبا

وهذه القرية لا يوجد فيها غير منزل واحد مربع مؤلف من

ثلاثة أدوار يبلغ ارتفاع كل دور اثني عشر قدما

ويوجد أمامه مشرف يحيط به من كل جهاته وفي وسطه
مستودع كبير للمؤن والدخائر لا يوجد فيه نوافذ ولا أبواب
بل سلم يصعد عليها الى الادوار الثلاثة
وفي المساء يرفعون تلك السلم فلا يبقى سبيل الى الدخول
الى هذا الممرل أو الى الخروج منه
وهو في النهار قلعة وفي الليل بيت فيه ثمانمائة رجل وهذه
هي القرية

أما أسباب الخذر الشديد فهو أن هذه القرية شديدة الخطر
لكثرة اللصوص حواليتها وأما يدهبون اليها لاستخراج الذهب
من ترابها

فقاطعه ماريوس وقد كاد ينفذ صره فقال

الى أين تريد أن تنتهي

قال انى يا سيدى البارون سياسى يسترىح من عناء الاعمال
وقداره قتنى المدينة القديمة فأردت أن أحرب المتوحشين

— وبعد ذلك

— إن حب الدات ياسيدى البارون أو الاتانية هي شريعة
البشر فان الفلاحة التى تشتغل مياومة تلتفت حين تمر مركبة
المسامرين وأما وأما الفلاحة صاحبة الارض فلا تلتفت أريد أن
كل انسان في هذا الوحود ينظر الى منفعة الداتية والذهب مطلب
كل انسان

— وبعد ذلك. قل ما تريد

— اني أريد أن أذهب إلى هذه القرية التي يستخرجون منها
الذهب أنا وامرأتي وابنتي والسفر طويل يحتاج إلى الكثير من
النفقات

— أي شأن لي بنفقاتك

فابتسم الرجل وقال

أأمل سيدي البارون لم يقرأ كتابي

وكان هذا الرجل مصيباً في ملاحظته فان ماريوس شغل
بمراقبة الخط وهو يقرأ عن فهم معاني السطور فلم يذكر غير القليل
بما قرأه

والآن فقد تنبه إلى أمر جديد من قوله أن له امرأة وبناتاً
فنظر إليه كما ينظر قاضي التحقيق إلى المجرم وقال له

اوضح ما تريد

قال ليكن ما أردته يا سيدي البارون فاعلم أن لدي سرّاً خطيراً
أريد بيعه

— سرّاً

— نعم السر

— وهذا السر يتعلق بي

— نعم

— ما هو

— اني أبدأ بكشف شيء منه مجاناً وستعلم أنه سر خطير

— قل

— أنه يوجد عندك ياسيدي البارون رجل لص سفاك
فارتعش ماريوس وقال
عندي أنا

فسح الرجل قبعته بكم سترته وقال
نعم لص سفاك واقتبه ياسيدي البارون الى ما أقوله فاني
لا أذكر عن هذا اللص أموراً قديمة يحوها مرور الزمن لدى
الشرع ولدى الناس بل أستند الى جنيات حديثة العهد تجهل
الحكومة أمرها الى الآن
ويظهر ياسيدي البارون أنك خدعت هذا الرجل فنال ثقتك
ودخل الى منزلك وهو يتحلل اسما يخفى به اسمه القديم
واني سأقول لك اسمه القديم ياسيدي البارون عجافاً أيضاً
لتعلم قائدة مري

— ما اسمه

— جان فالجان

— انى أعرفه

— وسأقول لك أيضاً من هو

— قل

— انه من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة

— أعرف ذلك

— أنك عرفتة حين كسرفت باخبارك عنه

— بل عرفتة من قبل

فلما سمع الرجل قول ماريوس ورأى أنه تلقى هذا السأ بما
لم يكن يتوقعه من البرود هاجت براكين الغضب في صدره فنظر
إليه من تحت نظارته نظرة منكرة

غير أن هذه النظرة لم تخف على ماريوس لأنها اتقدت كالشرارة
أما الرجل فانه كظم غيظه وعاد الى الاتسام وقال

لا أجسر على تكذيب سيدي البارون وعلى كل حال فقد رأيت
أنى واقف على حقيقة هذا الرجل

أما الذي أريد أن أخبرك به الآن فلا يعرفه احد سوى وهو
يتعلق بثروة سيدي البارونة

ولكنه سر عجيب اريد بيعه وقد اتيت لايبيك إياه بثمان
مئتين فاني لا أسألك غير عشرين ألف فرنك
— انى أعرف هذا السر كما أعرف سواه

فرأى الرجل أنه لم يبق بد من انقاص الثمن فقال
لنتفق على أن يكون ثمنه عشرة آلاف فرنك فابوح به
— وانا أعيد عليك ما قلته لك وهو انى أعرف هذا السر ولا
حاجة الى ان تطلعي عليه

فاتقدت عيناها سارق من الغضب وقال
ولكنى أريد أن أتعشى وقد قلت لك أنه سر عجيب ياسيدي
البارون فأعطى عشرين فرنكا على الأقل
فنظر إليه ماريوس محققاً وقال

انى اعرف شرك الغريب واعرف اسم جان فالجان كما انى
اعرف ايضاً اسمك
— اسمى انا

— نعم
— ولكن اسمى لا تصعب معرفته يا سيدى البارون فقد
تشرفت بالكتابة اليك وكتبت فى ذيل الكتاب تبار
— ديه

— ماذا

— تبار ديه

— من هو تبار ديه هذا

— أن الخنزير عند الخطر يرتفع ويستفش والخنفساء تتظاهر
بالموت والجيش يقف لشكل مربع أما هذا الرجل فإنه جعل يضحك
فصلى ماريوس فى حديثه فقال

وانك تدعى ايضاً جويدرت العامل وقاينتو الممثل وحقوا
الشاعر ودون الفارين لاسمانى بل انك تدعى ايضاً الامراة اليزار
— أمراة ماذا

— وأنت كنت صاحب فندق فى مونتفرميل

— كلا كلا

— وأنا أقول لك انك تدعى تبار ديه

إني أنكر هذا أنتم الانكار

— وانك تارة تكون من اللصوص وتارة من المتسولين كما
تفعل الآن

ثم أخرج ورقة مالية من جيبه ورماه بها
فالتقطها ونظر إليها فقال
خمسمائة فرنك... أشكرك يا سيدي البارون
ثم انحنى أمامه شاكرًا وقال لقد كشف الغطاء فلم تبق حاجة
إلى التنكر

وعند ذلك قلع ما كان متنكرًا به من الشعر المستعار وأنبوي
الأنف والنظارة الزرقاء إلى غير ذلك أي أنه نزع وجهه عن وجهه
كما ينزعون القسعة عن الرأس فانتصبت قامته وذهبت الحدبة وأضحى
التجمع وصغر الأنف واتقدت النظرات فنظر إلى ماريوس وقال له
إن سيدي البارون معصوم عن الخطأ فأنا هو تنارديه
وقد كان هو بعينه جاء ليدش البارون بسره فكان هو
المندش بما سمعه من البارون

وفد رح هذا الانقلاب خمسمائة فرنك ولكمه كان من أهل
الطمع كما عرفه القراء فلم يقف عند هذا الحد
وكانت هذه هي المرة الأولى التي رأى فيها البارون معرفه
بالرغم عن تذكره

وهو لم يعرف اسمه فقط بل عرف حاضره وماضيه ثم أنه لم
يقتصر على ذلك بل أنه عرف حقيقة أمر جان فالجان بالتفصيل
فمن عسى أن يكون هذا الفتى الذي لم يكذب ثبت لحيته وهو يعرف

دخائل اللصوص فيحدثهم محادثة القضاة ويعطيهم من ماله عطاء
البلهاء

ولقد كان جاوره مدة من الزمن كما يذكر القراء ولكنه لم
يره مرة

وكل ما عرفه من أمره أنه سمع مرة إحدى بنتيه تتكلم عن
فتي فقير يدعى ماريوس يقيم معهم في منزل واحد وأنه دفع عنهم
أجرة الغرفة فكتب إليه ذلك الكتاب الذي يذكره القراء فكيف
يخطر له أن ماريوس الفقير الذي كان يقيم في غرفة تشبه الكوخ
أصبح يدعى الآن البارون بونتيرمي ويحس حتى إلى اللصوص
دون حساب

ويذكر القراء أيضاً أن تشاردييه حين أنقذ والده ماريوس في معركة
واترلو لم يسمع منه حين ذكر اسم عائلته غير المقطعين الآخرين
وهما « مرمي » فحسب أنه يريد شكره لأن هذه اللفظة وحدها
يراد بها معنى الشكر

وفوق ذلك فانه كان قد عرف من ابنته أرلما حين أرسلها
يوم زفاف ماريوس لتفقد أثر الموكب ومن مباحثه الخاصة كثيراً
من الأمور وعلى الأخص فانه عرف ذلك الرجل الذي لقيه تلك
الليلة في المجارى فأخرجه منها وأخذ ثلاثين فرنكا ولما عرفه
عرف اسمه ثم انه عرف ان البارون بونتيرمي إنما هي غوسيت
ولكنه أراد كتمان أمرها

وهو لم يكن يعرف حقيقة أمرها سوى أنها ابنة فانتين
وحكاية فانتين نفسها لم يكن يثق بها ولكن أية فائدة من كشف
سر غوسيت فانه لا يأتيه بفائدة بل قد ينال منه الضرر فانه لو
جاء الى البارون وقال له
ان امرأتك لقيطة

فلو سأله البارون رهانا فمن أين يأتيه بالبرهان لا سيما وان
جان فالجان لم يزوجه اياها الا وقد انتحل لها نسبا مثبتا باوراق
رسمية فلا يكون قد استفاد من ذلك سوى انه أوغر صدر البارون
حقدا عليه وهو في حاجة الى رصاه

وكان يعتقد ان امره لم ينته بعد مع ماريوس فان المحادثة
بينهما لا تزال في بدئها

نعم انه غلب في المعركة الاولى ولكن ليس عليه الا أن يتراجع
ويغير مركزه ويعد خطة أخرى فاذا محج بلغ ما أراد وإذا خاب
فقد قبض ثمن خيبتة حمسائة فرنك

وفوق ذلك فانه لا يزال لديه ما يقوله مما يجهله ذلك البارون
مهما بلغ من تفننه بالاستعلام وقد قال له نعم انا هو تسارديه
فوقف ينتظر ما يكون

أما ماريوس فانه لست مطرقا يتفكر وقد عثر أخيراً هذا
الرجل الذي طالما بحث عنه وهو الآن واقف أمامه بحيث بات
يستطيع أن يعمل توصية أبه ويستريح من عناء هذه الوصية

فقد كان يمز عليه أن يكون لهذا اللص دين على أييه الكولونيل
ولذلك كان مسروراً بهذا الاتفاق

وبجانب هذا الواجب كان عليه واجب آخر يجب أن يقضيه
إذا استطاع وهو معرفة مورد الثروة التي نالتها زوجته وقدر رأى
الفرصة لاحت له فإن تنارديه قد يكون طارفاً بسر هذه الثروة
فأراد أن يبدأ من هنا فالتفت الى تنارديه بعد اطراقه وقال له
لقد ذكرت لك اسمك بل أسماءك يا تنارديه والآن فهل تريد
أن أقول لك ذلك السر الذي جئت الى لتبوح لى به فاني أنا
أيضاً أستعلم عن الاسرار كما تبحث عنها وسأرى أى أعلم منها
فوق ما تعلم

ان جان فالجان لص سفاك كما قلت أما كونه لصاً ففلا به سرق
وجلا من أصحاب المعامل يدعى مدلين فقضى عليه بالخراب
وأما كونه سفاكاً ففلا به قتل جافرت مفتش البوليس
فأجابه قائلاً

إني لم أفهم شيئاً مما تقوله ياسيدى البارون
قال سأفهمك فأصغ الى

كان يوجد سنة ١٨٢٢ في مقاطعة بادى كاليه رجل كان أساء
بعض اساءات دعت الى مداخلة البوليس ثم انتظم أمره وصلاح
حاله وكان يدعى الاب مدلين

وقد أنشأ معملًا لصنع الخرز والكهرباء فنال به كسباً جزيلاً

كان يتفق معظمه على الفقراء وانشاء المستشفيات والمدارس
وعيادة المرضى وامهار البسات ومساعدة الارامل واغاثة اليتام
الى غير ذلك من أعمال البر التي خلدت اسمه في تلك المقاطعة
وقد أنعمت عليه الحكومة بوسام مكافأة له عن أعماله
الخيرية فرفضه كي يكون احسانه خالصا لوجه الله فعينته محافظا
وكان أحد المجرمين يعرف من جريمة ارتكبتها هذا الرجل
الصالح في أيام شره فوشى به فقبضوا عليه واغتم المجرم فرصة
سجنه فجاء الى مصرف لافيت في باريس (وهذا ماعرفته من أحد
المصرف) بتوقيع مزور وقبض ما كان أودعه الاب مدلين في
دليل المصرف وهو ما يزيد على نصف مليون من الفرنكات
اما هذا المجرم الذي سرق الاب مدلين فهو حاز فالجبان
أما كونه سفاكا فلا حاجة الى أن تطلعنى على شيء من أمره
فقد رأيت جان فالجبان قتل المفتش جافرت برصاصة غدارة والمفتش
مكتوف اليدين وكنت حاضرا ساعة هذا القتل
فنظر تنارديه عند ذلك الى ماريوس نظرة الفائز المنتصر الذي
سينال بلحظة ما خسره بساعة وقال له
انك محطىء خطأ جما يا سيدى البارون
قال أتحادلى فى هذا أيضا وهو لا يقبل الجدل
قال بل هي أوهام مثلها لك الخيال يا سيدى البارون وأنما
شرفتنى به من الثقة يدعونى الى أن أقول لك الحقيقة

وانى لا أحب نهمة الابرياء فاعلم يا سيدى البارون أن حان
فالجان لم يسرق الاب مدلين ولم يقتل المفتش جافرت
— كيف ذلك

— ان لدى رهائين لا يمكن رفضهما

— ما هما

— أولهما أنه لم يسرق الاب مدلين لان حان فالجان انما هو
نفس الاب مدلين

— ماذا تقول

— أقول الحقيقة يا سيدى البارون

— وثانيهما

— وثانيهما أن جان فالجان لم يقتل المفتش جافرت بل ان الذى
قتل جافرت انما هو جافرت نفسه
— ماذا تعنى

— أعنى أن جافرت انتحر ولم يقتل

— برهن لى عن ذلك .. هات رهانك إن كنت من الصادقين

— إن المفتش جافرت كان مستحراً ووجد غريقاً تحت قارب

عند الجسر الجديد

— هات الرهان

فمد يده الى جيبه وأخرج غللاً ضخماً فيه كثير من الأوراق

مختلفة الحجم فقال

انى قد أردت لمصالحتك ياسيدى البارون أن أقف على دقائق
أسرار جان فالجان

وقد قلت لك أن جان فالجان والاب مدلين واحد وأن جافرت
لم يقتله غير نفس جافرت

ومن كان مثلى لا يرسل الكلام على عواهنه بل انى براهين
تدل على صدق ما أقول وهى براهين لا ترفض كما قلت لك لأنها
مطبوعة

وقد قال هذا وأخرج من ذلك الغلاف نسختين من جريدتين
امبر ورقهما لتقدم العهد بهما واحدى النسختين ممزقة عند
حيطاتها مما يدل على انها أقدم من تلك
ثم دفعهما الى ماريوس وهو يقول
هذا هو رهائى

وقد عرف القراء هاتين الجريدتين فقد كانت احدهما تدعى
الراية البيضاء وهى بتاريخ ٢٥ تموز سنة ١٨٢٣ تبين منها ان الاب
مدلين انما هو نفس جان فالجان كما ثبت فى المحكمة

والجريدة الثانية تدعى المونيتور بتاريخ ١٥ حزيران سنة ١٨٣٢
تبين منها ان المفتش جافرت مات مستحراً وانه كتب الى مدير
البوليس كتاباً قبل انتحاره وانه قبل انتحاره أسره الثائرون فى
المتاريس فى شارع شومررى وانه كان مدينناً بنجاة لاهد الثائرين
الذى عهدوا اليه ان يقتله تخرج به الى وراء جدار فأطلق مسراحه

وأطلق غدارته في الهواء إيهاماً لرفاقه أنه قتله

فلما قرأ ماريوس الجريدتين أيقن أن ادارتهما لم تطبعا هذين
العددتين خصيصاً لتثبت أقوال تناردية وأن ما نشرته جريدة
المونيتور كان بلاغاً رقيقاً أرسلته إليها إدارة البوليس بحيث لم
يبق أدنى مجال للشك

وقد أيقن أيضاً أن ما أخبره به عامل المصرف لم يكن أكيداً
وأنه كان منخدعاً كما خدع سواه

فلما قرأ كل هذا تمثل له أن جان فالجان قد خرج من بين
الغيوم السوداء التي كانت تحجبه عن الانظار ولم يتمالك عن أن
يصيح صبيحة فرح فقال

ادن أن هذا الشقي المنكود من خير الرجال وأكرمهم قلباً
وأن هذه الثروة له دون نزاع كسبها بمجده وأنه حين كان يدعى
الاب مدلين كان يلقب بابي اليتيم وملجأ المسكين... وأنه هو الذي
أنقذ جارت عدوه الالد . اذن فهو بطل بل هو من رجال الله
الصالحين

قال بل هو لص سفاك هتمهل يا سيدي البارون ولا تتسرع
بالحكم على هذا الرجل
قال بماذا تهمة أيضاً

قال أنه لم يسرق مدين ولم يقتل جارت ولكنه لص سفاك
كما قلت لك

— أملكك تعنى سرقة الرغيف منذ أربعين عاماً ألم يكف
ما فعله من الحسات كفارة عن هذا الذنب العظيم
— لقد قلت لك ياسيدى البارون انه سارق قاتل وانه سرق
وقتل من عهد قريب وان هذه السرقة وهذا القتل لا يملهما أحد
سواى
وانى إذا اطلعتك عليهما عرفت مهارة الرجل بمهاره امرأتك
لسيدتى البارونة

واما ادعوه ماهر ا بهذه الهبة لانه يستطيع بسببها أن يقيم
فى منزل شريف فيستر ويخفي جريمته ويستمرسل بعد ذلك الى
الحرايم كما يشاء دون أن يشك به أحد
— انى أستطيع الاعتراض على ما تقوله ولكنى أمهلك حتى
تم حديثك فتكلم

— انى سأخبرك بكل ما أعلمه تفصيلاً ياسيدى البارون
وادع أمر مكافأتى الى كرمك فان هذا السر يسوى كثيراً من المال
ولقد تقول لى لماذا لم تذهب الى جان فالجان فتبيعه هذا السر
فأقول ان الجواب على ذلك بسيط وهو

ان حان فالجان قد تخلص من كل ماله ووهبك إياه فاذا ذهبت
اليه قلب جيوبه وتقض يديه وقال لى انى لا أملك درهما فاصنع
ما أنت صانع

ولما كنت محتاجاً الى المال لا سافر الى بلاد الذهب فقد آثرتك

عليه لانه لا يملك شيئاً كما قلت لك
ولقد أبهكنى التعب يا سيدى البارون فاصبر لى أن أجلس على
الكرسى فأستريح
فأذن له بالجلوس فأخذ الجريدتين مردها الى الغلاف وقال لقد
كلفتنى جريدة الراية البيضاء عناءاً كثيراً ومالاً أكثر لبدورة
وحدود هذا المعدن

ثم جلس جلوس الوائق المظلمين من موزة فى ماسيقول واندفع
فى حديثه فقال

اعلم يا سيدى البارون أنه فى اليوم السادس من شهر حزيران
سنة ١٨٣٢ أى منذ عام أى يوم الثورة كان رجل عند باب المحارى
الكبيرة التى تقذف أقذارها فى السين بين جسر الاتقالير وبين
جسر يانا

فأدنى ماريوس كرسيه من تنارديه وانقبه تنارديه الى ذلك
وجمل يتكلم سلىء وبلهجة الوائق من تأثيره على محدثه فقال
ان هذا الرجل يا سيدى للبارون كان مضطراً الى الاحتباء
لاسباب غير سياسية لا متسع لذكرها فى هذا المقام فكان يختبئ
فى تلك الجهات

وقد كان ذلك فى الساعة الثامنة من المساء فبينما هو هناك
سمع وقع خطوات فى المتاريس
وقد وقف يصني الى أن اقترب الصوت منه فنظر فرأى رجلاً
يسير فى تلك المحارى وعلى كتفه شيء ضخم

وبعد هنية تبين له أن هذا الرجل من المجرمين بدليل حادثة
ظهره وعوج رجله وبدليل هذا الشيء الذي كان يحمله فقد كان
يحمل جثة قتيل

وهذا ما يثبت عليه جريمة القتل أما جريمة السرقة فلا حاجة الى
ثباتها فان هذا المجرم لم يقتل هذا الرجل إلا ليسرقه
وقد قاده بحيلة الى المجارى فقتله ومسرقه ثم حمله وأراد ان يخرج
به كي يرمى جثته في النهر احفاء لجريمته

وكان يوسعه أن يترك تلك الجثة في المجارى ولكنه كان
يخاف ظهور أمرها فآثر أن يربط بها حجراً ضحها ويلقيها الى النهر
فتأكلها الاسماك

فاقترب ماريوس أيضاً منه وتنفس تنفساً طويلاً ثم نادى الى
الحديث فقال

وعندما وصل هذا الجاني الى الباب وجد أن لا حيلة له
بالخروج منه لارتفاعه

وقد رآه ذلك الرجل المختبئ فاتفق وإياه على إخراجه وأخرجه
ورأى الرجل المقتول على ظهره فغافل حمله وقطع قطعة من ثوبه
على رجاء أن تراه يوماً في معرفة القاتل وإثبات جريمة القتل ثم
تركه وانصرف إذ لم يكن يطيق أن يرى حنة ذلك المنكود تلتقي
في النهر

أما هذا المجرم المقاتل السارق ياسيدى البارون فقد كان جان

فالجاني وأما ذلك الذي أخرجه من المجارى وقطع قطعة من ثوب
القتيل فهو خادمك المطيع الذي يكلمك
وقد قال هذا وأخرج من جيبه قطعة صغيرة من الجوخ الأسود
وأراها لما رىوس

أما ما رىوس فانه وقف وقد اصفر وجهه وضاق تنفسه وجعل
يحدق بتلك القطعة من القماش ثم تراجع الى الجدار دون أن يفوه
بكلمة ودون أن ينقطع عن النظر الى قطعة القماش فمد يده من
وراء ظهره الى الجدار وبحث عن مفتاح خزانة في نفس ذلك
الجدار كان فيها ففتحها ومد يده الى داخلها وهو لا يزال ينظر الى
تلك الخزانة التي كانت بيد تنارديه

أما تنارديه فانه لبث يتكلم يقال

واني واثق أتم الثقة يا سيدي البارون أن هذا الفتى القليل
كان غريباً وأن جاني فاجان اغتاله بمكيدة وسلب منه مبلغاً عظيماً
من المال

فقال له ما رىوس

ان هذا الفتى كان أنا وهذا هو الثوب الذي كنت ألبسه ثم
ألقي على المنضدة ثوباً أخرجه من الخزانة ولا تزال آثار الدماء عليه
وعند ذلك انزع قطعة القماش من يد تنارديه ووضعها في
المكان المقطوع من الثوب فسدت مكان القطع وتلاحم الثوب
فصعق تنارديه بهذا البرهان وشعر أنه سقط الى الحضيض بعد

أن كان يتوهم أنه بلغ الى أوج الانتصار

أما ماريوس فإنه مد يده الى جيبه ودنا منه ورفع يده وهي
ملاى بالاوراق المالية حتى كادت تبلغ الى وجهه كأنه أراد أن
يصفعه تلك الاوراق ثم قال له

إنك خائن نمام واش كذاب أتيت لتشي بهذا الرجل فكنت
السبب في تبرئته وقد أردت اذلاله وتحقيره ورفعته ومجده وما
هو إلا أنت السارق والسفالك فقد رأيتك حين كنت تدعى جوندريت
وعرفت كثيراً من أمورك التي اذا قلت كلمة منها قضيت عليك
بالسجن مدى الحياة إذا أردت

ولكني لا أريد أن أفعل هذه الالف فرنك

ثم رمى اليه أيضاً ألف فرل - وقال

يا جوندريت ويا تنارديه اني أريد أن أؤدبك بهذا الاحسان
أيها الشقي خذ أيضاً هذه الالف فرنك واخرج من هنا فاحملك
غير وائرلو

فأخذ تنارديه هذه الاوراق وهو يقول وائرلو

قال نعم أيها الشقي فقد أنقذت في تلك الممركة حياة كولونيل

فرجع تنارديه رأسه وقال بل حنرال

بل كولونيل وأنا أدري منك حتى بأمورك وإنك ما أتيت

الى هنا إلا للجرأتم فساغر واحذر أن تعود الى هذه البلاد وعش

سعيداً بما أعطيتك من المال فهذا كل ما أتمناه لك ..

خذ أيضاً أيها الوحش هذه الثلاثة آلاف فرنك وسافر منذ
الغد إلى أميركا مع ابنتك لأن امرأتك قد ماتت في السجن أيها
المنافق الكذوب واعلم إني سأراقب سفرك وهناك أُنقذك أيضاً
عشرين ألف فرنك كي تعيش في غير هذه البلاد

خياه بقسمته حتى كاد يكنس بها الأرض وخرج لا يلوى على
شيء وهو يكاد يطير باجنحة الفرح

ولتم الآن حكاية هذا الرجل فإنه بعد يومين من هذه
الحادثة التي سطهاها سافر بمساعدة ماريوس إلى البلاد الأمريكية
متكراباسم غير اسمه تصعبه استهزأه

وقد أعطاه ماريوس ما وعده به من المال فسافر إلى نيويورك
وهناك لم يستطع التغلب على الشر إذ كان متطوراً عليه فجعل
يتاجر بالرقيق بفضل ما أعطاه ماريوس

أما ماريوس فإنه لم يكذب يخرج تنارديه من غرفته حتى أسرع
راكضاً إلى غرفة امرأته وناداهما من الخارج قائلاً

غوسيت غوسيت اسرعي وهلم بنا .. ونأذي الخادمة فأمرها
أن تأتيهما بمركبة

ثم عاد إلى مناداة امرأته وهو يقول

غوسيت غوسيت .. رياه انه هو الذي انقذني من الموت .

اسرعي اسرعي ضعي وشاحك على كتفيك وهلمي بنا

وقد حسبه غوسيت مجنوناً لما رآته من الحاجة ولكنها

أمرعت إلى الامتثال فكان يسير في غرفتها بخطوات غير موزونة
فيعانق غوسيت ويقول لها
أواه يا غوسيت إني شقي

وقد كاد يطيش صوابه إذ كان يتمثل له جان فالجان في هذه
الساعة كأنه من ملائكة الله وإن هذا المجرم قد استحال إلى شهيد
وأنه عظم في عيبيه حتى بات أرقى من البشر وتنزه عن البشرية
وبعد هنيهة أقبلت المركبة فخرج ماريوس إليها تصحبه غوسيت
وأمر السائق أن يسير إلى شارع الرجل المسلح نمرة ٧

وقد ذهلت غوسيت في البدء ثم اتقدت عيناها ببوارق
السرور حين سمعت هذا العنوان وقالت

إني لم أحسر من قل على أن أسألك شيئاً لما رأيته من ظواهر
اضطرابك أحسن ذهابان الآن لزيارة المسيو جان

قال نعم لزيارة أبيك يا غوسيت .. آه يا غوسيت لقد عرفت
الآن كل شيء فلقد قلت لي أن الرسالة التي أرسلتها إليك قبلاً مع
كافروش لم تصلك فهو الذي أخذها منه

أنه ذهب إلى المتاريس لينقذني فأنقذني وأنقذ كثيرين
وأنقذ جافرت

نعم أنه أخرجني من تلك الهوة كي يعطيك إياي وهو الذي
حملني على ظهره في تلك المحاري فويح لنفسي كم ججحت نعمته
وأنكرت جميله وأنا من الجاهلين

غوسيت انه بعد ان كان ملاكك الحارس في كل مامر بك من
عهد الحداثة أصبح ملاكي

إني كنت مغمياً على فسارني يحملني على ظهره واجتازني تلك المجاري
الضيقة في الظلام وعرض نفسه مراراً للموت في سبيل انقاذي
وأنا لا أعلم شيئاً من أمره ولا من أمري إذ لم أتوقع أن يكون
بين الناس من يبلغ بالمرؤة إلى هذا الحد

اتنا سنعود به إلينا يا غوسيت سواء رضى أم لم يرض ولا يفترق
عنا بعد الآن

ولكن بشرط أن يجده في ممره . نعم إني سأكرس حياتي
في سبيل خدمته وتكريمه . أترين يا غوسيت .. ان كافروني لم يعط
الرسالة التي كتبها اليك للسواب بل هو الذي أخذها منه وقد وضع
الامر أفهمت الآن

قلم تفهم غوسيت كلمة ولكها قالت له
لقد أصبت

واستمرت المركبة في سيرها

يذكر القراء ان جان فالجان سمع طرق الباب وهو في غرفته
فأجاب الطارق بصوت خافت فقال
أدخل

ففتح الباب وظهرت منه غوسيت وماريوس

أما ماريوس فقد لبث واقفاً على العتبة وهو يسند رأسه إلى الباب
وأما جان فإنه لم يكذب برهني غوسيت حتى وقف كأنما حركه لولب
فبسط ذراعيه وهو يرتجف كورق الخريف وجحظت مقلته
فكادت تخرجان من وجهه وصاح قائلاً

غوسيت

فألت غوسيت نفسها بين ذراعيه وهي تبكي وتقول

أبي ... أبي

فضمها جان إلى صدره وقال

أهدأ أنت .. أتأتين إلي أصفحت عني

وقد أطلق ماريوس عينيه كي يمنع تساقط الدموع ومشى

إليه وهو يقول بصوت مخنق

أبي .

فأحابه جان قائلاً

وأنت أيضاً ... أصفحت عني اذن

فلم يجد ماريوس كلمة يقولها ولم يستطع جان أن يقول غير

كلمة واحدة وهي

أشكرك

أما غوسيت فإنها خلعت وشاحها وجلست على ركة جان

فأزاحت الشعر الأبيض المسترسل على جبينه وقلته

ثم جمعت تلامفه وتقله كلها تريد أن تفي دين زوجها وهي لا

تعلم شيئاً بما كان بينهما

فكان جان يبتسم إذ خيل له أن أبواب السماء قد انفتحت
وظهر له منها هذا الملاك فقال

خلق الانسان كنوداً فقد كنت أحسب اني لن أراها... تأمل
يا موسيو بوتيمري اني قبيل دخولي كما كنت أناجي نفسي
فأقول

قضى الامر وقدر لي أن لا أراها
انظر الى نوبها الصغير على فراشي فقد كنت أراها به لا اعتقادي
اني لن أرى غوسيت

وقد كنت أقول هذا القول وأقنط هذا القنوط بينما كنتما
تصعدان السلم

نم ان الانسان كنود يقنط من رحمة الله . ولكن الله رؤوف
لا يتخلى عن عباده وقد رأى أن هذا الرجل المسكود يحتاج الى
ملاك يعزيه في ساعته الاخيرة فأرسل اليه هذا الملاك الممثل بشكل
غوسيت

وقد توقف هنيهة لضعفه ثم عاد الى الحديث فقال
نم اني كنت في اشد الاحتياج على أن أرى غوسيت من حين
الى حين

غير اني كنت أخاف التثقل بزيارتي وقلت في نفسي أنها
غير محتاجة الى فلاق منزوياً في مكان
ولكن الله رحيم فقد أذن لي ببقائها قبل الموت . . أعلمين

يا غوسيت أن زوجك ضاية في الجمال . . أنك تلبسين شارة
مطرزة . . ما أجل هذه الشارة . فان زوجك قد اختارها لك
أليس كذلك

ولكنك محتاجة أيضاً إلى الكشمير . . أرجوك يا سيدي
البارون أن تأذن لي أن اكلمها دون كلفة حسب عادتي فان ذلك
لا يطول

فأجابته غوسيت قائلة

ما هذه الرداة يا أبي اتركنا كل هذا العهد الطويل فالي أين
سافرت ولماذا أطلت غيابك أنك كنت تسافر من قبل فلا يطول
سفرك أكثر من ثلاثة أيام

وكنت أرسل الخادمة تسأل عنك فيجيبونها كل مرة أنك
مسافر فتى رجعت ولماذا لم تخبرني بعودتك . . أتعلم أنك تغيرت
كثيراً أنك لم تكن مسافراً بل كنت مريضاً دون شك ونحن لا
نعلم . تعال يا ماريوس وانظر فان يده باردة

فقال جان مخاطباً ماريوس

إذن لقد غفرت لي كما تدل هذه الزيارة

فتفجر قلب ماريوس لما سمعه من تكرار كلمة الغفران والتفت
إلى امرأته فقال

أسمعين يا غوسيت . . أنه يريد أن أغفر له . . أتعلمين ماذا

اصنع أنه أنقذني من الموت بل فعل ما هو أعظم من ذلك بكثير
اذ أعطاني إياك

وبعد ان أنقذ حياتي وبعد ان زوحنى بك أتعلمين ماذا صنع
بِنفسه ؟ أنه ضحى حياته

ثم أنه بعد ذلك يلتبس الخمران مى وأما هو السكون والجلود
المجرم الذى تجرد قلبه من الاشفاق

وهو فوق ذلك يشكرنى وأنا لو قصيت حياتى عند قدميه
لما فعلت غير القليل مما يحب على

أنه عرض نفسه للموت فى حرب المتاريس وعرض نفسه للموت
فى المجارى وأنقذنى من موت كان محتما مقضيا وكل ذلك من أجلى
ومن أجلك يا غوسيت

غوسيت أن هذا الرجل فوق البحر وما هو الا من ملائكة الله
نزل الى الارض متسكرا بزي انسان لرحمة بنى الانسان

فقال له جان كفى كفى لماذا تقول هذه الاقوال
قال وأنت يا أبى كتبت افعالك المجيدة ألا ترى أنك كنت
مخطئا فى ما فعلت . . أنتقذ الناس من الموت وتطوق أعناقهم
بجميل لا ينسونه مدى الحياة ثم تكتم ذلك حتى عنهم بل تدهمهم
بسيئون الظن دون ان تبالي

قال لقد قلت الحقيقة

قال كلا بل قلت بعضها وهي لا تكون حقيقة إلا اذا قيلت
بجملتها . . أنك كست تدعى الاب مدلين فلماذا كتمت هذا
الاسم وانك انقذت جافرت فلماذا لا تظهر ذلك وانى مدين لك
بالحياة فلماذا كتمت ذلك عنى

قال ذلك لانى كست افكر وقد عرض لى نفس الراى الذى
عرض لك فوجدتك مصيباً ورأيت انه لم يبق يد من الرحيل . على
انى لو أخبرتك بحقيقة أمرى واوقفتك على سر المجارى لا كرهتني
على اللقاء عندكم ولذلك رأيت السكوت اولى أو فسدت خطة
الرحيل

قال أى رحيل هذا أتحسب انك ستبقى هنا كلا فانك
ذاهب معنا لا محالة . . رباه انى حين يخطر لى انى لم اقف على
الحقيقة الا بالصدفة والاتفاق يضيع صوابى . . نعم انك ستذهب معنا
وتقيم بيننا ونكون أبائى ولا مرأتى . ولا تقيم فى هذا المنزل
ساعة فلا تحسب أنك غداً تكون فيه

— نعم انى غداً لا أكون هنا ولكنى لا أكون عندكم
— ماذا تسمى أتحسب اننا ندعك تسافر أو تترك لحظة كلا
فانما لا نعود إلا بك
وقالت غوميت

انما أتينا بمركة وهي تنتظرنا عند الباب فادام تصحبنا راضياً
اضطربنا الى أن نأخذك بالقوة

أن غرفتك لا تزال على حالها عندنا ولو تعلم كيف صارت
الحديقة فأنها باتت من مراديس الجنان وأنت ستأكل من الكرز
الذي غرسته يدي ولا تعود تدعوني بارونة ولا أدعوك موسيو
جان فأننا الآن في عهد الجمهورية وقد امتنعت الكلفة بين الناس
أليس كذلك يا ماريوس

آه لو تعلم يا أبي فقد أصبحت محزن عظيم إذ كان يوجد عصفور
بني عشة في ثقب جدار مخاضت هرة هائلة فأكلته . . . مسكين
هذا العصفور أنه كان يطل من عشه وينظر إلى فبكيت ولو
تمكنت من هذه الهرة لقتلتها

أما الآن فلا يوجد من يهكي عندما بل أن الجميع يضحكون
وكلهم سعداء وستأتي معنا فيكون لك قسم من الحديقة تزرعه
كما تشاء وسرى إذا كانت اغراسك تنمو أكثر من اغراسي
وبعد فاني سأصنع لك كل ما تريده وستمثل لنا وتأتي معنا
وكان جان يصني اليها ولا يسمع كلامها بل يسمع موسيقى
صوتها وقد جالت دمة في عينه فقال

هذا خير برهان على رحمة الله وليس بعد هذا برهان
فقاطمته قائلة أبي

ومضى جان في حديثه فقال

لا ريب إن أفضل حياة حياة تقضيها معاً فترى الطيور تغرد

على الغصون، وهي مختلطة بين الاوراق واتزده مع غوسيت واعيش
مع أسرة تحبني وأحبها فأراها في كل صباح ويررع كل منا قطعة
من الارض فتطعمني غوسيت من كرزها ويحني الورد الذي أزرعه لها
نعم أن كل ذلك جميل ولكن ..

وقد توقف لحظة ثم قال

وا أسفاه

ولم تسقط الدمعة التي أغرورت في عينه بل حادت الى
موضعها واستعاض عنها بابتسامه

فأحدث غوسيت يده بين يديها وقالت
رباه أن يدك لا تزال باردة بل أن بردها قد اشتد فهل أنت

مريض

قال كلا فاني على خير حال ولكن ...

— ولكن ماذا

ولكني سأموت الآن

فارتعدت غوسيت وصاح ماريوس قائلاً

ماذا تقول أثمرت

— نعم ولكن ذلك لا شيء

وقد تنفس وانقسم وتآل

غوسيت انك كنت تحدثيني فأنمي حديثك .. كنت تقولين

أر سمورك ذات .. تكلمي ودعيني أسمع صوتك

فنظر ماريوس نظرة رعب اليه
وصاحت غوسيت مندعة فقالت
أي .. أبي أنك ستعيش .. إني أريد أن تعيش أسمع
فنظر اليها كما ينظر العابد الى الله وقال
دافعي عني واحمي من الموت فمن يعلم إني قد أطيع وأمتثل
لما تريدن .. إني كنت عز وجلت الله تالما أتيتما توقف الموت
عن إختطاف رحي بآله خافسكا فشعرت بمرور الحياة
فتأثر له ماريوس

بل إنك بالآذ من الحياة وأنت شديد التقوى أتحمس أن
لموت يكره على هذا الشكل
والسبب في ضعفك أنا .. كنت حزين النفس ولكن أحزانك
رالت الآن وأنا الذي أسألك الغفران بجائيا على ركسي
أنتك ستعيش ربما ناعم البال وسبش طويلا سعدا ثمان الآن
لا يشغل في سدا الوجود غير هداك ورضاك

فسمعت غوسيت دمع عيناها وقالت
أسمعت أن ماريوس يقو زأناك لا تموت
فانتسم جان فالجان وقال
هب يا موسيو بوتمرسي إني اتتلت لك ودهت معك
أتحسب أن ذلك يجعلني غير ما أنا
— كلا فان الله خط ما أراده في لوح مقدوري ولا مرد لقضاء الله

أن موتى لأبد منه وهو حير حل لمشكلى فان الله يعلم فوق
مانعلم وهو يتولانا كما يشاء فلا يكون إلا ما يجب أن يكون
عيشاً يا ولدى بنعمة الله وكونا سعيدين وترا كضاحيل الشباب
واجنيا ثمر الحياة بالنعاء داني القطوف

أما أنا فأية فائدة بقيت لى من الحياة فلاأمت ولا شك أن
موتى لم يكن إلا لخير لانه بأمر الله

واعلم يا ولدى أنه قضى الامر الآن فقد اشعرت أن معين
الحياة نصب وقد أصبت منذ ساعة بأغماء طويل وشريت كل ما
في هذا الاناء من الماء

ما أطيب قلب زوحك يا غوسيت فستكونين معه أهنأ مما
كنت معى

وعند ذلك طرق الباب ودخل الطبيب فاستقبله جان فالجان قائلاً
السلام عليك يا سيدي الطبيب واستودعك الله . انظر الى
ولدى فانهما عندي

فدنا ماريوس من الطبيب وسأله بنظرة عن حاله فاجابه
الطبيب بمثل نظره جواباً دل على النهاية

وقد تجهم وجه ماريوس ورأى جان ما كان من تجهمه فقال
لا تحزنوا ولا تنقبض نفوسكم فانكم تسبثون بذلك الى انفسكم
والى الله

وساد السكوت والتفت جان فالجان الى غوسيت وجعل يتمعن

في وجهها كأنه يريد أن يطعم ذلك الوجه على روحه الداهية الى
الابدية

ودنا الطبيب منه فجس نبضه

ورأى جان إصفرار غوسيت وماريوس فقال لها

أرى انكما أولي بجس النبض مني

أما الطبيب فانه قال لماريوس بصوت يشبه الهمس

لقد جئتما بعد فوت الاوان

وقد حمل جان فالجان يحيل نظره بين الطبيب وبين ماريوس

ومعموه يقول بصوت منخفض كأنه يناجي نفسه

ليس الموت يصعب إنما الصعب على المرء أن لا يعيش

ثم استوى واقفاً وقد طادت اليه قوته فجاءه وذلك يمداحياناً

من علامئ الزرع

ومشى في الغرفة بقدم ثابتة الى الجدار بعد أن دفع عنه

الطبيب وماريوس اللذين كانا يحاولان أن يعيناه

وهناك انزع صليباً من النحاس عليه رسم المسيح المصلوب

فوضعه على المنضدة وقال

هذا هو الشهيد العظيم

ثم حاس على الكرسي مهوك القوى وقد أصيب رأسه بدوار

كانما أدركته سكرة الموت وسقطت يديه على ركبتيه فجعل يحك

بظفره قماش لينطوونه

وقد أمسكت غوسيت بكفني وأخذت تشفق بالبكاء وهي
تحاول أن تكلمه فلا تستطيع

ثم أخذت تتكلم بصوت متقطع فتقول
أبي .. لا تتركنا .. أيمن أن تفقدك حين وحدناك .. أبي
أحبنى أن غوسيت تكلمك وما عودتها هذا السكون
ولقد صدق من شبه الزرع بحية تدور وتحيط فتمشي إلى
الموت ثم تعود إلى الحياة

وهذا انتهى اتفق جان فالجان فانه بعد أن أصيب بها يشبه
الأغماء صحا وهر رأسه كأنه يريد أن ينفذ منه ما تكدر فيه
من الظلمات وما علق عليه من غبار الموت وأخذ يده طرف كم
غوسيت فلقمه

وصاح ماريوس صيحة فرح وقال

— لقد طأ اليه هداية أيها الطبيب

فقال جان أن قلبك ظاهر يا بني كقلب غوسيت وإني أخبركما
الآن بسبب حزني فاعلم أيها البارون ان حزني لم يبلغ أشده إلا
لأنك أبيت أن تنفق شيئاً من المال الذي هو مال أمراتك دون
منازع

وإني سأوضح لك الحقيقة وهذا الذي سرني من لقاءكما
فأصغيا إليّ

أن الكهرباء السوداء ترد من انكسارها والكهرباء البيضاء

تزد من نروج والخرز يرد من المازيا

وقد وفقت إلى اكتشاف في صنع الكهرباء والخرز بنقص
حققاتها كثيراً في ثمن المزيج الذي تتألف منه فإن الليرة من هذا
المزيج تكلف الانكليز ولا تكلفي غير بضعة سانتيمات بفضل
هذا الاختراع

وقد شرحت لك مفصلاً في هذه الورقة كي لا يفوتك شيء
من تفصيله

٩٠ حصل هذا الاختراع كسبت المال الكثير وأنشأت معامل
واقصدت تلك الثروة التي تركتها لفوسيت

وأما أقول لك ذلك لتعلمي رتلم أنها جاءت من أشرف مورد
وعند ذلك فتح الباب وظهرت معه البوابة فإشار إليها الطبيب
أن تنصرف ولما كسها لم تنصرف ثل أن سألت قبان فالجان قائلة
هن يريد كعسانا سيدي

قال سيدي كاعن

وأشار بأصبعه إلى ما فوق رأسه كأنه كان يرى في تلك الساعة
ذلك الأسقف الجليل يحضر زعمه

وقد أخذت غوسيت محدة فوضعتها برفق تحت رأسه

وعاد جان إلى الحديث فقال

لا تخف يا سيدي البارون وثق إذ الستمائة ألف فرنك كسب
حلال وإنما لفوسيت دون منازع فإذا لم تتمتع بهذه الثروة وإياك

أكون أضعت أتعاب حياتي سدى

انى نجحت نجاحاً عظيماً بصنع الخرز الذى كانوا يدعونه جواهر
برلين وزاجت الالمانيين أعظم مزاحمة فاني الالف خرزة لم تكن
تكلفني أكثر من ثلاثة فرنكات

أن المرء حين يرى عزيزاً له على وشك الموت ينظر إليه نظرات
غريبة كأنه يريد أن يستوقف روحه بهذه النظرات ويمسكها عن
الاتقالات من قيد الجسد

وهكذا كان الزوجان فان غوسيت كانت ممسكة بيد ماريوس
وكلاهما ينظر الى هذا المحتضر تلك النظرات ولا يعلمان ما يقولان
وقد بدأ دور الاحتضار مضائق أنفاسه وكان يتخللها زفير
ولم يعد يستطيع تحريك يده إلا بعناء شديد وانه طعت حركة رجليه
وجعلت روحه تتصاعد مجلال الى جبينه فكان نور العالم غير
المتطور ظاهراً في عينيه

ثم شحب وجهه وامنع لونه ومع ذلك فقد لبث يبتسم
وقد أشار الى غوسيت والى ماريوس أن يدنوا منه إذ أنه
شعر بان هذه آخر دقيقة من آخر ساعة وحمل يكلمهما بصوت خافت
ضعيف كأنه يصل الى مسمعا من مكان بعيد أو كأنه يكلمها من
وراء جدار فقال

ادنوا .. ادنوا مني فاني احبكم كثيراً .. آه ما أطيب الموت

على هذا الشكل

وانت يا غوسيت أنك تحبيننى أيضاً ليس كذلك . . انى كنت أعلم
يقيناً بانك تحبين هذا الشيخ الذى لم يجب سواك فى الوعود . .
آه لو تعلمين كم أحسنت الى بوضع هذه الوسادة تحت رأسى . .
انك ستبكين على يا غوسيت ولكنى لا أريد أن تكثري من
النكاء والحزن فانك مع زوجك فى أبان الشباب ولا افصح من
الحزن مع السبي

لقد فاتنى ان احركما ان الالف حبة من الخرز التى كانت تكافى
ثلاثة فرنكات كانت تناع بستين فرنكا وهذه خير تحارة فلا تعجب
يا بنى من اقتصادى الستمائة ألف فرنك فقد كنت اكسب فى كل
عام ما يزيد على مليون . . اطمئن يا بنى فانها ثروة شريفة المورث
جمعت لمرق الجبين واحهاد النفس

وانت يا غوسيت يجب ان يكون لك مركبة وان يكون
لك لوج فى المراسح من حير الى حين وان تلبسى خير الملابس وان
تكونى مع روحك على خير حال

وقد كتبت منذ هنيهة الى غوسيت وستجد رسالتى
وانى اهما هذين الشمعدانين فاهما من القصة ولكنهما
عندي من الماس بل لم تكن تفضلها حواهر الارض ولا اعلم اذا
كان الذى اعطانى اياهما ينظر الى نظرة رضى من السماء فقد صنعت
ما استطعت منه

ولا تنس يا ولدى انى فقير فادفانى فى اول بقعة تجدانها منى

الأرض وضعا حجراً فوق تلك الأرض يدل على مكانى ولا تكتبنا
اسمى على الحجر وهذه هي ارادتي
برأذا ارادت غوسيت ان تزور ترابى احياناً اشعر بدوس
قدميها وكذلك يا موسيو در تيمرسى
وهما لا بد لي ان اعترف لك بانى ما احببتك دائماً واسألك
ان تغفر لى

اما الآن فقد اصبحت وياها شخصاً راحداً سدى ولى
اشكرك مند الآن لثوقى من اننا استجعت غوسيت من اسعد النساء
وانه يوجد في هذا الدرج خمسمائة فرنك ارجوا ان تورعها على
الفقراء

وأنت يا غوسيت ابك محدين على سريري هذا الثوب الأسود
الصغير . . أتم فيه ما لك كست قلديبة منذ عشرة أعوام . . .
ارأيت كيف عمر الأيام

لله ما أسعدت تلك الأيام وودادى الان نهائياً لاه
لا تبكيا . لا تذكيا . فاني لا أسافر الى مكان بعيد عنكما . .
انى أراك من هناك وما تملك الا أنت تظن حين يحيم
الظلام فترينى أنسى . . .

غوسيت أتذكرين مو تفرمين . . انك كنت في الغابة وكنت
خائفة أتذكرين رحمت عنك إباء الماء . . انها أول مرة لمست
فيها يدك الصغيرة . . انها كانت باردة وكانت حمراء في ذلك العهد
أما الآن فهي بيضاء

ثم أتذكرك تلك الدمية التي جئتك بها وكنت تدعينها كاترين
وما كان من أسفك لأنك لم تدخلها معك الى الدير
آه كم أصحكتي يا ملاكي الجميل وكم كنت تفرحين حين تخطر
الهباء وتجري السواقي فتلقى القش فيها وتراقص سيرها
وقد أعطيتك يوماً كرة وصولجاناً وطيارة مزينة بريش مختلف
الالوان . . . انك نسيت كل ذلك يا غوسيت أما أنا فلم أس
ان الغابات التي كنت أمر بها معك والاشجار التي كنا تنزه
تحتها والدير الذي كنا نختبئ فيه واللعب وضعك الحداثة كنت
أحسب أنها بدوم فادا هي ظل رتل
أما تنارديه وامراته كانا من شر الناس وقد أساء اليك كثيراً
ولكن يحب الصفع عليهما
والان يا غوسيت لقد دنا الوقت الذي يجب أن تعلمي فيه
اسم أمك
فاعلمي أنها كانت تدعى فانتين فاحفظي هذا الاسم في قلبك
واركمي كل ما ذكرته فقد شقيت كثيراً وأحببتك كثيراً ونالت
من الشقاء قدر ما تنال به قرب زوجك من الهباء
والان طي داهب يا ولدي ناعلاً الحب رائدك في هذه
الحياة فانه كل الحياة واذا كرا من حيز الى حين ذلك الشيخ المسكين
الذي يموت هنا

أواه يا غوسيت انى اذا كنت لم أرك في أيامى الاخيرة فما
ذلك بذنبى

وقد كان قلبى يتقطع حتى أنى كنت أذهب فى كل يوم الى
زاوية الشارع الذى تقيم فيه وأقف وقوف المجانين بل انى
ذهبت مرة من غير قبعة فلم يسهى غير ضحك الاحداث
والان ... ما هذا .. انى لم أعد أرى .. ان لى ما أريد
قوله أيضاً ... ولكن لا بأس .. أفكر انى .. لا أعلم ما أصابنى
انى أرى نوراً ... ادوا ... ادنوامى أمت سعيداً .. فربارأسيكما
من يدي لا بارككما

فأسرع الزوجان الى الركوع أمامه فرفع يديه على رأسيهما
ولم تعودا تتحركان
وقد انقلب رأسه الى الوراء وعيناه ناظرتان الى السماء فقد
أسلم الروح بينما كان ماربوس وغوسيت يقبلان يديه ويفسلانها
بالدموع

هناك فى تربة لير لاشيز بجوار حفرة عمومية بعيدة عن
القبور المزينة بالرخام والاكاليل يوجد حدر طويل على قدر طول
الميت المضطجع تحته
وقد لوتته الامطار بلون أخضر وسودته الرياح ومجانبه أشجار
كان ينطق فيها البوم فى أيام الربيع

ولم يكن مكتوباً على هذا الحجر اسم الميت غير أنه منذ
بضعة أعوام كتب أحد الشعراء على هذا الحجر ولا بد أن تكون
محتهما الامطار

أما هذان البيتان فهما
لقد عاش عيش الاولياء بقربها
الى أن نأت عنه فخان مماته
كذلك شأن الليل والشمس حينما
يزول ضياها تبتدى ظلماته
وأما هذا القبر فقد كان قبر جان فالجان

تمت الرواية

